أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في القيمة
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث — ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ — أغسطس ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

على بئر أريس

من ذكريات ربيع الأول في طيبة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بقلم : أحمد حسن الزيات

في غداة ضاحية من غدوات شهر ربيع الأول، وفي درب هادئ من دروب طيبة المقدسة، خرج الرسول صلوات الله عليه إلى ظاهر المدينة يطلب الخلوة إلى نفسه، والجلوة عند ربه. وكان صاحب الغار المهجور من جبل النور لا يزال يستحب العزلة، ويستطيب الوحدة، إمعانا في القرب من الله بالفكر والذكر والتأمل، فجعل وجهه إلى غربي المدينة تلقاء مسجد قباء، ومشى وحده تحوم عليه العيون وتهفو إليه القلوب من وراء الجدر وعلى حواشي الطريق وهو مطاطئ الرأس مطمئن النفس حتى بلغ بئر أريس (١).

وكانت هذه البئر العذبة الرحبة تستكن من الريح والشمس بظلة من جريد النخل لها باب منه، وتنظر إلى حقول خضر وبساتين

---

[١] حديث بئر أريس الذي جعلناه لبا لهذا المقال رواه البخاري ومسلم.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيح تستمد من مائها المعين الثماء والخصب ، فهى مستراض ومستراح ومنظر . دخلها الرسول على عادته فى كل يوم اثنين دخول المعتكف المسجد ، فتوضأ وصلى ثم جلس على قفّها [١] وكان طوله ثلاثة أذرع ، واستغرق فى عبادة صامتة لا يتخالجها أمر من أمور الدنيا ولا شأن من شئون الناس . ومثل هذه العبادة الروحية النبوية التى تصل الرسول بالله ، والأرض بالسماء ، والشريعة بالحقيقة ، والمحدود باللامحدود ، لا يستطيع أن يدرك كنهها العقل القاصر ، ولا أن يبلغ وصفها البيان الناقص . وما كانت عبادة النبى فى بئر أريس بعد الهجرة إلا معنى من عبادة محمد فى غار حراء قبل البعثة ، استيحاء لحكمة الله وقدرته أن يؤيد دعوته بروحه ، وأن يجمع أمته على كتابه .

* * *

وكان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قد أصبح ونيته معقودة على أن يلزم الرسول عامة يومه ، جلاء لصدره من صدأ الدنيا ، وصفاء لنفسه من كدر العيش ، فطلبه فى مسجده فلم يجده ، فسأل عنه فقيل له اتخذ طريقه إلى حى قباء ، فما زال يتقصى خبره وأثره حتى تأدى إلى بئر أريس ، فدخلها فوجد الرسول جالسا على قفّها وقد كشف عن ساقيه وأدلاهما فيها . فسلم عليه ، ثم عقدت لسانه الهيبة والجلالة فارتد إلى الباب وهو يقول لنفسه : لأكونن بواب الرسول هذا اليوم .

وما هى إلا هنيهة حتى دفع الباب دافع . فقال البواب الأواب : من بالباب ؟ فقال أنا أبو بكر ، فقال أبو موسى : يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن عليك ، وكان صاحب الدعوة حينئذ يستحضر فى ذهنه ما لقى فى سبيلها من البلاء فى نفسه وفى أهله وفى صحبه . وقد تمثل فى خاطره وفاء المهاجرين بعهدهم إلى الله ، واحتمالهم الغربة والفاقة والقلة والأذى ابتغاء مرضاته ، فأكبر ما فعلوه وما بذلوه ، وما هو إلا أن سمع أبا موسى يذكر اسم صديقه فى الدار وصاحبه فى الغار حتى قال له ائذن له وبشره بالجنة ، فلما أخبره بالإذن والبشرى دخل فجلس عن يمين رسول الله فوق القفّ وحذا حذوه ، فكشف عن ساقيه وأدلاهما فى البئر ، ورجع الأشعرى إلى مقامه بالباب ، وكان قد ترك أخاه يتوضأ ليلحق به عند الرسول ، فقال فى نفسه : إن يرد الله خيرا بأخى يأت به ، يرجو أن ينال من هذا الفيض النبوى ما ينفعه فى آخرته ، ولكن

---

[١] قف البئر : الدكة التى تقام من حول رأسها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله أراد بهذا الخير لعمر ، فقد كان فى تلك اللحظة وراء الباب يحركه . فلما قال أبو موسى فى مرحه قولته من هذا ؟ قال أنا عمر بن الخطاب ، فقال له على رسلك يا عمر ، ومضى إلى الرسول يستأذن له فقال له عليه صلوات الله وسلامه . ائذن له وبشره بالجنة ! فدخل عمر وجلس على القف عن يسار الرسول وصنع ما صنع ، وعاد الأشعرى إلى الباب يتسمع من ورائه أن تدب رجل أو يند صوت رجاة أن يكون أخوه قد قدم . فلم يمض غير يسير حتى اقلق الباب إنسان ، فخفق فؤاد أبى موسى وضاء بالأمل وجهه ، وصاح من القادم ؟ فقال : أنا عثمان بن عفان ، فاستأناه وعاد إلى الرسول يستأذن له ، فقال من اصطفاه الله لحمل رسالته وارتضاه لعلم غيبه : ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه ، فلما بشره وأنذره دخل الشهيد على الثلاثة فلم يجد معهم مجلسا على القف . فتحول حتى جاء قبالتهم من الشق الآخر وجلس . ثم كشف عن ساقيه وأدلاهما فى البئر .

وهكذا شاء الله أن يجتمع فى هذه البئر الباضة بالخير ، النابضة بالحياة ، فى وسط هذه الرمال القاحلة والصخور الصلدة . خمسة نفر كان لهم فى حياة العروبة أثر بالغ ، وفى تاريخ الإنسانية خطر أبلغ : خليفة الله الذى قاد بنوره ركب البشرية التائه الهامه فى الطريق الأقوم إلى الغاية الأكرم ، وخليفتا الرسول اللذان حملا عهوده من بعده فبلّغا ما صدعا به يوم السقيفة ، وقويا سلطانها سلة الردة ، ونشرا ضوءها وراء الجزيرة ، وخليفة الشورى الذى صدقت فيه نبوءة الرسول فأصابته البلوى التى فرقت الكلمة ومزقت الأمة ، وقاضى التحكيم الذى داهاه ابن العاص وداوره حتى حكم حكما جعلت نتيجته الخلافة خلافتين . والأمة أمتين ، والدين المحكم القيم اثنتين وسبعين فرقة !

* * *

على أن بئر أريس كانت لها فى حياة الخليفة الثالث دلائل خاصة . فجلوس الرسول والعمرين معا على شق ، وجلوسه منفرداً قبالتهما على شق ، تأوله سعيد بن المسيب باجتماع قبور الثلاثة فى حجرة عائشة وانفراد قبره هو فى موضع آخر . وإنذار الرسول إياه بالبلوى التى أصابته وأصابت المسلمين معه كان طائفا من الهم يعتاده الحين بعد الحين فلا يصرفه عنه إلا اعتقاده الوثيق بالله ، وإيمانه العميق القدر ، وإمضاؤه النية على الجهاد فى سبيل الله بماله ونفسه . ثم سقوط الخاتم النبوى من يده فى هذه البئر كان نذير شؤم ومنار قلق ، فقد كان محمد خاتم النبيين قد اتخذ خاتما من فضة جعله فى يده بقية حياته ، ثم كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى يد أبى بكر مدة خلافته ، ثم تختم به من بعده عمر ، ثم انتقل من يده بعد مصرعه إلى يد عثمان ، فكان معتزا به حريصا عليه . حتى ذهب يوما إلى بئر أريس يجلس فى مجلس الرسول وينعم بذكرى يومه فيه . وكانت هذه الزيارة ديدنه كما كانت ديدن الصديق والفاروق منذ اجتمعوا فيه برسول الله . فأخرج الخاتم من إصبعه وجعل يعبث به فسقط فى الماء . واختلف هو والناس إلى البئر ثلاثة أيام ينزحونها ويبحثون فيها فلم تقع يد عليه ، كأنما ضنت به الأرض فابتلعته ، أو تاقت إليه السماء فرفعته ، فاكتأب عثمان ووقع فى نفسه أن قوة كانت تسنده غابت فى الماء ، وأن نورا كان يرشده تبدد فى الريح ، وأن الخاتم النبوى كان فى يده عقدة تمسك عليه الناس ، وتريض له الأمر ، فتمضى خلافته كما مضت خلافتا الشيخين فى وحدة لا تشت ، وعروة لا تنفصم ، وسبيل لا تجور . فلما سقط منه فى البئر وعجزه الحصول عليه لم ييأس من روح الله ، ولكن شكا اختلاج فى نفسه الراضية المطمئنة ألا يكون كعمر بطل السقيفة ، وأبى بكر بطل الردة ، صلابة رأى وصرامة عزيمة ، ففوض الأمر إلى بعض أهله فحكموا الناس بالهوى وفرقوهم بالعصبية ، وساسوهم بالمحاباة . حتى اضطرب الحبل وشاعت الفتنة ، وقاله الثوار فى داره وعلى مصلاه قتلة لا يزال يرعد من هولها الدهر .

كانت هذه الدلائل رموزا من لغة القدر خطها على صفحة وجهه وفى صحيفة حياته يوم جلس وحده تجاه الرسول وصاحبيه على بئر أريس ، فسرتها الأحداث رمزا بعد رمز ، وكابدها هول جيش العسرة دلالة بعد دلالة . وما كانت فراسة الرسول الكريم فى عثمان ومآله سواء أكانت إعلاما من الوحى أم إلهاما من الروح إلا دليلا على ألمعية فى الفائد الأعظم تكشف ما استكن من سر الطباع ، وتعلم ما استتر من عقبى الحوادث ، ولولا هذه الألمعية المستمدة من علم الله أو من فطانة الرسول لما تسنى لصاحب الرسالة أن يختار أسنادها وأمدادها من هذه الصفوة القليلة من المهاجرين الذين غرس فى قلوبهم البذرة ، ووضع فى أيديهم الشعلة ، وألقى على كواهلهم التبعة ، ثم لحق بالرفيق الأعلى وهو ينظر إليهم من ستور النور وهم يرفعون مسجده فوق إيوان كسرى ، وينصبون منبره على عرش قيصر ؟

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عيد الثورة التاسع عيدان :

عيد الإصلاح الدنيوي وعيد الإصلاح الديني

للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

ما أقوى الأمم التي ترسم لنفسها الطريق الذي يوصلها إلى أهدافها السامية ، وتحدد معالم العزة التي تريد أن تتبوأها ، وإن تستطيع أمة أن تصل إلى هذا إلا إذا اكتملت لها شخصيتها المعنوية التي تضمن لها الرأي السديد والوجود المعنوي . والأمم التي تكاملت لها هذه المعاني هي الجديرة بالحياة ، لأنها التي أحاطت بمعاني الحرية وأدركتها ، وهي في الوجود من أقوى عناصر القوة والخلود .

ومن ثم يهون الله فيها شعبا وراءها ويضحي على عينه رجالا أحراراً يأبون الضيم ، ويضحون من أجل أمتهم بما يحقق لها الأمل الذي ترجوه . وقد يخبو شعاع هذه الشخصية المعنوية فترة من الزمن ، فتعيش في هوان وضعف ، وفي قلة وذلة على الرغم مما هي فيه من كثرة في العدد حتى تتهافت عليها الأمم المستقلة المستعمرة كما تتهافت الأكلة على قصعتها ، بيد أن الأمم ذات الماضي العريق والمجد الخالد لا تستمر كثيراً في حياة الاستعباد بل سرعان ما تنبت تربتها الطيبة نباتا حسنا من أبنائها يأخذ بيدها ويعيد إليها قرنها .

ولقد أتت علينا عهود أصبنا فيها بانتكاس في حياتنا فتزلزلت فينا قوى الإيمان والعمل في تنمية شخصية الأمة حتى جمدت عن الإنتاج ، فانكمشت القوة وساءت الإدارة واستولى الأعداء على منابع ثروتنا وعلى جهاز قوتنا ، وعلى وسائل ثقافتنا ، وأعانهم علينا قوم آخرون منا نفثوا سمومهم فأضاعوا المعاني الروحية التي ربانا عليها ديننا ، وتلقيناها عن آبائنا وأجدادنا . وبذا جعلوا منا أمة أشتاتا وشعبا متفرقا حتى عشنا حيارى لا نعرف لنا مصيراً في ظلمة حالكة لا نرى فيها نوراً ، حتى شاء الله أن يبدد هذه الظلمة ، ويكشف عنا هذه الحيرة ، فكانت ثورتنا المباركة ثورة ٢٣ يوليو فأتم الله علينا بها نعمته ، بأن جعل ولاة الأمر فينا من أنفسنا .

لقد كانت ثورة الحق على الباطل ، والعدل على الظلم ، وثورة الحرية على الاستعباد ، فآمن الناس بأن الباطل مهما طال أمره واشتدت وطأته وقويت عناصره فهو أمام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحق والعزم القوى والإيمان بالله خالق العزيمة مفكك الأوصال مهدم البنيان ، وأن مصيره إلى التلاشى والزوال .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

وقد أراد الله الخير لهذه الأمة حين أحياها بهذه الثورة المباركة ، إذ كانت بشير خير وبركة علينا وعلى الناس أجمعين ، فنشرت الحرية بين الناس ، وفتحت لهم أبواب الخير بما مكنت لهم من مشاركة فعالة فى الرأى وفى الحكم .

وإذا كنا اليوم نحتفل بالعيد التاسع لهذه الثورة ، فإننا لسعداء بالحرية التى نعمنا بها والإنتاج فى كل جانب من جوانب مجتمعنا ، حتى حقق الله لنا الاكتفاء الذاتى فلم نعد عالة على أمة من الأمم ، ولا ذيلا لشعب من الشعوب ، لا نميل إلى شرق ولا إلى غرب إلا بقدر ما يحقق السلام الذى يدعو إليه الإسلام . وبذا غدونا أمة وسطا جديرة بوصف الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » ، وإذا كانت ثورة الإيمان على الشرك قد حددت موقف المؤمنين من المشركين : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، فقد كان من فضل الله على ثورتنا أن حددت موقفنا من الاستعمار ، وكما أراد الله أن يطهر أرض مكة من الشرك ولوازمه ، طهر أرضنا من الاستعمار وتوابعه وبذا تبدلت حالنا وازدهرت نهضتنا وتحقق لنا إخواننا فى جميع أنحاء الأرض فكانت جمهوريتنا لهم نعم الأم الرءوم وبلدنا لهم نعم البلد الطيب .

وإنه لمن بين الطالع أن يجتمع لنا فى عيد ثورتنا التاسع عيدان اثنان : عيد ثورة الحق على الباطل ، وعيد ثورة علمية تجلت فى تنظيم الأزهر وهيئاته . هذا الأزهر الذى أنار للعالم طريق العلم والمعرفة ألف عام وعشرين عاما ربط به قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

إن هذا التنظيم لهو خير وبركة ، لأنه تمكين للأزهر من أداء رسالته ، وإننا به - نحن المسلمين والعرب - لنستأنف طريقنا بإذنه تعالى إلى الغاية التى نهدف إليها ونسعى من أجلها ، مترسمين خطا قائد نهضتنا الواسعة الشاملة ، ونحن أشد ما نكون تماسكا وأقدر على أداء الرسالة التى جعلها الله أمانة فى عنقنا : رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . وعلى قدر حرص أمتنا على الأزهر ورسالته يكون حرصها على دين الله وتمسكها به وحفظها لأصوله ، ورعايتها لمبادئه . وإن الأمم الإسلامية لتلتفت بذكر الأزهر وتتعلق به لترجو من وراء هذا الإصلاح الخير الوفير

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

درس من جزيرة مالطه

للأستاذ عباس محمود العقاد

اللغة المالطية « لهجة لغوية » لا يزيد عدد المتكلمين بها على ثلث المليون هم أبناء الأرخبيل المعروف بأرخبيل مالطة . ولكنها تزود علماء اللغات بمادة غزيرة لتحقيق آرائهم ونظرياتهم ؛ لأنها لهجة مستقلة تنعزل بشواهدها الحية على كل تطور يعرض للهجات بين الاتصال والانفصال وبين الاختلاط والاستقلال . ويكاد أثر العوامل المختلفة فيها أن يترامى للنظر كأنه عرق بارز يتخلل بنيتها ولا يغيب عن اللحظ حيث يجرى فى مجاريها فليس فيها عامل من عوامل التطور يلتبس بعامل آخر كما يحدث فى أكثر اللغات المعروفة .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

فى دينها ودنياها ، ولما كان للأزهر مكانته العالمية التى جعلت أنظار العالم الإسلامى والعربى تتجه إليه ، وكان فى نفس الوقت حبل الترابط بين جمهوريتنا العزيزة من جانب وبين الشعوب الإسلامية والعربية من جانب آخر ، وبالتالى كانت القاهرة قبلة الدراسات لتلك الشعوب ، وحسب الناس جميعا أن يعلموا أن البعوث الوافدة إليه تمثل أربعا وخمسين جنسية ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وكلهم يجتمعون على صعيد واحد فى الأزهر الشريف مما يوحد بينهم ويقرب بين غاياتهم وأهدافهم .

لذا كان ضرورة أن تجتمع الخبرة والدين على الوجه الذى اشتمل عليه هذا الإصلاح حتى يؤدى الأزهر رسالته فى نهضة الشعوب الجديدة ويحقق رغبات هذه الشعوب : فى الدين والبناء والإنتاج ، والإصلاح .

وإننى بهذه المناسبة لأدعو الله لكل من وضع لبنة من لبنات إصلاح الأزهر وتمكينه من رسالته مخلصا لدينه راجيا الخير لهذه الجامعة العتيدة ، كما أدعوه سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأن تأتى ذكريات ثورتنا بكل جديد يشد أزرنا وينصر ديننا ، ويعلى كرامتنا . « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

درس من جزيرة مالطه

للأستاذ عباس محمود العقاد

اللغة المالطية « لهجة لغوية » لا يزيد عدد المتكلمين بها على ثلث المليون هم أبناء الأرخبيل المعروف بأرخبيل مالطة . ولكنها تزود علماء اللغات بمادة غزيرة لتحقيق آرائهم ونظرياتهم ؛ لأنها لهجة مستقلة تنعزل بشواهدها الحية على كل تطور يعرض للهجات بين الاتصال والانفصال وبين الاختلاط والاستقلال . ويكاد أثر العوامل المختلفة فيها أن يترامى للنظر كأنه عرق بارز يتخلل بنيتها ولا يغيب عن اللحظ حيث يجرى فى مجاريها فليس فيها عامل من عوامل التطور يلتبس بعامل آخر كما يحدث فى أكثر اللغات المعروفة .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

فى دينها ودنياها ، ولما كان للأزهر مكانته العالمية التى جعلت أنظار العالم الإسلامى والعربى تتجه إليه ، وكان فى نفس الوقت حبل الترابط بين جمهوريتنا العزيزة من جانب وبين الشعوب الإسلامية والعربية من جانب آخر ، وبالتالى كانت القاهرة قبلة الدراسات لتلك الشعوب ، وحسب الناس جميعا أن يعلموا أن البعوث الوافدة إليه تمثل أربعا وخمسين جنسية ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وكلهم يجتمعون على صعيد واحد فى الأزهر الشريف مما يوحد بينهم ويقرب بين غاياتهم وأهدافهم .

لذا كان ضرورة أن تجتمع الخبرة والدين على الوجه الذى اشتمل عليه هذا الإصلاح حتى يؤدى الأزهر رسالته فى نهضة الشعوب الجديدة ويحقق رغبات هذه الشعوب : فى الدين والبناء والإنتاج ، والإصلاح .

وإننى بهذه المناسبة لأدعو الله لكل من وضع لبنة من لبنات إصلاح الأزهر وتمكينه من رسالته مخلصا لدينه راجيا الخير لهذه الجامعة العتيدة ، كما أدعوه سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأن تأتى ذكريات ثورتنا بكل جديد يشد أزرنا وينصر ديننا ، ويعلى كرامتنا . « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان لها سكانها الأصلاء قبل التاريخ ، ثم سكنها الفينيقيون فالقرطاجيون من سنة ألف وخمسمائة إلى نحو سنة مائتين قبل الميلاد فغرسوا فيها أصول « النطق » السامي الذي مهدت المكان بعد أكثر من عشرة قرون لغلبة اللغة العربية على ألسنة أهلها ، وتردد عليها أبناء أوربة الجنوبية من اللاتين والفرنك في أثناء ذلك ، فدخلتها مئات الكلمات الإيطالية والإفرنجية ، ولا سيما الكلمات التي كانت تشيع في جزيرة صقلية .

وقد ملكها العرب وبقيت في حوزتهم من سنة سبعين وثمانمائة إلى سنة تسعين وألف الميلاد ، وهي السنة التي أغار فيها النورمان على الأرخبيل فملكوه وحكموه ، وبقيت فيه طوائف عربية إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلاد أجلاهم عنها الامبراطور فردريك عاهل صقلية المشهور .

ولكن العرب تركوها وتركوا لغتهم فيها يتكلم بها أبناء الجزر المسيحيون كما كانوا يتكلمون بها وهم يحكمونها ويستخدمون العربية في مخاطباتها الرسمية وإدارة دواوينها .

إلا أن لغة الحديث فيها كانت لهجة « عامية » لا ترتقي إلى طبقة الفصحى ولا تهبط إلى لهجة السوقة بعد بضعة قرون ، ولم يكتب بها المالطيون شيئا في مصنفات الأدب أو العلم طوال القرون التالية إلى أواخر القرن السادس عشر ، ثم ظهرت فيهم بواكير التصانيف الأدبية والعلمية فكتبوها بلهجتهم العامية التي أضيفت إليها أشتات الألفاظ والتراكيب من اللغات الدخيلة ، بعد توالي الحكام عليها من الإيطاليين والفرنجة ، ولا يزالون يكتبون بتلك اللهجة بعد إضافة الدخيل إليها من الفرنسية والانجليزية ، على أثر حكم الفرنسيين والانجليز لتلك الجزيرة ، وقد سقطت منها الحروف المميزة للنطق العربي ، ولا سيما الصاد والظاء .

صدرت في السنة الماضية بمجموعة حسنة من مختارات الأدب الحديث في اللغة المالطية ، وترجمت إلى اللغة الانجليزية ومعها بعض أصولها مكتوبة بالحروف اللاتينية ، وعني مترجمها الأستاذ « آربري » المستشرق المعروف بتمثيل الأدب الدارج والأدب المهذب في هذه المجموعة بموضوعاته المنوعة ، فاحتوت مجموعته نخبة من الأمثال السائرة كما احتوت أنماطا من « الحكايات » المنثورة وأنماطا منوعة من الشعر الغنائي ، وهو في المصطلح الغربي يشمل الشعر العاطفي كله وإن لم ينظم للغناء .

يطالع القارئ العربي هذه المختارات فيرى الكلمات العربية تتردد في كل سطر من سطورها المنثورة وكل شطر من شطورها المنظومة ، وقد تقابل بين مفرداتها ومفردات اللهجات العامية في مدن السواحل عندنا فلا نرى فرقا كبيراً بينها من حيث العدد إذا رجعنا بها إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أصولها العربية ، فقد تبلغ الكلمات من هذه الأصول سبعة أعشار المعجم المالطى الحديث ، وقد أحصى أحد هذه المعجمات فقاربت كلماته عشرة آلاف ، منها نحو سبعة آلاف يفهمها القارئ العربى بغير جهد أو يفهمها بجهد قليل بعد المقارنة بينها وبين الدخيل من قبيله فى لهجاتنا العامية .

لكن الملاحظة الأولى التى يستفيدها دارس العلوم اللغوية من مطالعة اللهجة المالطية هى أن اللغة تفهم بالعلاقات بين مفرداتها فى الجمل قبل أن تفهم بحفظ كلماتها المنفصلة فى المعجمات

فالقارئ العربى يفهم الجمل القصيرة بلهجتها المكتوبة فى المالطية ولكنه يفهمها على الأكثر بالقرينة إذا فهم الكلمة المهمة من أسمائها وأفعالها .

أما الصفحات المطولة فهى على الجملة أشبه باللغة الأجنبية بالنسبة إلينا ، وليست هناك مشابهة بينها وبين الكلام العامى مهما يبلغ من طوله فى لهجة من لهجاتنا الكثيرة ، فإن هذا الكلام لا يخفى علينا وأن خفيت مصطلحاته التى تتغير بين قطر وقطر فى ثنايا تراكيبه ومفرداته .

وأقرب ما نشبه به اللهجة المالطية بالنسبة إلينا أنها كاللغة الإيطالية أو الأسبانية بالنسبة إلى المعارف بالفرنسية أو الانجليزية فإن تشابه المفردات بين هذه اللغات قد يساعد على فهم الجمل القصار ولكنه لا يغنى كثيراً فى فهم المطولات ولا فى فهم التركيب الذى تختلف فيه قواعد التقديم والتأخير وخصائص القياس والشذوذ .

ومما يلاحظ فى هذه المجموعة أن الأمثال الموزونة أقرب إلى الفهم من الجمل المرسلة ولو تساوت فى عدد كلماتها .

وهذه نماذج من تلك الأمثال يظهر أنها حفظت بوزنها فلم تتبدل بما طرأ على اللغة من الزيادات الدخيلة .

يقولون فى أمثالهم :

« الله فينا إضافية ، كل ما يعمل علينا » كل ما نعمل عليه » .

ويقولون :

« مين يرقوت (يرقد) مايقبضش حوت » .

ويقولون :

« بدم الفقير ، جيد قط ما يصد » ،

ويقولون :

« واحد يموت فى سكرة واثانى يموت على قطرة » .

ويقولون :

« أخير هربة من كربة » .

ولا يصعب فهم الأبيات المقفاة إذا كانت منظومة فى أوزان قريبة من الأعاريض العربية ، ولكن المنظوم منها على قواعد التقطيعات الإيطالية أو الأوربية على العموم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قلما يفهم موجزا ويتعذر جداً أن يفهم إذا جاوز البيتين أو الثلاث .

وهم ينظمون الشعر اليوم على مذاهب مختلفة :

فمنهم من يفضل النظم بالإيطالية أو الانجليزية لفظا ووزنا ، ومنهم من يختار النظم باللهجة المالطية فى أوزان أوربية ، ومنهم من يوحد القافية ويميل إلى الأوزان التى تقترب من الأعاريض العربية ويسهل نقلها إليها ، وهؤلاء هم أقرب الشعراء معنى ولفظا إلى قراء اللغة العربية الفصحى أو العامية .

ومن أمثلة الشعر الموزون الذى يسهل فهمه هذه الأبيات على لسان محب ينوى السفر :

حنينة إصابر السافر
يا حسرة ما تخدوكش معاى
لك الله يعطيله الصبر
ويضحك فى « محبة وياى ؟ »

ولكن هذا الضرب من النظم يلحق بالاغانى الشعبية المحفوظة ويحكيها فى موضوعاتها وأوزانها ، ويندر أن ينظم فيه شعراء العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر ؛ لأنهم يميلون إلى النظم باللهجة المالطية على مثال نظمهم باللغة الإيطالية أو اللغة الانجليزية ، ويختارون من أجل ذلك عروضا توافق عروض الشعر اللاتينى القديم ، وتنطلق أحيانا من القوافى والأوزان .

* * *

فاللغة المالطية - إذن - لا تزال لهجة من لهجات اللغة العربية باعتبار عدد المفردات .

ولا تزال كذلك لهجة من لهجاتها باعتبار علاقات التركيب التى يحفظها الوزن وتدل عليها القرينة فى الجملة القصيرة .

ولكنها كادت أن تصبح لغة أجنبية فى مطولاتها المنثورة على الخصوص ؛ لأننا نقابل بين عشر صفحات مكتوبة بها وعشر صفحات مكتوبة باللهجات العامية فى أقطار بلاد العرب فلا نحصل مفهوم صفحة منها ولا يفوتنا مفهوم صفحة من اللهجات الأخرى .

والدرس المستفاد من تطور اللغة فى تلك الجزيرة يتلخص فى ملاحظتين ظاهرتين :

أولاهما : أن اللهجة العامية إذا انفصلت عن الفصحى تمام الانفصال فقدت ضوابطها وأهمها علاقات التركيب بين جملها وعباراتها المطولة ، وفقدت الحروف التى تتميز بها العربية .

وثانيهما : أن تسجيل اللهجة بالكتابة ينتهى إلى قطع الصلة بين فروع اللغة وجذورها ، ولا سيما الكتابة بالحروف اللاتينية .

وليست قيمة الوزن فى حفظ علاقات التركيب مما تفوتنا ملاحظته فى هذا المقام ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التقابل - دون التشابه

عامل من عوامل النمو الاجتماعي، وسنة من سنن الطبيعة

للأستاذ الدكتور محمد البهي

هل يمكن أن يقوم مجتمع بشرى من أفراد لهم خصائص واحدة ؟ : هل يمكن مثلا أن يكون مجتمع ذكور أو مجتمع إناث فقط؟. هل يمكن أن يكون أفراده متساوين فى الثروة أو فى عدمها أو متساوين فى قوة الشخصية الفردية أو ضعفها ؟ .

إن التقابل - وليس التشابه - مبدأ ضرورى لبقاء المجتمع البشرى . فى انسجامه وتماسكه .

١ — والأسرة — التى هى النواة الأولى للمجتمع — قيامها واستمرارها ليس رهناً فقط بمقابلة طرفيها من ذكورة وأنوثة بالمعنى الجنسى الذى يحقق التفاعل الحيوانى بينهما ويشكل النسل المقبل الصادر عنهما . وإنما يكون مع ذلك أو قبله بالتقابل فى الخصائص النفسية التى للذكورة والأخرى التى للأنوثة . وربما يتبع ذلك عدم التشابه فى التكوين البدنى بين الذكر والأنثى

فرجولة الرجل تفرض عليه من طبيعته أن يكون ذا شخصية قوية فى الترجيح ، وفى التصميم والتنفيذ . والترجيح يستلزم التأمل والدراسة كما يستلزم الخبرة والتجربة . والتصميم يتطلب قوة الاحتمال وطول الأناة والكياسة وسعة الحيلة .

وأنوثة المرأة تفرض عليها من طبيعتها أن تكون متجاوبة : تملك الطاقة على الملاءمة والقدرة على التقبل . وهى بحكم أمومتها الكامنة فيها ، تعطف ، على ولدها وتميل إليه أو تميل نحوه فى حضانته ورعايته. والولد لا يتبع اتجاها واحدا فى صغره بل شأنه فى الاتجاه كشأنه فى الحركة التى يتحركها ، لا تعرف معالمها على وجه محدد ثابت . فإذا لم تكن الأنثى من طبيعتها كأم ذات عطف وذات قدرة على الملاءمة لا تستطيع حضانة طفلها ولا قيادته فى السلوك وتكوين العادات فيه نحو اتجاه خاص مرغوب فيه .

والطبيعة البشرية كما تفرض على الرجل إذن أن يستمر فى خط واحد - وهذا ما يتطلب منه قوة الإرادة أو قوة الشخصية - تفرض على المرأة أن تعدّل اتجاهها ، كلما كانت هناك حاجة ماسة إلى التعديل فيه .

وهذا التعديل بدوره يتطلب منها قوة الملاءمة أو التجاوب أو العطف والميل كما ذكرنا .

ولو فرض العكس ، وكان الذكر ضعيف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشخصية يتردد عند الترجيح أو التصميم ، ويميل بمنة ويسرة فى اتجاهه . وكانت الأنثى فى مقابل ذلك قوية الشخصية ، قليلة العطف والميل . وقليلة التجاوب والملاءمة — فإن الاقتران بينهما لوقام لا يدوم . وتفقد المرأة على وجه أخص أهم عامل فى حياتها الزوجية وأهم معاون يدفعها كزوجة على الاستمرار فى هذه الحياة الجديدة الطارئة عليها ، لأنها تشعر وقتئذ بالرجولة فى طبيعتها . بينما لم تتخلص هذه الطبيعة بعد من جميع خصائص الأنثى .

وهنا يكون التناقض الداخلى فى نفسها ويكون الصراع بين عنصرين متنافرين فى مركب واحد . وهو مركب طبيعتها المسترجلة . ثم بالإضافة إلى ذلك لو ولدت ولداً بحكم التفاعل الحيوانى مع زوجها لا تملك توجيه الأمومة عندئذ ، وبالتالى لا تصلح بحكم تشويش طبيعتها أن تكون حاضنة له . ومن ثم لا تكون مثل هذه الأسرة نواة طيبة لمجتمع سليم .

ولو فرض أيضا أن كليهما كان قوى الشخصية أوضعيفها فالأمر لا يعدو استمرار الاحتكاك والنزاع فى حال قوة شخصيتهما معاً . ولا يعدو الملل والسآمة والتخبط والاضطراب فى حال الضعف الذى يسيطر على شخصية كل منهما .

وأسرة يبدأ الاحتكاك فيها ، من أول قيام العلاقة بين طرفيها ، ولا ينقطع هذا الاحتكاك طول قيامها بحكم الضرورة التى أوجبها افتراض قوة الشخصية فى الاثنين ، هى مثل الأسرة الأخرى التى يسود فى العلاقة فيها الملل والاضطراب والتخبط ، بناء على افتراض ضعف الشخصية لكل من الزوج والزوجة — لا تعتبر إحداهما هى الأسرة التى يقوم على أساس منها مجتمع قوى متماسك .

والقرآن الكريم عند ما يقول فى تنظيم العلاقة الأسرية : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، يعبر ضمنا عن مبدأ التقابل الذى بين الذكر والأنثى والذى هو سبب فى الانسجام واستمرار الزوجية الصالحة ، بعد أن يكشف صراحة عن خصيصة الرجل وهى رجولته التى تفرض عليه القيادة . تلك القيادة التى تتطلب بدورها قوة الشخصية فى الترجيح والتمييز على السواء .

وليس فى القرآن هنا فى هذه الآية ما يفيد بعد ذلك أنه وراء قيادة الرجل — بناء على قوة الشخصية المفترضة فيه — معنى آخر يبرر له أن يسىء التصرف مع زوجه بما يخرج عن مفهوم القيادة الإنسانية الرشيدة . وليست قيادته أو قوة الشخصية المفترضة فيه إلا خاصة وجدت فى طبيعته ، كما وجدت الخاصة البشرية الأخرى وهى قوة التجاوب والملاءمة فى الأنثى كميزة لها تفضل بها طبيعة الرجل . وكلتا الميزتان تحققان مبدأ التقابل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى هو ضرورة للانسجام والتعويض فى التقاء فردين وبقائهما فى علاقة بشرية قوية .

وحديث المتحدثين عن المساواة بين المرأة والرجل ، أو بالأحرى حديث المتحدثين عن حرية المرأة إذا عنوا بالمساواة بين الاثنين أو عنوا بحرية المرأة عدم استغلال الرجل لقوة شخصيته وعدم إساءة استخدامه لقيادته فى سلوكه مع المرأة — فذلك منطق الطبيعة البشرية ، وبالتالى تعاليم الإسلام . ولكن إذا قصدوا — من وراء ذلك — كما يحاول كتاب الشيوعية — إلغاء هذا الفارق البشرى فى طبيعة كل من الاثنين ، فقبل ذلك يجب عليهم أن يزيلوا نتوء الثديين فى صدر المرأة ، عن طريق « إله العلم ! » أو ينموا بوسيلته أيضا صدر الرجل ليصبح مساويا لصدر المرأة . وعندئذ تكون الطبيعة البشرية العضوية متساوية ، كما تكون خصائصها التى تنبثق عنها واحدة ، لا تفترق إلا فى نموها واتجاه تطورها ، بعد أن تكون متحدة فى ذاتها وجوهرها .

والاشتراكية الاجتماعية التى يحاول بعض كتابنا العرب بعد أحداث الثورة فى عيدها التاسع أن يفرضها فى الأسرة العربية على أنها تنظيم إنسانى فى الدرجة الأولى : فتعطى المرأة نفس الحرية الشخصية التى تعطى للرجل بداهة ، وتعطى من المسئولية نفس المستوى الذى يعطيه الرجل لنفسه — هى اشتراكية بالمعنى الذى يحاول كتاب الشيوعية أن يجعلوه مبدأ إنسانيا . لكنه لا ينبثق عن ازدواج الطبيعة البشرية للرجل والمرأة ، ذلك الازدواج الذى تكشف عنه الخصائص الجسمية ، ومعها الخصائص الإنسانية المميزة لكل من الاثنين .

إن هناك فرقا بين إساءة الرجل استخدام خصيصته البشرية وبين عدم اعتبار ما بين الرجل والمرأة من خصائص تميز أحدهما عن الآخر تمييزاً طبيعياً لا حيلة إطلاقا للإنسان فيه ، ولا يخضع لاختلاف التقدير والاعتبار .

ليس هناك كاتب إنسانى أو اجتماعى يرضى عن سوء السلوك الإنسانى أيا كانت دوافعه . ولكن يجب أن تحدد الحقائق طبقا لواقعها . لا طبقا لاعتبار خاص يملأ نفس الكاتب ويدفعه عند عرض معالجته لمشكل ما إلى اتجاه خاص .

إن معالجة بعض ظواهر النقص الاجتماعى لا تكون بإنكار مبدأ طبيعى واقعى فى حياة الإنسان ، وإنما بتتبع مصادر النقص نفسها ورفعها أو كبتها من حياة الإنسان فى المجتمع .

* * *

٢ — ولو انتقلنا إلى مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى فيما وراء الأسرة لوجدنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن « التقابل » كما هو ضرورة فى قيام الأسرة ـ كنواة للمجتمع ـ ضرورى لبقاء الحياة الاجتماعية وبقاء قوة المجتمع وتماسكه : التقابل فى الثروة والغنى والتقابل فى المعرفة ، والتقابل فى القيادة والتوجيه ، والتقابل فى الإمكانيات التى تجعل من بعضها عوضا عن البعض الآخر بين الأشخاص والتى من أجل ذلك تقرب الفردين لحاجة العوض إلى الإبقاء على العلاقة والترابط بينهما .

فحرمان الأفراد من الملكية الفردية إطلاقا ، والمساواة التامة فى توزيع الثروة بحيث لا يشذ فرد عن فرد فى عدد أو فى نوع ما يملك ـ ظاهرة غير طبيعية فى المجتمع ، وبالتالى لا تؤدى إلى لقاء الأفراد بعضهم مع بعض ولا إلى تماسكهم . لأن مبدأ العوض القائم على « التقابل » غير موجود الآن . وهنا كانت الشيوعية ـ فى الجانب الاقتصادى ـ القائمة على الحرمان من الملكية الفردية إطلاقا ظاهرة تُفرض على المجتمع ، ولكنها لا تكون منبثقة عن تطوره الطبيعى . وكذلك الشأن فى توزيع الثروة القومية على الأفراد بنسب متساوية فى كمها نوعها أيضا ظاهرة تأتى من خارج المجتمع ، ولكنها لا تعبر عن تطور داخلى فيه .

والتقابل فى المعرفة كذلك مبدأ طبيعى ، والتخصص الناشئ عنه ظاهرة اجتماعية طبيعية . فليس من المعقول أن يكون جميع أفراد المجتمع أطباء ، أو علماء طبيعة أو جيولوجيا ، أو علماء اقتصاد قومى أو سياسى ، ولا من المعقول كذلك أن يكونوا متساوين بدرجة واحدة فى نفس المستوى الذى لكل واحد منهم . وإنما المفارقة أو التقابل تملى ضرورته حياةُ المجتمع نفسه بل يمليه تماسكه واستمراره كمجتمع : فهناك الطبيب وفى مقابله من لا يعرف الطب من رجال القانون أو الهندسة أو الطبيعة أو الكيمياء . وهناك القانونى ومن معرفته بالقانون معرفة سطحية أو قليلة الجدوى من رجال الطب أو العلماء الآخرين وهكذا ...

وهناك التقابل فى القيادة والتوجيه : هناك شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ، وهناك شخصية الرعية التى تؤمر فتطيع . هذا التقابل حتمى لبقاء المجتمع وتماسكه وظاهرة طبيعية فيه . وليست شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ترجع إلى العنف أو إلى القهر والإلزام ـ وإلا لا تكن عنصراً فى ظاهرة طبيعية ـ وإنما ترجع إلى كياسته وصبره وتحمله المشاق فى سبيل تنفيذ قيادته ، بعد فهمه الواعى لحياة مجتمعه ونفسية شعبه ، وبعد محبة له من رعيته بناء على إحساسهم الذى يكاد يكون مجسداً بما تنطوى عليه نفسه وينطوى عليه تفكيره وقلبه بالنسبة لخير مجتمعه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وشخصية الرعية التي تؤمر فتطيع لا ترجع قابليتها للأمر وتنفيذها للطاعة إلى ضعف في أفراد الرعية وإنما إلى تأثرهم بمحبة القائد الموجه، وإلى إدراكها لما ينطوي عليه نفسه من استقامة في السلوك نحو رعيته وما ينطوي عليه تفكيره من حكمة وكياسة لقيادة مجتمعه والخروج به من الأزمات الداخلية والخارجية إلى ما يحقق رفاهيته وقوته.

ويستحيل أن يكون جميع أفراد المجتمع من أصحاب القيادة الذين يأمرون فيطاعون، كما يستحيل أن يكونوا جميعا من الذين يقبلون الطاعة، دون أن يكون من بينهم من يولّى عليهم لصلاحيته للقيادة والتوجيه.

وهكذا التقابل بين أفراد المجتمع، كما هو واضح بين الذكورة والأنوثة، واضح أيضا بين أفراد المجتمع فيما يتميز به فرد عن فرد. وفيما يتميز به مجموع الأفراد عن قائدهم ويتميز به القائد الموجّه عن بقية الرعية التي تقبل القيادة والتوجيه. والمساواة الحرفية في كل شيء إذن مساواة تفرض أو تفتعل، ولكنها لا تنبثق إطلاقا عن واقع المجتمع وعن علاقات الأفراد بعضهم مع بعض.

ولكن لا ينبغي إطلاقا أن تكون هذه المفارقات، أو يكون مبدأ التقابل مؤديا إلى تكوين طائفية أو تكوين طبقات في المجتمع. لأن الطائفية أو الطبقية ستقيم حجابا تمنع من التقاء الأفراد بعضهم مع بعض. والمفروض أن مبدأ التقابل هو للحمل على الالتقاء وليس للمنع من التقاء.

فالطبقية والطائفية إذن مرض من أمراض المجتمع يجب أن ينجى، ولكن التقابل نفسه أمر ضروري يجب أن ينمى وأن يحافظ عليه لبقاء المجتمع وقوته.

وفي حديث الرئيس جمال عبد الناصر في عيد الثورة التاسع صور القوانين الاشتراكية التي أصدرتها الثورة للتنظيم الاجتماعي والاشتراكي: بأنها للقضاء على الطبقية، وليست للقضاء على المفارقات الفردية. هذه المفارقات التي تكون مبدأ التقابل المذكور.

والإسلام عندما يشير في آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم إلى المفاضلة في الرزق على نحو ما في قوله: «والله فضل بعضكم على بعض في الرزق»، أو إلى المفاضلة في الإمكانيات الأخرى الإنسانية: في المعرفة والتوجيه والقيادة مثلا، على نحو ما في قوله: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»، وفي قوله: «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم»، وفي قوله: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» — يقصد إلى المفارقات الفردية التي هي ضرورة في المجتمع، ولكنه لا يقصد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يحال إلى خلق الطائفية أو الطبقية التي تضع الحجاب بين فرد وفرد والتي تجعل تقدير الأفراد التقدير الإنساني مختلفاً .

فنداء الله للمؤمنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن » — يعبر تعبيراً واضحاً عن أن المفارقات الفردية ليست سببا لاختلاف التقدير الإنساني الذي تقوم عليه الطائفية أو الطبقية . بل يجب أن يظل — كما هو شأنه في الوجود — عاملا في قوة المجتمع ونموه وليس عاملا في هدمه أو في تفتيته . إذ الطائفية أو الطبقية تنبئ عن قيام مجتمعات متعددة ، أو وحدات اجتماعية مختلفة داخل إطار المجتمع الأصلي . وهذا بدوره يعني انحلال المجتمع الأول أو ضعفه على الأقل .

ويقرر الإسلام المفارقات الفردية ، ومبدأ التقابل في الحياة الإنسانية : تختلف نظرته عن نظرة الشيوعية ويقف من أجل ذلك في طرف آخر مقابل لها . ومن هنا ندرك لماذا تهاجم الشيوعية الإسلام ؟ وندرك بالتالي محاولة بعض كتابنا العرب الاشتراكيين التقليل من قيمة الدين في حياة الإنسان واستبداله بما يسمى « العلم » وبالوسيلة العلمية في الإقناع .

والعلم الذي تؤلهه الشيوعية وتحاول أن تجعل منه بديلا عن الدين هو علم صائر متطور ، ومتغير متنقل . لا يعرف له استقرار ، طالما الإنسان يتطور ، وطالما الإنسان يسعى للكشف والمعرفة في الحياة ، وما دامت وسائل العلم نفسها تتجدد وتتغير . وهو من أجل ذلك لا يعبر عن حقيقة نهائية ، فلا يصلح بذاته أن يكون وسيلة للإقناع لأجيال الإنسانية جميعها . وإنما ما يصلح منه اليوم لإقناع جيل بعينه قد لا يصلح فيما بعد لإقناع جيل الغد فضلا عن أن عقلية الناس تختلف ويستحيل أن تكون واحدة ولها مستوى واحد واتجاه واحد — مما يحتمه مبدأ التقابل أو مبدأ المفارقات الفردية . والعلم إن صلح لإقناع بعض الناس قد لا يصلح للأكثرية الغالبة منهم .

ومن أجل ذلك كان العلم — الذي تحاول الشيوعية أن تجعله بديلا عن الدين في الإقناع — وسيلة قاصرة في ذاتها ووسيلة محدودة بالنسبة للناس جميعاً .

والاشتراكية بمفهومها غير الملتوي تقريب للناس فيما يملكون وإعادة الوضع الإنساني الطبيعي فيما يمارسونه في حياتهم من حرية ومن علاقة ، طبقا لخصائص الطبيعة البشرية ، وتبعا لما توحي به هذه الطبيعة من الكفاح في سبيل المثل العليا ، وهي مثل الإنسانية : من عدل ، وكرامة وسلام واطمئنان وأخوة ، ومحبة ؟

الدكتور محمد البهي
المدير العام للثقافة الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٧ —

اشتهر بين الناس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حكم فى بعض الأمور بأحكام تخالف ظاهر الكتاب أو السنة ، ويمثلون لهذا بموقفه من المؤلفة قلوبهم ، وبإيقاعه الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ، وبتحريم بيع أمهات الأولاد ، وبمنع قطع الأيدى على السرقة فى عام المجاعة ، وغير ذلك .

وبعض المؤلفين والباحثين المعاصرين يطيب لهم أن يصفوا هذا الصنيع من عمر رضى الله عنه بأوصاف تفيد معنى التحرر ، أو التطور ، أو تعليق النصوص أو نسخها ... إلخ ، وهذه نزعة لا تمثل الواقع ، ولا تلائم مركز عمر فى فقهه وعلمه وإيمانه بكتاب الله وسنة رسوله .

وقد تحدثنا من قبل عن موقف عمر فى أمر المؤلفة قلوبهم ، وبينا أننا لا نرى فى صنيعه نسخا لآية قرآنية ، أو تعليقا لنصها ، أو تغييراً فى حكمها [1] .

والآن نعرض بالتحليل لموقفين آخرين من مواقف عمر التى مثلوا بها ، وهما : حكمه بعدم قطع الأيدى على السرقة فى عام المجاعة ، وإبطاله لعقوبة التغريب (النفى) للزانى غير المحصن ، بسبب التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، عند ما عاقبه بهذه العقوبة ، فقال عمر : « لا أغرب بعدها أبدا » وجرى من بعده على هذه السنة .

فنقول وبالله التوفيق :

إن الذين يقررون أن عمر رضى الله عنه خالف النص القرآنى حين منع قطع الأيدى بالسرقة فى عام المجاعة ، يريدون بالنص القرآنى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ويقولون إن هذا النص عام مطلق ، فقد أمر الله بقطع يد السارق والسارقة أيا كانوا ، فعمم هذا الحكم تعميما ، وأطلق فيه فلم يقيده بما إذا كانت السرقة حدثت فى حالة مجاعة أو فى حالة يسر ، وقد فهم النبى صلى الله عليه وسلم هذا العموم ، حتى قال : « والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم تقييد القطع بما إذا كان

[1] راجع مقالنا الخامس من هذه النظرات فى ح ٧ الصادر فى رجب سنة ١٣٧٩

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السارق فى حال يسر ، ومنعه إذا كان فى حال احتياج ، فمن أين أتى عمر بن الخطاب بهذا التقييد ؟ ثم إن عمر لم يكن يكلف نفسه البحث عن حالة السارق ، وهل كان فى حالة فاقة واحتياج ، أو كان فى حالة يسر وحرج من أمره ، ولكنه اكتفى بالحالة العامة للناس فى سنة المجاعة ، وقد يكون السارق بالذات غير محتاج ، فإن حالة المجاعة وإن عمت كثيراً من الناس قد يخرج عنها فرد أو أفراد ، فكيف ساغ لعمر أن يوقف حد القطع قبل أن يحقق حالة السارق نفسه ؟ فما ذلك إلا لأن عمر أعطى نفسه حق التصرف فى النصوص وتقييدها ، أو تعليقها بما يراه محققا للمصلحة .

والجواب ـ وبالله التوفيق :

أن عمر رضى الله عنه لم يعلق هنا نصا ، ولم يعدل ، ولم ينسخ ـ وحاشاه أن يرى لنفسه هذا الحق ـ وإنما فهم أن آخذ المال فى عام المجاعة لا يوصف بأنه سارق ؛ لأنه يرى لنفسه حقا فيما يأخذ ، والسرقة هى أخذ الإنسان ما لا حق له فيه خفية .

بيان ذلك : أن من أصول الإسلام القائمة التكافل بين الناس ، على معنى أنه يجب على المجتمع وجوبا كفائيا أن يغيث أفراده الذين نزلت بهم الفاقة حتى أوردتهم موارد الضرورة ، فإذا لم يقم المجتمع بهذا الواجب الكفائى للمضطرين كان آثما ، وكان للمضطر أن يأخذ ما يقيت به نفسه ويدفع ضرورته .

وعام المجاعة من غير شك ، هو ظرف زمانى يغلب فيه وجود أفراد مضطرين على هذا النحو ، فهو مظنة لوجوب الحق لهم على المجتمع ، ولا ينظر فى هذا لتحقق الضرورة فعلا بالنسبة لشخص السارق ، أو عدم تحققها حتى يقطع أو لا يقطع ، فإن هذا موطن من مواطن الحدود ، والحدود تدرأ بالشبهات ، فيكفى أن يقول الحاكم لعل هذا إنما سرق لضرورة ألجأته إلى السرقة ، فتكون هذه شبهة قوية تدرأ عنه الحد ، أما لو كان العام ليس عام مجاعة ، وإنما هو عام يسر ورخاء فإن هذه الشبهة لا تكون قوية ، ولا يجوز درء الحد بها ، لأن العبرة فى الشبه التى تدرأ بها الحدود إنما هى بقوتها ، وتأييد الظروف لها

فعمر بن الخطاب ، يتعلق فقهه بلفظ ارد فى النص . هو قوله تعالى : « والسارق والسارقة » فيفسره بأنه آخذ ما لا حق له فيه خفية ، ثم يطبق مفهومه على السارق فى عام المجاعة . فيراه آخذا ماله حق فيه ، ومن ثم لا يشمله النص ، فلا يجب قطعه . ثم يعمق فقهه فى هذا فيقرر أن مظنة الضرورة ، وهى عموم الأمر ظنا فى عام المجاعة ، تنزل منزلة الضرورة الفعلية ، ومن ثم لا يجب الفحص فى عام المجاعة عن حالة سارق بعينه ، ليعلم أكان فى فاقة وضرورة ، أم لم يكن .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومما يدل على نظرة عمر رضى الله عنه فى تفسير السرقة بأنها أخذ الإنسان مالا حق له فيه ، ما رواه القاسم بن عبد الرحمن من أن رجلا سرق من بيت المال ، فكتب فيه سعد بن أبى وقاص ، لعمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : « أن لا قطع عليه ، لأن له فيه نصيبا » ولذلك أيضا نظير فيما يروى من فقه على رضى الله عنه ، فقد حدث سفيان الثورى عن سماك بن حرب عن عبيد بن الأبرص : « أن على بن أبى طالب أتى برجل قد سرق من الخمس مغفرا ، فلم يقطعه علىّ وقال إن له فيه نصيباً » .

وفى صنيع عمر من منع القطع فى عام المجاعة ، يقول ابن حزم الظاهرى ، مع شدة تمسكه بتحكيم النص مطلقاً عاما فى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ما نصه : —

« قال أبو محمد : من سرق من جهد أصابه فإن أخذ مقدار ما يغيث به نفسه فلا شىء عليه . وإنما أخذ حقه ، فإن لم يجد إلا شيئاً واحداً فيه فضل كثير كثوب واحد أو لؤلؤة واحدة أو بعير أو نحو ذلك فأخذه كذلك فلا شىء عليه أيضا ، لأنه يرد فضله لمن فضل عنه ، لأنه لم يقدر على فصل قوته منه ، فلو قدر على مقدار قوت يبلغه إلى مكان المعاش فأخذ أكثر من ذلك ، وهو يمكن ألا يأخذه فعليه القطع ؛ لأنه سرق ذلك عن غير ضرورة . وإن فرض على الإنسان أخذ ما اضطر إليه فى معاشه ، فإن لم يفعل فهو قاتل نفسه ، وهو عاص لله تعالى ، قال الله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم » وهو عموم لكل ما اقتضاه لفظه ، وبالله التوفيق ، ص ٣٤٣ ج ١١ « من المحلى » .

وهكذا نرى ابن حزم يفهم ما فهمه عمر من أن آخذ حقه لا يكون سارقا ، نعم إنه خصص عدم القطع بما إذا اقتصر الآخذ على أخذ حقه ، أو أخذ الأكثر الذى لا يمكن تجزئته ، وهذا خلاف فى تفصيل الرأى بعد الاتفاق على المبدأ ، وعمر أجرى الأمر ، فى عام المجاعة على التيسير فى تقرير الضرورة دون اعتبار ما اعتبره ابن حزم ؛ لأنه رأى ذلك أشبه بغرض الشارع من درء الحدود بالشبهات ، والشبهات كما تكون فى ثبوت الفعل تكون فى تقدير الحاجة وتكييف الفعل .

ومما يتلاقى مع فكرة عمر فى أن الآخذ لا يعد سارقا إلا إذا أخذ ما ليس له فيه حق ، ما قرره مالك وأبو حنيفة والشافعى وابن حنبل وغيرهم من أن الأبوين إذا أخذا شيئا من مال ابنهما أو بنتهما ولو على سبيل الخفية فلا قطع عليهما ، قال الشافعى : وكذلك الأجداد والجدات كيف كانوا لا قطع عليهم فيما أخذوه ولو على سبيل التخفى من مال من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تليه ولادتهم ، ودليلهم على ذلك أن للوالد حقاً فى مال ولده وقد فرض الله على الولد أن يعفف أباه إذا احتاج إلى الناس ، فله من ماله حق بذلك .

فاعتبارهم ثبوت حق الوالد فى مال الولد بما فرضه الله عليه من إعفافه إذا احتاج ، يرشدنا إلى أن من أخذ مال غيره لجهد أصابه لا يعد سارقا لأن الشارع أوجب له بمقتضى الجهد والحاجة حقا فى المال الذى أخذه ، ولا فرق فى هذا المعنى بين مجهود يأخذ من مال غيره ، وآخذ من بيت المال أو من الغنيمة ، إذ كل هؤلاء لهم نصيب فيما أخذوا منه

وابن حزم يناقش فى مسألة الوالدين والآخذ من بيت المال أو من الغنيمة بما ناقش به فى مسألة الآخذ فى حالة الجهد ، ويصرح فى مسألة الوالدين بالمبدأ المتفق عليه فيقول :

« ولم يخالفهم أحد فى أن الوالدين إذا احتاجا أخذا من مال ولدهما حاجتهما باختفاء أو بقهر أو كيف أخذا ، فلا شىء عليهما فإنما أخذا حقهما » (٣٤٥ من المصدر نفسه) .

ويذهب ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين مذهبا قريباً مما ذهبنا إليه ، حيث يعتبر سقوط القطع للشبهة التى تدرأ الحد بناء على الضرورة الملجئة فيقول فى ص ٣٣ من الجزء الثالث :

« وقد وافق أحمد على سقوط القطع فى المجاعة الأوزاعى ، وهذا محض القياس ، ومقتضى قواعد الشرع . فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له إما بالثمن أو مجانا ، الخلاف فى ذلك ، والصحيح وجوب بذله مجانا ، لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج . وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج ، وهى أقوى من كثير من الشبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ، بل إذا وازنت بين هذه الشبهة وبين ما يذكرونه ظهر لك التفاوت ، فأين شبهة كون المسروق مما يسرع إليه الفساد ، وكون أصله على الإباحة كالماء ، وشبهة القطع به مرة وشبهة دعوى ملكه بلا بينة ، وشبهة إتلافه فى الحرز بأكل أو احتلاب من الضرع ، وشبهة نقصان ماليته فى الحرز بذبح أو تحريق ثم إخراجه ، وغير ذلك من الشبه الضعيفة جداً ، إلى هذه الشبهة القوية ، لاسيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد به رمقه ، وعام المجاعة يكثر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب فدرئ ، نعم إذا بان أن السارق لاحاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع .

كل هذا يبين لنا أن الأمر فى نظر عمر لم يخرج عن النص ، وليس فيه إبطال له ولا نسخ ولا تعديل ، وإنما هو تطبيق دقيق للفظ المشرع مع ملاحظة رغبته الصريحة فى درء الحدود بالشبهات .

والأمر كذلك فى عقوبة التغريب ، أى نفى الزانى غير المحصن : ليس فى ترك عمر إياه نسخ النص ، وذلك أنه إنما امتنع عن التغريب بعد التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، متبعا فى ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك يقول العلامة ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين ص ٢٩ جزء ٣ :

« إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو » - رواه أبو داود . فهذا حد من حدود الله تعالى وقد نهى عن إقامته فى الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره ، من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضبا كما قاله عمر وأبو الدرداء وحذيفة وغيرهم ، وقد نص أحمد وإسحق بن راهويه والأوزاعى وغيرهم من علماء الإسلام : على أن الحدود لا تقام فى أرض العدو ، وذكرها أبو القاسم الخرقى فى مختصره فقال : لا يقام الحد على مسلم فى أرض العدو ، وقد أتى بشر بن أرطأة برجل من الغزاة قد سرق بجنسه ، فقال لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تقطع الأيدى فى الغزو لقطعت يدك رواه أبو داود ، وقال أبو محمد المقدسى وهو إجماع الصحابة : روى سعيد بن منصور فى سننه بإسناده عن الأحوص بن حكيم عن أبيه : أن عمر كتب إلى الناس أن لا يجلدن أمير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين أحدا وهو غاز ، حتى يقطع الدرب قافلا ، لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار . إلخ » .

ثم أورد ابن القيم فى ذلك أمثلة أخرى . وعقب بقوله :

« وليس فى هذا ما يخالف نصا ولا قياسا ولا قاعدة من قواعد الشرع ولا إجماعا ، بل لو ادعى أنه إجماع الصحابة كان أصوب ، قال الشيخ فى المغنى : وهذا اتفاق لم يظهر خلافه . « قلت » وأكثر ما فيه تأخير الحد لمصلحة راجحة إما من حاجة المسلمين إليه أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار ، وتأخير الحد لعارض أمر وردت به الشريعة كما يؤخر عن الحامل والمرضع ، وعن وقت الحر والبرد والمرض ، فهذا تأخير لمصلحة المحدود ، فتأخيره لمصلحة الإسلام أولى » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(اه ما ذكره ابن القيم ص ٣٠ من الجزء نفسه) .

وأقول . إن هذا البحث وإن كان فى تأخير الحد وليس فى مسألة التغريب . إلا أنه يرشدنا إلى ما استند إليه عمر أخذا من سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث رآه ينهى عن القطع فى الغزو ، وعن أن يحد مرتكب مع خوف لحوقه بالمشركين ، ففهم من ذلك أن الحرص على بقاء المسلم وعدم لحوقه بالكفار مقدم فى السنة على إقامة الحد ، ولا شك أن هذا رعاية للمصلحة ، ولكنها مصلحة أرشد إليها الشارع نفسه واعتبرها وطبقها ، فلا مناص من تطبيقها وتنزيل النص عليها ، والأمر فيها يرجع إلى القياس . حيث معنا أصل وهو عدم تنفيذ الحد وعلته وهى خوف لحوق المحدود بالكفار ، وفرع وهو عدم التغريب للعلة نفسها .

وإذن فليس هذا نسخا من عمر لحكم شرعى وإنما هو اتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو أن الخوف من لحوق المسلم بالكفار زال لوجب الحد ، جلداً كان أو قطعا أو تغريبا .

هذا وفى التغريب كلام آخر من حيث كونه حدا أو تعزيرا ، وعلى أنه تعزير يكون الأمر فيه إلى الإمام ، إن شاء فعله وإن شاء تركه لمصلحة يقدرها ، وهو مفوض فى ذلك من الشارع ولا يعد حين الترك ناسخا لحكم؟

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المرء بمخبره لا بمظهره

وقف رجل حسن الشارة ، حلو الإشارة على المبرد فسأله عن مسألة ، فأحال ولحن وتسكع فى الخطأ فقال له المبرد : يا هـــذا . أنصفنا من نفسك ، إما أن تلبس على قدر كلامك ، وإما أن تتكلم على قدر لباسك ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

مقارنات ومفارقات

بين الجن والأنس والأنعام

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم الغافلون » .

١ — بينما نجد القرآن الكريم يرفع من شأن الإنسان فى كثير من آياته ، حتى ليصرح بأن الله فضله على كثير من خلقه تفضيلا ! ! .

نجد القرآن فى مقامنا هذا ينزل بالإنسان إلى حضيض الهوان ، حتى ليجعله فى منزلة الأنعام من بقر ، وأغنام ، وإبل .

وهذا تنويع فى الحديث عن الإنسان يثير الانتباه إلى ما هنالك .

٢ — فتفضيل الإنسان باختياره خليفة فى الأرض ، وإيثاره بالمدارك والشعور ، وتخصيصه بالعلم والحكمة ، وتمييزه بالتشريع ، وتوجيه الخطاب إليه ، واختيار الأنبياء منه وفى كل ذلك إشادة بالإنسان ، وتقليد له بمقاليد الثقة فيه ، وانتظار الأمانة من جانبه ، والوفاء بما عهد إليه من طاعة ، وتعمير ، واستخدام للطبيعة فى إبراز معالم القدرة .

٣ — والنزول بالإنسان بعد ذلك منوط بأسباب من جهته هو ، وبما رضى لنفسه من تجاهل لمكانته ، وشأنه ، وتسامح فى أمانته وزهادة فى حسن علاقته بربه الذى بوأه مقعد السيادة بين خلائقه .

وقد مر بنا فى حديث قريب أن بعض بنى الإنسان هبط بنفسه حتى عاد فى لجاجه أشبه بالكلب اللاهث دائما والذى اعتاد الناس أن يذكروه فى معرض التسفيه والحقارة ، وإن كانت له مزايا مشكورة .

٤ — فإن يكن للإنسان مقام رفيع فى اعتبار القرآن فذلك بما آتاه الله من فضله ، وإن يكن للإنسان هوان ، ونزول فى قصص

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القرآن ، فذلك بما اختار الإنسان لنفسه والجناية منه ، لا من سواه ، والإنسان ظلوم ، جبار ، كفار .

٥ - ومن عدالة القرآن فى حديثه أن يفصح فى موضوعنا الآن عن صفات أولئك الذين أساءوا ، ويذكر شأنهم ، وما كانوا عليه ، فلم يجعل الحكم لبنى الإنسان جميعا ، وإن كان له تعميم فى بعض الأحيان قاصدا إلى الجنس فى عمومه الإجمالى ، لا إلى التعميم فى حكمه وهو يقول هنا : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس » فهذا حديث عن فريق من الجن والإنس لا عن الجميع والحمد لله .

فالجن والإنس مكلفون جميعا ، وإن كانت الرسالة فى الإنس خاصة فالتبليغ عام بالوساطة ، ونحن نعلم أن الله إذ خلق الجميع جعل الغاية العليا المنظورة منهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به غيره « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

وهذه الغاية بحسب فطرتهم وما أتيح لهم من إدراك ، ومقارنة بين الخير والشر والحق والباطل ، وتفضيل واختيار لأنفسهم .

وفى جانب ذلك يقول : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس » فكيف يخلقهم للعبادة ، ثم كيف يخبر أنه خلقهم وبثهم فى كثرة ظاهرة ليكونوا لجهنم .

وهذه شبهة يتخيلها الفهم ، ولكن المراد أنه بعد أن خلقهم كانت عاقبة ذلك أن حصل من كثير منهم انحراف باختيارهم ، فعملوا عملا غير صالح ، فكانوا لهذا أهل جهنم ... والله تعالى يحيط بكل هذا من قبل أن يخلقهم ، ويعلم أن اختيارهم سيكون شرا على أنفسهم ، فذرأهم فى دنياهم عالما بمآلهم الأخير ، فكأنه خلقهم لهذا وحده بمقتضى اختيارهم الخاص وانصرافهم عن الهداية إلى غيرها .

وذكر الجن فى صدر الكلام يؤكد أنهم مكلفون كما تؤكد ذلك آيات كثيرة صريحة ، بل يؤكد أن حظهم فى العقاب أشد من الإنس لكثرة العصاة ، منهم وحسبنا أن الشياطين منهم . وفى هذا ما يزيل الجهالة التى دفعت بعض المتحدثين إلى إنكار تكليف الجن بما كلف به الإنس من شئون الدين .

٦ - ثم أخذ القرآن يواجهنا بسبب انحدار الإنسان مع المنحدرين من الجن عن مستواه الرفيع ، واتجاهه إلى غير أهدافه الكريمة .. فذكر أموراً ثلاثة .

الأول - أن لهم قلوبا - ولكن لا يفقهون بها .

الثانى - أن لهم أعينا - ولكن لا يبصرون بها .

الثالث - أن لهم آذانا - ولكن لا يسمعون بها .

(ا) فالقلب للتعقل ، وهو هنا جانب روحى فى الإنسان ، ليس مرادا منه تلك القطعة المعروفة فى الجسم ويسمى عند العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الجانب الشرعى عقـلا بالنسبة لأنه أداة الفهم ، والتعقل ، ومن هـذا قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ؟؟ » .

ويسمى عندنا اليوم بالضمير ، ومن هذا قوله تعالى : « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » . أى تألمت ضمائرهم بسبب كفرهم .

(ب) والأعين للإبصار ، والمشاهـدة ، وتعرف ما فى الدنيا من آثار القدرة وملاح الوجود فى هذه الحياة .

(ج) وكذلك الآذان للسمع ، واستماع القرآن والإرشاد والاعتبار .

ومن هـذا يتبين أن الآيات الكونيـة المشاهـدة ... وأن الآيات المتلوة فى القرآن تتلاقى كلها من طريق السمع ، والبصر ، وتستقر آثارها فى القلب الواعى ، فتكون النتيجة علما وإيمانا وفطنة إلى كل ما ينفع وتلك غاية الدعوة الدينية لخير الإنسان من هنا وهناك .

وهذه الوسائل موفورة للجن ، والإنس خلقت لهم ؛ لأنهم أهلها ، وفى حاجـة إلى الانتفاع بها ، فإذا عطلوها عن الجانب الدينى أو صرفوها إلى غير النواحى الجـدية ، فلم يستفيدوا بها تعقلا ، ولا مشاهدة ، ولا متابعة لأحداث التاريخ ، كانوا فى هذه الناحية أشبه بالأنعام فى سذاجتها .

فإن الأنعام لا تعقل من دنياها إلا ما تدفعها إليه الغريزة من إحساس بالجوع أو العطش والتعب ، وليس لهـا فى دنيا العـلم مجال ... وعلى هـذا لا يتحقق الفرق فى الإنسان على الحيوان ما دامت الغاية واحـدة فى أكل وشرب ، وملاذ ، ومتاعب .

بل المكلفون من الجن والإنس يكونون أكثر ضلالا من الأنعام ؛ لأن هذه معذورة بتجردها من تلك المزايا ، والوقوف بهـا عند تسخيرها للإنسان فى منافعه .

بل يكون المتكلفون كذلك أكثر ضلالا لسماعهم ما سمعوا من الآيات ، وشهودهم ما شهدوا ، ولعلمهم بأنهم مسئولون عن كل ذلك ، ومعاقبون على إغفاله ، فهم سادرون فى غير اكتراث .

مع أن الأنعام تتقى ما يخيفها ، وتتجنب ما يضرها إذا استشعرت شيئا من ذلك .

فوضح أن الإنسان والجن قد تنزل مكانتهما فى الاعتبار عن درجة الأنعام .

وصدق فيهم قول الله تعالى : « لهم قـلوب لا يفقهون بها - إلى قوله : إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل » .

ولو كانوا من غير قلوب ، أو من غير أعين ، وأسماع : لكان خطبهم أهون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن الحجة قائمة عليهم بما أنعم الله ، وبما فضلهم به . ولكنهم عطلوا هذه الأسباب التي أتيحت لهم فكانت عليهم مسئولياتها ، وصاروا في غفلة عن أنفسهم لا تساويها غفلة الحيوان الأعجم ، وكأنه لاغفلة من سواهم مهما يكن الشأن ، فحصرها القرآن فيهم « . . وأولئك هم الغافلون » ، وما زال القرآن يجدد الذكرى ، ويصدع بها في الأسماع ، وهم على ما وصفوا به « إن السمع والبصر والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسئولا . . »

وما يزال الإنسان يعطى من نفسه دليلا على صدق ما ورد في شأنهم ، وما يزال واقفا من دعوة الله موقف الأجنبي عنها ... كأن هناك إنسانا آخر ، وكأنه هو ذاهب إلى عاقبة مضمونة في ناحية غير الناحية التي يحشر الناس إليها جميعا .

وإذا كانت الآيات التي عرضنا لها زاجرة : أو من شأنها أن تزجر المرء عن ضلاله ، فعليه في حساب العقل الواعي أن يختار غير مسلكه .

ومن لطائف الكتاب العزيز أن ينتقل بنا من جانب الإنكار ، والتنديد في هذا المقام : إلى جانب الإرشاد ، والتبصير . وهذه سياسة علاجية يستريح إليها المنطق الناضج ، ويدركها الشعور الحصيف . وانظر إلى قول الله - سبحانه - عقب ذلك التهديد ، والتقريع : « ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون » ، نعم : من طرق العبادة التي رضيها الله لنا ودعانا إليها ، ويحاسبنا عليها . أن ندعوه بأسمائه ، ونقصد إليه فيما نحتاجه ونطلبه ، متوسلين بذكره والثناء عليه بما هو أهله ، وفي الذكر تواضع مفروض علينا . وتعظيمه حق مطلوب منا ، وفي الثناء تقرب ، واستشفاع ، وحظوة .

ثم لم يضيق الله علينا فيما نذكره به ، بل له أسماء كثيرة ، وكلها ميسورة ، وله صفات كذلك تثبت له ما هو حق له وحده .

وطريق العلم بها كتابه وسنة رسوله فهو الله ، العلي ، الكبير ، الواحد ، الأحد ، المنعم ، الرحمن الرحيم ، السميع العليم ... وهكذا مما نعرف بداهة ومما نتلوه في كتابه ، وباب ذلك واسع .

وهناك صفات وردت في سياق آياته ولكنها لا تذكر إلا مقرونة بما يتعلق بها فالله يقول « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟؟ » فلا يقال مثلا : الله زارع لأنه وصف لم يختص به تعالى بل يقال على أنه خالق الزرع .

ويقول تعالى عن الكفار : « الله يستهزئ بهم » فلا يقال في دعائه : يا مستهزئ لأن ذلك ليس من الثناء المحض .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقول سبحانه : « ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون » ، فلا يقال في دعائه ولا في جانبه مطلقا : يا ماكر أو الله ماكر .

لذلك نذكره بما هو مشهور لدينا من صفات الكمال .

وأما ما لا نعرفه فلنتوقف في ذكره به ، وكفانا ما نعرف من أسمائه وصفاته . وللعلماء تفصيل مشكور في مواضع الحديث عن أسماء الله تعالى .

وقد وصف الله الأسماء بقوله : « الحسنى فادعوه بها » ، يشير إلى أسمائه الواردة وإلى ما ليس بمحظور ، ولا شبهة فيه . وكل أسمائه الواردة وصفاته الكريمة : كلها حسن وحق وذكرها عبادة .

وكان الناس قديما يلحدون في أسمائه ، فينكرون بعضها كلفظ الرحمن مثلا ، « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا : وما الرحمن؟ » يجهلون ذلك أو يتجاهلونه وكانوا يدخلون في أسمائه مالا يليق به كوصفه بالأب ... أو كانوا يطلقون بعض أسمائه المعروفة ويريدون بها غير الصواب .

والله سبحانه ينهانا عن الوقوع في مثل هذا فيقول : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه » أي اتركوا هؤلاء المنكرين ، أو المختلقين ، أو المتأولين . فكل ذلك يسمى إلحادا ، وحشوا غير سائغ في جانب الله .

وقد يمتد هذا الكلام إلى ما يدور في صفوف الذاكرين من إخواننا الأتباع وما أحب أن أثير نقاشا حول هذا وفي ترجيحه أو عدم ترجيحه ، ومن الخير كثيرا أن نأخذ بمالا شبهة فيه ، والنبي صلوات الله عليه يقول: « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » والله يعصمنا جميعا من الإلحاد والانحراف ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

قيل ليزيد بن المهلب : إنك لتلقى نفسك في المهالك !

قال : إني إن لم آت الموت مسترسلا أتاني مستعجلا ، إني لست آتي الموت من حبه ، إنما آتيه من يقبضه ، ثم تمثل :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من تاريخ المماليك

مصر تحتفل بالمولد النبوى

للأستاذ محمد رجب البيومى

تحتاج العواطف النفسية إلى متنفس يجسدها للعيان فتتخذ مظهراً محسوساً يكون تعبيرا صادقا عن أوراها المتهب ، وحب المسلمين عامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح للمتأمل فى مشاهد كثيرة لعل أعظمها روعة وخلابة هو الاحتفال بمولده الشريف ، فقد دأب أبناء الإسلام منذ أمد بعيد على الاهتمام بذكراه العطرة فى كل مناسبة تحين ، ومصر الإسلامية كانت بحمد الله أسبق الدول كافة إلى الاحتفال بالمولد السعيد ، فلا يعرف التاريخ الإسلامى قبل الدولة الفاطمية بلداً إسلامياً بدأ بهذه السنة المباركة غير وادى النيل ، وقد لمس المعز لدين الله حقيقة هذا الحب الكامن فى النفوس لنبى الإسلام فقام لأول مرة فى التاريخ بالاحتفال بمولده الشريف ، ورأى من الاستجابة الصادقة والترحيب الحار ما جعله يتفنن فى استقباله عاما بعد عام ثم سار خلفاؤه من بعده على طريقته فكان لهذا اليوم الأغر فى تاريخهم صدى مسموع . ولن يقول قائل : إن الدولة الفاطمية قد احتفلت بمواسم كثيرة غير المولد النبوى لتلفت إليها الأنظار ، لأن أكثر هذه المواسم قد فنيت بفناء الدولة الفاطمية ، ولكن الاحتفال بالمولد النبوى قد فرض وجوده على التاريخ فلم يذهب بذهاب الفاطميين ، إذ أنه يعبر عن رغبة حارة فى النفوس ، فهو يستمد وجوده الدائم من خلجات المشاعر ونبضات الأحاسيس !

وأنت ترى الآن جمهور المصريين فى الريف يحتفلون بالمولد النبوى حتى فى غير مناسبته ، فإذا ما أراد رب المنزل أن يظهر نعمة الله عليه فى مناسبة سعيدة أعلن عن وليمة خاصة يدعو إليها الفقراء والفقهاء ، ودعاها وليمة المولد النبوى ، وفى مساء هذه الليلة العامرة يحضر الأصدقاء والأقارب ليستمعوا قصة المولد النبوى من فقيه القرية !! ولدينا أدب خاص بالمولد النبوى فى تراثنا العلمى لا أدرى كيف غفل الباحثون عن تقييمه ورصده ، فعشرات العلماء والأدباء كالبرعى والبرزنجى والمناوى والنووى قد ألفوا قصص المولد النبوى ، وملئوها بالمعجزات الخارقة والآيات السائرة ، وكاد الريفيون يحفظونها عن ظهر قلب لكثرة ما ترددت على أسماعهم فى الليالى العامرة والأمسيات السعيدة ، وأذكر أن وزارة الأوقاف لعهد غير بعيد قد دعت

إلى مسابقة عامة لوضع قصة معاصرة من قصص المولد النبوى وكان الأستاذ عبد الله عفيفى فائزها الأول ! ! ومع أن الشيخ على محمود قد قام بتمحيصها وإذاعتها عدة مرات إلا أنها لم تلق قبول سابقتها من القصص النبوية ، لأن أسلوبها الأدبى كان يعلو مستوى الجمهرة من السامعين ! وبقيت القصص القديمة تتردد إلى الآن فى شوق وإعجاب .

هذه القصص وحدها دليل لايخطئ على اهتمام الشعب المصرى بالمولد النبوى فى ربيع الأول وغير ربيع الأول من شهور العام ، وكأنى بنابليون الداهية ، وقد أدرك هذه الحقيقة القوية فأصدر أمره لأول عهده فى مصر بإقامة احتفال مشهود بالمولد النبوى ، فأقام السرادقات الفخمة ، وأوقد المصابيح المتلألئة وجعل الزوارق الجميلة تعبر بمياه الخليج حاملة طوائف المغنين وأرباب اللهو والمسرة ، وقدم المطاعم والمشارب على نطاق متسع ! وكان فى هذا العمل الرائع ما يدعو الجمهور المصرى إلى المشاركة فيه ! ولكن العاطفة الصادقة تلمح أثر الرياء الكاذب فيما تشاهد وتلمس ، إذ لا يعقل فى منطق العقل أن يقوم بالاحتفال بمولد محمد صلى الله عليه وسلم إنسان لايؤمن بنبوته ولا يعرف حقيقة دينه ! فانصرف الناس عن هذا الاحتفال الرسمى ، وعكف كل مصرى ليلة الميلاد فى منزله يقرأ القصة النبوية ، ويوم لأصدقائه وأهله ، ويؤدى واجبه الدينى عن إخلاص وإيمان !

وسنجلو فى هذا الحديث صفحة رائعة لملك من ملوك الإسلام فى مصر هو الأشرف قايتباى إذ قام بالاحتفال بمولد الرسول الأعظم قياما لايشاركه فى روعته وجلاله أحد فيما نعلم غير الملك المظفر صاحب إربل ، وقد تناولته بالحديث فى مناسبة سابقة على صفحات مجلة الهلال ، فلن أعود إليه الآن ، ولكنى أسجل هنا بعض ما قام به الأشرف قايتباى من احتفاء واستعداد ، ليعلم الناس كيف يدفع الحب المؤمن صاحبه إلى التفنن والإبداع .

لم تكن سلطنة الأشرف قايتباى - وقد تاهزت الثلاثين - مجالا للدعة والهدوء ، فيظن أحد أنه تفرغ للاحتفال بالمولد على هذا النطاق البديع حين خلا له الجو وسالمته الأيام ، ولكنه تاسى من الشدائد والأهوال ما يرهق النفس ويشغل الخاطر ، فقد انتقض عليه الثوار غير مرة فى شمال الشام ، وزحفت جنوده إلى قمع الثورة ، وإعادة الهدوء متكبدا شتى المصاعب والأهوال . كما منى بإغارة ملك العراقيين لعهده على أطراف مملكته ، فلم يستطع السكوت وتحركت إليه الكتائب المصرية فردته على أعقابه بعد كفاح مرير وجهد شاق ، وكانت ثالثة الأثافى فى مناوشات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدولة العثمانية التى بدأت تتطلع من ذلك الحين إلى مصر فكدرت الخواطر وألهبت الصدور واضطر الأشرف قايتباى إلى محاربة العثمانيين فى عقر دارهم ، واستولى على مدن كثيرة من ممتلكاتهم مثل أدنة وقيسارية ثم تصالح الطرفان وطويا الضلوع على شجون وآلام ! ! والعجب العاجب أن هؤلاء العثمانيين يتطلعون إلى مصر ، ويتركون الانداس عن جانبهم تستنط مدينة وراء مدينة : وكان فى قوتهم الهائلة وذخيرتهم القاتلة ما يحفظون به الإسلام فى بلاد تتكالب على إبادته ، لو صدقت الهمم وأخلصت القلوب ؛ ولكن هذا ما كان :

أجل ، لم تحل هذه الكوارث المتتابعة دون إقامة الاحتفالات الباهرة بالمولد النبوى الكريم على نحو باهر عظيم ، ولعل من الغرائب النادرة أن نعرف أن قايتباى قد أعد سرادقا خاصا بالمولد النبوى كان يسمى إذ ذاك بالسرادق الأشرفى ، يضم آلافا من القطع المطرزة المبطنة بالحرائر والديباج ، وقد حليت بمختلف الزخارف والرسوم ، وكتب عليها نماذج متعددة من آيات القرآن وأحاديث الرسول وقلائد الأبيات بخطوط أنيقة مختلفة الألوان والحجوم ، وإذا كان الفن الزخرفى قد بلغ روعته فى هذا العصر كما يلحظ من يشاهد آثاره الناطقة فى دار الآثار العربية وفى مساجد السلاطين ومزارات الأولياء فإن هذا السرادق الحافل قد جمع من آيات الفن الإسلامى ما جعله حديث الناس فى الشرق والغرب ، حتى إن السلطان سليم الأول حين داهم مصر بخيوله وجبروته كان أول ما سأل عنه هو السرادق الأشرفى النبوى فحمله بنسيجه ومصابيحه وأثاثه ونمارقه إلى بلاده . ولو كان للفن مكانة ما لدى الأتراك اصبين فى أحد المتاحف رمزا لتقدم الحضارة الفنية فى إحدى بلاد الإسلام: ولكنه استهلك فى أشياء تافهة ، ومن ورائه زفرات حارة يصعدها المصريون كل عام إذا عاد المولد النبوى ورأوا مكانه خاليا من الروعة والبهاء !

كان هذا السرادق النبوى يشبه إيوانا فخما متسع الجوانب ، متعدد الأرجاء ، وهو على هيئة دائرة ضخمة ذات أبعاد وأطوال ، تعلوه قبة شاهقة تنهض على أربعة أساطين وقد زينت سماؤها بالمصابيح البلورية ذات الألوان المتعددة من أبيض وأحمر وأخضر فإذا تقابلت أنوارها نسجت للناظرين أبدع حلة من الضياء أما الطنافس والأرائك والنمارق والبسط فمما يخلب ويروع ، وقد رتبت ترتيباً بديعاً يرعى المقامات والمراسيم فالكراسى الذهبية لرجال الصف الأول من الحكام والرساء والكراسى الموشاة بالفضة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لمن يليهم من صدور الأعيان ووجهاء القوم ، أما بقية المقاعد فقد كساها المخمل الناعم والديباج الوثير فأضحت رمزاً للبهجة الناعمة والترف الحضارى الجميل ، وقد جرت العادة أن ينصب هذا الإيوان الفخم فى الليلة الأولى من ليالى ربيع الأنوار ، ولا يقوم بتشييده وإعداده غير ستمائة بطل من أبطال الأسطول المصرى قد دربوا تدريباً كاملا على إحكامه وإتقانه مع جمهرة من المهندسين وأرباب الفن والذوق ، وقد وصفه أحد الرحالة : فقال إنه يشبه مدينة كبيرة ذات شوارع وميادين ففى كل جانب من جوانبه ترى موضعا للتأمل والاستطلاع : ولقد كان الملك المظفر صاحب إربل يستعد للاحتفال بالمولد ابتداء من المحرم فيدعو الصناع إلى إقامة ميدان فاخر للاحتفال ولا يكادون يفرغون من عملهم حتى يمضى شهران ويشرق ربيع ، أما الأشرف قايتباى فلم ير ضرورة فى تكرار هذا العناء كل عام . واهتدى إلى صنع هذا السرادق لينصب كل عام فى مناسبته السعيدة دون إجهاد : وحسناً فعل ، فقد ظل خلفاؤه من السلاطين يحرصون على استعماله فأصبح شاهداً ينطق بفضله بعد أن ووري فى التراب : وأخذ الناس ينظرون إلى رغبته فيترحمون عليه ، ويستغفرون له الله ، حتى عمت الكارثة بهجوم السلطان سليم فانقض السامر وانتقض الشمل وكأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ! ! .

أما مراسيم الاحتفال ، فقد جرت العادة على أن يحضر الناس إلى السرادق كل ليلة من الليالى السابقة لليلة الأخيرة دون ترتيب ، وإذ ذاك يسمعون الترتيل والوعظ ، ويقومون بالذكر والأدعية ويتناولون الخفيف من الشراب والطعام ، أما الليلة الثانية عشرة فلها تقليدها المتبع ، ومنهجها المرسوم ، إذ تقام الزينات فى الشوارع والميادين ، وتمر المواكب غاصة بالقراء والمنشدين ، وتدوى الطبول فى كل ساحة ثم تتوجه الجموع إلى السرادق ، وفق ترتيب خاص ، إذ يتقدم الموكب الأول الخليفة العباسى ومعه القضاة الأربعة وأصحاب المناصب الدينية فى الدولة من علماء وفقهاء ثم يأتى فى الموكب الثانى وفيه علية القوم من أمراء المماليك وقواد الجيش ووراءهم عظماء الدولة من أرباب الوظائف وحكام الأقاليم وأصحاب الحسبة والالتزام وفى الموكب الأخير رجال الشعب من العامة على ترتيب فى الأقدار ومراعاة لمكانة كل رجل واستحقاقه : أما طوائف المتصوفة وأصحاب الطريق فيظلون فى الساحة الواسعة ينشدون ويقرءون حتى ينزل السلطان فيصافح رجال المواكب ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويسامر الضيوف من السفراء والأجانب ، ثم يأذن لمن بالخارج من العامة أن يأخذوا أماكنهم الخفية فى هدوء ! ! فيهرع معهم المتصوفة إلى منتصف السرادق يرتلون وينشدون ! ! ثم يبدأ الاحتفال الرسمى على نحو يقرب من النحو الفاطمى إذ يرتل القرآن الكريم أولا ، ثم يستمع الحاضرون إلى الوعظ الدينى متجها إلى سيرة الرسول مولدا وبعثة وغزوا وجهادا وانتصارا والتحاقا بالرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه : ثم تمد الأسمطة الزاخرة بالأطعمة ، فلا يتخلف أحد من الحاضرين عن تناول أطايب الطعام ، ولذائذ الشراب ، ولك أن تقدر ما ينفق على هذا الحشد الزاخر من مال وما يذبح من حيوان ، وما يبذل من هدايا ، وما يخلع على العلية من تحف وأوسمة وما يفرق على المحتاجين من صدقات ! ! بل إن الدراهم والدنانير كانت تنثر نثرا على الجموع فيصيبهما من يشاء ! وينتهى الحفل الساهر مع الفجر المشرق فى فرحة غامرة وسرور عميم .

ويظهر أن الأشرف قايتباى كان فنانا بطبعه ، فهو يرى فى إعداد السرادق على نظامه السالف إشباعا لرغبته الفنية ، يؤكد ذلك اهتمامه الحافل بالعمارة والتشييد فقد أقام برجا عظيما بالإسكندرية كان مثال البراعة والذوق ، وبنى المساجد بناء يزينه الزخرف ، ويحوطه الإبداع ، كما قام برحلات مختلفة داخل القطر وخارجه فأمتع عينه بروائع الطبيعة فى القرى والمدن ، ورأى مشاهد الشروق والغروب فى الفضاء الممتد والمرج الشاسع ، والبحر المحيط وذلك لا يتأتى لغير فنان متذوق يتعشق الحسن فى شتى مجاليه !

ويخيل إلى أن اهتمام الأدباء والشعراء بالمدائح النبوية فى العصر المملوكى لم يكن دافعه الأول هو الشغف بالمحاكاة والولوع بالبديع كما يرى بعض المؤرخين ، ولكن الشعور الدينى العام ، وانفساح المجال للإنشاء فى هذه الاحتفالات قد ساق الأدباء سوقا إلى الاهتمام بهذا الضرب من المديح ! ! فجاءت قصائدهم النبوية تنفيسا عن شعورهم الصادق ! وإذا كان البديع المتكلف قد أثقلها ببعض الإغراب فإن ذلك لا يمنع القول بصدقها المخلص وإحساسها الأمين ! ! وهى فى رأيى الخاص احتفال آخر بالمولد النبوى فى دنيا الفكر قد يعادل احتفال السلاطين به فى دنيا الواقع ! بل أنه أخلد أثرا وأبقى ذكرا من كل احتفال وقد ذهبت سرادقات الاجتماع مع المذاهبين ، وبقيت قصائد البوصيرى وابن نباته وابن حجة وغيرهم من شعراء المماليك لتكون احتفالا نبويا لا تبلى جدته ولا ينقطع صداه .

محمد رجب البيومى

قولوا الجنس العربي لا السامي

للأستاذ محمد عزة دروزة

لاحظ المستشرقون وعلماء اللغات والآثار تشاركا واسعا في اللغات والأفكار والعقائد والتقاليد بين شعوب الشرق العربي القديمة في جزيرة العرب ووادي النيل والهلال الخصيب وأثيوبية ، فرجحوا أنها ترجع إلى أصل واحد مشترك ، ثم رأى بعضهم أن بعض أسماء هذه الشعوب هي من الأسماء التي وردت في سفر التكوين كأبناء وأحفاد سام بن نوح ، فأطلقوا عليهم اسم الشعوب السامية وعلى لغاتها اسم اللغات السامية [١] وتوسعوا فأدخلوا في نطاق هذا الاسم أقواما لم ينسبهم السفر المذكور إلى سام كالحاميين أو الكوشيين الذين ينسبهم إلى حام بن نوح ، والكنعانيين الذين ينسبهم إلى حام ، والعبرانيين الذين ينسبهم إلى إبراهيم الكلداني أو الآرامي حسب اختلاف الاستنتاج ، والكلدانيين والأكديين والعموريين الذين لم يذكروا في الأنساب . والأثيوبيين الذين قالوا إنهم حاميون ...

وهذا الاصطلاح حديث لم يبلغ من العمر مائتي سنة [١] وواضح أنه لا يستند إلى علم وثيق . ومع ذلك فإنه انتشر وتوطد بين الباحثين والأعاجم وسرى إلى كتّاب العرب ومؤرخيهم .

ولقد اختلف المستشرقون في مهد الساميين الأول ، فمنهم من قال : إنه جزيرة العرب ، ومنهم من قال إنه جزيرة الفرات ، ومنهم من قال : إنه أرمينية . ومنهم من قال : إنه أثيوبية ، ومنهم من تردد . غير أن كثيراً منهم بل أكثرهم يقررون أنه جزيرة العرب التي كانت في ظروف مناخية مساعدة على ما أثبته الجيولوجيون والأثريون ومنهم من يخصص جنوب الجزيرة ويقول : إن الشعوب السامية انساحت منه إلى سائر أنحاء الجزيرة ، ثم إلى الأقطار المجاورة لها شمالا وجنوبا .

على أنه يبدو من خلال أقوال المختلفين في العهد الأول أن الخلاف هو في مهد النواة

[١] انظر الجزء الأول من كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها كتاب الأساس في الأمم السامية ولغاتها للابراشي ورفقاه ١ ـ ص ٣٥ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون .

[١] انظر الصحيفة المذكورة في الذيل الأول من الكتاب نفسه وما بعدها .

الأولى لهـــذه الشعوب قبل عهود التاريخ المعروفة . ومن الذين لم يقولوا : إن هـذا المهـد هو جزيرة العرب أو جنوبها بالتعيين من قالوا : إن النواة هاجرت من مهدها الأول خارج الجزيرة إلى الجزيرة قبل عهود التاريخ، ثم نمت وكثرت فأخذت تنساح منها موجات بعـد موجات إلى الأقطار المجاورة نتيجة لأسباب مناخيـــة وجغرافية واقتصادية واجتماعية . وبعبارة أخرى إن أصحاب هذا الرأى يلتقون مع أصحاب الرأى الأول فى دور من أدوار تاريخ جزيرة العرب[1] .

ولقد أصبح أمر انسياح الموجات من جزيرة العرب إلى الأقطار المجاورة لها منذ أقـدم الأزمنة ، ـ وكون الكلدانيين والأشوريين والأكديين فى العراق والكنعانيين والعموريين والآراميين والعبرانيين فى جزيرة الفرات وبلاد الشام ومعظم سكان وادى النيل شماله وجنوبه ومعظم سكان أثيوبية والصومال من هؤلاء المنساحين فى القرون التاريخية من الحقائق التى لم تتحمل جدلا ولم تبق موضوعا قديما مضى وانقضى، وغدا محل إثبات ونفى وظن وتخمين . ولا سيما أن جزيرة العرب ظلت ترسل بموجاتها إلى هـذه الأقطار بدون انقطاع قبـل دور العروبة الصريحة ـ أى قبل أن تغدو اللغة العربية الصريحة لغة العرب ، واسم « العرب » اسماً لهم ـ ثم فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام ، ثم منذ الإسلام إلى اليوم . مما سجلت أحداثه القديمة نقوش المصريين والأشوريين والكلدانيين وأسفار العهد القـديم وكتب اليونان والرومان القديمـــة وقرره علماء الآثار والتاريخ .

ومما تواصلت أحداثه فيما عرف يقيناً ، من انسياح القبائل العربية من الجزيرة العربية فى دور العروبة الصريحة قبـل الإسلام إلى العراق وجزيرة الفرات وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء ، ثم من انسياح القبائل تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق ووادى النيل: شماله وجنوبه والأقطار المغربية فى شمال إفريقية ثم انسياح القبائل الذى استمر بعـد الموجة الإسلامية الأولى من الجزيرة إلى جميع هذه الأنحاء وإلى سواحل أثيوبيـة والصومال بدون انقطاع، ثم من الصورة الحية الماثلة اليوم بالقبائل والعشائر التى تمـــلأ جنبات هذه البلاد كذلك والتى منها ما يمت إلى القبائل القديمة ومنها من جاء قبل قرون قليلة بل منها من جاء قبل أجيال قليلة .

فكل ما تقـدم يبرر بدون ريب اعتبار

---

[1] انظر أيضا الجزء الأول من تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها . فإن المؤلف استعرض أقوال الباحثين التى استنتجنا منها ما ذكرناه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سكان جزيرة العرب الأصليين القدماء ومن هاجر منهم إلى الأقطار المجاورة قبل دور العروبة الصريحة وبعده جنسا واحدا . ولا سيما أن التشارك فى اللغة والأفكار والعقائد والتقاليد ظل قائما بين الباقين فى الجزيرة والنازحين منها فى مختلف الأدوار .

ونحب أن نستدرك أمراً . وهو أننا حينما نقول: « الجنس العربى » لا نقصد المعنى الفنى الدقيق الذى يتميز فيه جنس بشرى من جنس آخر بخصائص جسمانية فى الدرجة الأولى، مما كاد أن يكون غير قائم منذ الأزمنة التاريخية المعروفة إلا نادراً فى إفريقية وآسيا الشرقية والوسطى بسبب ماحدث من هجرات الأمم وتمازجها دما ومصاهرة وتقاليد ولغة وعادات وأفكاراً ، وإنما نقصد المجموعة البشرية التى عاشت فى جزيرة العرب منذ أقدم الأزمنة التاريخية المعروفة وتشاركت فى اللغة والأفكار والتقاليد حتى صارت جنساً واحداً، فلما أخذت تنساح من هذه المجموعة إلى البلاد المجاورة للجزيرة فى الشمال والجنوب موجات كان ذلك التشارك قد تم بينها ثم ظل قائما .

والقول أن لغة أهل جنوب الجزيرة غير لغة أهل شمال الجزيرة ليس صحيحاً بمعناه الإجمالى [١] وكل ما فى الأمر تنوع اللهجات واختلاف فى المسميات . أما الاشتراك الفعلى فقد كان قائماً على ماتدل عليه نقوش الجنوب والشمال . وهذا لا يتعارض كما هو واضح مع احتمال كون المهد الأول لنواة هذه المجموعة ليس جزيرة العرب على ما يقرره بعض الباحثين ولا مع احتمال تكون هذه المجموعة فى عصور ما قبل التاريخ من عناصر إفريقية وآسيوية، على مايقرره بعض الباحثين كذلك[١] وكل هذا بقطع النظر كذلك عن احتمال تكون تلك المجموعة البشرية فى جزيرة العرب قبل الأزمنة التاريخية المعروفة بمدة طويلة وحينما كانت ذات مناخ وطبيعة غير ما هو عليه الآن معظم أقسامها ، وعن احتمال انسياح موجات منها إلى الأقطار المجاورة لها ثم إلى ما وراءها قبل الأزمنة التاريخية المعروفة وتوطنها فيها كالأقطار المغربية فى شمال إفريقيا مثلا مما لا سبيل إلى معرفته معرفة يقينية والكلام عنه بعلم ووثوق.

كذلك حينما نقول ذلك لا نريد أن ننفى تأثر الموجات التى هاجرت من جزيرة العرب فى القرون القديمة وقبل دور العروبة الصريحة

[١] انظر تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون ص ١٦٢ .

[١] انظر الكافى فى تاريخ مصر لشاروبيم ج ٦ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣٤٠ والتاريخ العام بالتركى لأحمد رفيق ج ٤ ص ٤٩٥ ، ج ٢ ص ٢٦٦ وتسريح الأبصار للأب لامانس اليسوعى ج ٢ ص ٣٥ ، ٣٨ والمجلد الثانى للحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى الهلال الخصيب ووادى النيل بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة واختلاط دمائها بدماء أمم أخرى كانت فيها قبل هجرتها أو جاءت بعدها وتأثرها بأنحاء هذه الدماء لغة وعادات ، واكتسابها بذلك كله شخصية خاصة نوعا ما فى الأرض التى حلت فيها . غير أن ذلك ليس من شأنه أن ينقض دعوى وحدة الجنسية ، ولا سيما أن غالبية سكان الهلال الخصيب ووادى النيل كانت وظلت تمت إليها وتطعم بالهجرات المتوالية من الجزيرة والتى لم يكد سيلها ينقطع إلى دور العروبة الصريحة ثم دور الإسلام والتى تتمثل فى وحدة العروبة الشاملة وطابعها الذى يطبع هذه البلاد وسيظل يطبعها إلى الأبد ما دام وراءها الجزيرة وتظلها راية القرآن الكريم ، ولسنا نرى فرقا بين ما كان من ذلك قبل دور العروبة الصريحة وبعده حيث تأثر النازحون عن الجزيرة فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة ، واختلطت دماؤهم بدماء أمم أخرى كانت فيها أو طرأت عليها واكتسبت بذلك شخصية خاصة نوعا ما . غير أن ذلك لم يخرجها من نطاق العروبة وطابعها الشامل ، وقد ابتلعت كل هذه العناصر وفرضت عليها هذا الطابع .

ولقد حكم اليونان والرومان مصر وبلاد الشام ألف عام (٣٣٠ ق م — ٦٤٠ ب . م) وجاء منهم إليها وبخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم . وقد جمع بينهم دين واحد هو المسيحية قرابة أربعة قرون . وترجمت إلى اليونانية الكتب المقدسة . وصارت لغة عبادة وطقوس لكثير من النصارى فيها . ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يفرضوا طابعهم وصبغتهم ، بل كان جمهرة أهلها يرونهم غرباء عنهم وينقبضون عن معاشرتهم بل يعتبرونهم أنجاساً [١] وكذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق أكثر من ألف وماتتى عام (٥٣٨ ق . م — ٦٤٠ ب . م) وكان لمدنيتهم وثقافتهم انتشار واسع حتى لقد مجسوا كثيراً من أهل البلاد ، ومع ذلك لم يستطيعوا بدورهم أن يفرضوا طابعهم وصبغتهم . فى حين أن الموجات العربية الصريحة التى جاءت إلى الهلال الخصيب فى حكمهم ورصخ ملوكها لسيادتهم العليا ، أخذت تفرض طابعها على البلاد وتمتزج بأهلها القدماء بسهولة ويسر . ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق ووادى النيل ، فأخذ التمازج يشتد بينها وبين السكان السابقين ، ولم تكد تمضى بضعة أجيال أو قرون حتى توطدت

[١] انظر هامش المسود الثانى بالصفحة السابقة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السيادة فى هذه البلاد للطابع العربى الصريح وغداً شاملا عاما .

وليس هناك من تعليل معقول لهذه الظاهرة التى تكررت فى عهد الإسلام بما كان من سيادة الترك على هذه البلاد قرابة أحد عشر قرنا (٢٠٠ - ١٣٣٢ هـ) وبما كان من زحوف تركية كبيرة إليها واستقرارها فيها إلا صدق نظرية وحدة الجنس التى كانت تجمع بين القادمين من جزيرة العرب فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده وبين سكان الهلال الخصيب ووادى النيل الذين يمتون فى أصولهم إلى جزيرة العرب والجنس العربى حيث سهلت تلك الوحدة ذلك التقارب والتمازج وسيادة الطابع العربى الشاملة لهذه البلاد .

وإذا كان قد بدا شىء من المناوأة ضد موجة الفتح من بعض سكان مصر والعراق والشام وتمرد على السلطان الإسلامى فى أوائل عهده فمرد ذلك إلى الاعتبارات الدينية التى كانت ذات التأثير الأقوى فى حياة الأمم والتى استغلتها الدسائس الأجنبية . وليس من شأن ذلك إضعاف النظرية . ولقد كان من جملة المناوئين والمتضامنين مع الفرس والروم فى بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة من بهراء وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان فى بلاد الشام ، وبكر بن وائل وبنى العجل وتيم اللات وضبيعة فى بلاد العراق مثلا [١] .

وإذا كان حقا أن الذين ظلوا فى جزيرة العرب قد احتفظوا بنقاوة سلالتهم وأصالة لغتهم أكثر من الذين نزحوا إلى خارجها [٢] وأن هؤلاء قد اختلطوا بعناصر أخرى ممن كان فى الأرض الجديدة التى حلوا فيها ومن جاء إليها بعد حلولهم فإن هذا ليس من شأنه أن يخرجهم من جنسية العروبة ويجعلهم أمماً أخرى ؛ لأن وجوه التشابه والتشارك بين أولئك المستقرين فى الجزيرة وبينهم ثم فيما بينهم أنفسهم على اختلاف الأقطار وعلى اختلاف الأدوار التى عاشوها كذلك ، ظلت بارزة قوية .

وأنسب الأسماء لهذا الجنس وأصحها فى دوره القديم هو الاسم الذى صار علما له فى دور العروبة الصريحة وهو « الجنس العربى » بدلا من اسم « الساميين » .

لجزيرة العرب أخذت تسمى باسم العروبة الصريح فى كتب اليونان والرومان وأسفار العهد القديم منذ ألفين وخمسمائة عام . واسم « العرب » الصريح أخذ يطلق على أهلها المستقرين فى داخلها وتخومها الشمالية جزئيا ثم كليا منذ ألفين وخمسمائة عام كذلك .

---

[١] انظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٥٦٠ و ٥٨٧ .

[٢] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٦٩ وما بعدها و ج ٣ ص ٢٧٧ وما بعدها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بل قبل ذلك على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة واللغة العربية التي تكلم بها سكان الجزيرة والنازحون منها منذ ألفين وخمسمائة سنة كذلك هي اللغة العربية الصريحة بقطع النظر عن تعدد لهجاتها وبعدها قليلا أو كثيراً عن اللغة الفصحى على ما تدل عليه آثار وأسماء وأعلام ونقوش السبئيين والحجريين والنبطيين والتدمريين واللحيانيين والثموديين والصفويين العائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعده [1] . وقد ساعدت عوامل متنوعة على سرعة تطورها بعد ذلك حتى بلغت ذروتها باللغة الفصحى قبل البعثة المحمدية بأمد ما .

فإطلاق هذا الاسم على الموجات القديمة التي انساحت من جزيرة العرب ، وعلى الذين ظلوا مستقرين فيها فى القرون القديمة معا هو الأصح على كل حال الذى يجب أن يحل محل تلك التسمية الحديثة الأعجمية فى كتبنا ودروسنا ومحاضراتنا وبحوثنا . ولا سيما أنه يتفق مع الصلة التى لم تنقطع بين قدماء سكان الجزيرة وقدماء النازحين منها وبين الواقع الراهن الممتد إلى ألفين وخمسمائة عام ويصل بين قديم العروبة وحديثها . وقد قال بهذا جمهرة من علماء العرب وباحثيهم [1] غير أن التسمية « السامية » ظلت تجرى على ألسنة وأقلام علمائنا وكتبهم حتى الذين قالوا بوجوب وأولوية إطلاق اسم الجنس العربى بدلا منها . وهو ما يجب أن ينتهى فيما نعتقد . وليس من الحق والمنطق والعاطفة القومية معا أن نظل نجرى وراء الأعاجم فى تسمية الأقوام القديمة من جنسنا تسمية تحكمية حديثة لا تمت إلى العلم والواقع فى شىء .

واستتباعا لهذا يجب أن ننتهى من التفريق بين تاريخ جزيرة العرب وبين سكانها القدماء وبين تاريخ الموجات التى انساحت منها فى القديم ، وأن نعيد تدوين تاريخ الجنس العربى فى سلسلة واحدة بدلا من تدوينه كتاريخ أمم قائمة بذاتها .

ولقد سلك مؤرخونا تاريخ المعينين والسبئيين والحضرميين والقتبانيين وشعوب شمال جزيرة العرب وإماراتها فى القرون القديمة فى سلسلة تاريخ العرب ، مع أن هؤلاء لم يوصفوا فى أى أثر قديم بصفة العروبة بالتخصيص ولم يكونوا أكثر

[1] انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد على ج ٢ ص ٨ — ٢٧٥ و ٢٧٧ — ٣٥٧ و ج ٣ ص ٥ — ١٢٩ و ١٣٦ — ٢٠٩ و ٢١٥ — ٢٦٨ و ٤٢٣ — ٤٦٢ و ج ٤ ص ٥ — ٣٢٩ و ج ٧ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون ص ١٦١ — ٢٥٢ .

[1] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ٢ ص ٢٨٧ ومعالم الحضارات فى الشرق والغرب للرفاعى ورفقاه مثلا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قربا فى لغاتهم وصبغتهم الجنسية بوجه عام إلى العروبة الصريحة من الموجات التى انساحت من الجزيرة إلى وادى النيل والهلال الخصيب بل كانوا أكثر قربا على اعتبار تقارب الزمن التاريخى . بل هناك ما هو أدعى إلى العجب . فقد سلك جرجى زيدان الدولة البابلية التى من ملوكها حمورابى ودولة الرعاة فى مصر فى كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام فى سلك تاريخ العرب [1] ولم يسلك بقية الدول التى قامت فى بابل ونينوى وسواحل بلاد الشام وداخلها وجنوبها ، والتى يقرر هو بالذات أنها تمت بأصلها إلى الجزيرة العربية وتشارك فى اللغة والعادات والأفكار والعقائد كالأكاديين والكلدانيين والأشوريين والآراميين والعموريين والعبرانيين والفينيقيين والعمونيين والأدوميين .

ويسعدنى أن أعلن أنى قد خطوت خطوة متواضعة فى هذا المضمار فوضعت خطة لتدوين تاريخ العرب على هذا الأساس بعنوان « تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأدوار والأطوار والأقطار » بحيث تشمل سكان الجزيرة ومن هاجر منها إلى الهلال الخصيب ووادى النيل وشمال إفريقية المغربية فى القرون القديمة قبل دور العروبة الصريحة وفى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام ، ثم فى العهد الإسلامى إلى اليوم فى سلسلة واحدة هادفا بذلك إلى تصحيح التوجيه التاريخى القومى ووصل حلقات تاريخ جنسنا بعضها ببعض ثم إلى إحباط مكر المستعمرين والمبشرين المغرضين وتلامذتهم ومأجوريهم وأعداء العروبة الذين يصرون على تجاهل الحقائق والمكابرة فيها ليوقروا فى أذهان سكان وادى النيل والهلال الخصيب وشمال إفريقية المغربية وهن الصلة بين أصولهم القديمة وبين العروبة ويجعلوهم يعتبرون العرب الذين جاءوا هذه المرة تحت راية الإسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طرءوا عليهم ووطدوا حكمهم على بلادهم بالقوة وحسب ، وكون ما هنالك من فرق هو أنهم أعطوهم دينهم ولغتهم ، حتى بالرغم من السيل الذى أخذ وظل يتدفق من جزيرة العرب على هذه الأقطار فى دور العروبة الصريحة ، وقبل الإسلام وبعده دون انقطاع ، ويغمر مدنها وقراها وصحاريها وبواديها استمراراً لما كان يجرى قبل دور العروبة الصريحة والذى قد تفوق أعداده أعداد سكانها أضعافا . والذى يتمثل فى كل ناحية من أنحائها وفى كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثيلا شاملا . ولقد صدر من السلسلة ثلاثة أجزاء : الأول فى تاريخ الجنس العربى فى جزيرة العرب فى القرون القديمة ومآثره ، والثانى فى تاريخ الموجات

---

[1] ص ٤٠ — ٥٣ و ٥٦ — ٦٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العربية إلى وادى النيل ومآثرها فى القرون القديمة ، والثالث فى تاريخ الموجات العربية إلى العراق فى القرون القديمة ومآثرها . وقد توخيت فيها الإيجاز مع عدم الإخلال بحيث يستطيع الناشئ العربى أن يلم بتاريخ قومه إلماما مجزيا . وأرجو أن يصدر فى هذا العام الجزء الرابع فى تاريخ الموجات العربية إلى بلاد الشام فى القرون القديمة ومآثرها ، والجزء الخامس فى مراحل تطور العروبة من دور العروبة غير الصريحة إلى دور العروبة الصريحة ، وتاريخ الجنس العربى فى هذا الدور قبل الإسلام . وقد تضمن كل منها من تقارير العلماء والباحثين ومن نصوص النقوش ما يؤيد جميع ما قررته فى هذا البحث .

وإنى لأناشد علماءنا ومؤرخينا وكتابنا أن يعيروا هذا الأمر عنايتهم وأن يتبنوه وأن يحلوا اسم « الجنس العربى » محل اسم « الساميين » فى الإشارة إلى سكان جزيرة العرب ومن هاجر منها فى القرون القديمة ، فيساعدوا بذلك على تثبيت الصلة بين تاريخ جنسنا القديم والحديث وواقعنا الراهن بما هو الأولى والأصح ، ويحبطوا مكر الماكرين أعداء قومنا وبلادنا ويبثوا فى ناشئتنا على اختلاف نحلهم شعور الفخار بجنسهم العظيم الذى كان أول من حمل مشاعل الحضارة والهداية ثم ظل يحملها ليهتدى بها الناس فى مشارق الأرض ومغاربها .

دمشق — محمد عزة دروزه

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بين المبرد وثعلب

كان النحو مادة الدراسة الأولى لكل متعلم . فكان الأدباء يتحلقون حلقتين متعارضتين : الأولى فى مذهب البصريين يتصدرها محمد بن يزيد المعروف بالمبرد وهو صاحب كتاب (الكامل) والثانية فى مذهب الكوفيين يتصدرها أحمد بن يحيى أبو العباس ثعلب . وكلاهما كان حجة فى الأدب واللغة عالما بأصول الفقه . وكانت بينهما منافرات كثيرة أدت إلى عدم اجتماع أحدهما بالآخر . وقد سئل صهر ثعلب أبو عبد الله الدينورى وكان يتردد على المبرد : « لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين . فإذا اجتمعا فى محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين العربية والفارسية

للدكتور حامد عبد القادر
عضو مجمع اللغة العربية

إذا سلمنا بأن اللغة ظاهرة اجتماعية وجب علينا أن نقول : إنها أبرز الظواهر الاجتماعية ، وأعلاها شأنا وأعظمها قدرا ، وأن نقول أيضا : إنها ضرورة اجتماعية لاغنى عنها ؛ لأنها أداة التعليم والتعلم والتفاهم ونقل العلوم والمعارف من جيل إلى آخر ، ومرآة صادقة للمجتمع ، وسجل أمين لتطوراته فى مختلف عصور حياته .

وأن نقول مع هذا وفوق هذا : إنها كائن حى يعتريها ما يعترى الكائن الحى من قوة وضعف وتقدم وتأخر ، وفتوة وشيخوخة . وهى تتأثر فى أطوار حياتها بما يتأثر به الكائن الحى من عوامل ومؤثرات فى مقدمتها الوراثة والبيئة ، فلكل لغة مميزات أو خواص ترثها عن أصلها أو أصولها التى انحدرت عنها ، وكل لغة تتأثر بالبيئة التى تعيش فيها طبيعية كانت تلك البيئة أو اجتماعية ، فليست لغة البدو كلغة الحضر ، وليست لغات سكان الأقاليم الاستوائية كلغات سكان المناطق المعتدلة أو الباردة ، ولغات القبائل البدائية محدودة ليس فيها من الألفاظ والعبارات ما يكفى للتعبير عن تجارب الإنسان المتشابكة المتنوعة ، وعلومه ومعارفه الراقية ، وظروف حياته المتغيرة المتقلبة . أما لغات الأمم والشعوب الراقية النامية فتساير نهضتهم وتتسع للتعبير عن إحساساتهم الدقيقة وعواطفهم الرقيقة ، ولتسجيل علومهم ومعارفهم ونقل ثقافتهم ومظاهر حضارتهم من جيل إلى جيل .

ونستطيع أن نسير فى تشبيه اللغة بالكائن الحى إلى أبعد من هذا فنقول : إن اللغات قد تشعبت واختلفت فانقسمت إلى طوائف أو سلالات كما انقسم النوع الإنسانى إلى أجناس ، وقديما كانت اللغات تنقسم إلى سامية وحامية ويافثية تبعا لانقسام النوع الإنسانى إلى ساميين وحاميين ويافثيين أيضا . ولا يزال تقسيم اللغات يبنى فى عصرنا هذا على أساس تقسيم الجماعة البشرية إلى طوائف تؤلف بين أفراد كل منها روابط مختلفة منها رابطة اللغة .

ونخطو خطوة أخرى فى هذا التشبيه فنقول إن كل لغة تتكون من أفراد هى ألفاظها أو كلماتها ، فهى بمثابة الجماعة ، وألفاظها بمثابة الأفراد ، وإن كل كلمة لها شخصية قائمة بذاتها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذات ناحيتين: هما الناحية اللفظية أو الصوتية، والناحية المعنوية. فلفظ الكلمة أو صوتها بمثابة جسم الإنسان أو مادته التي يتكون منها، ومعناها بمثابة روح الإنسان التي تسرى فى جسمه وتكسبه الحياة. وكما تطور الإنسان جسما وروحا تتطور الكلمة لفظا ومعنى.

واللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب. فيغلب القوى منها الضعيف، ولا يزال يصرعه حتى يقضى عليه.

ونذهب إلى أبعد من هذا كله فنقول: إن بعض أفراد اللغة أو ألفاظها قد تنتقل أو تهاجر من لغة إلى أخرى كما يهاجر بعض الناس من بلد إلى بلد، وعوامل الهجرة اللغوية تكاد تكون هى عينها عوامل الهجرة البشرية التى تشمل العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والتجارية والحربية.

وكما تتصل الأمم والشعوب بعضها ببعض ويتأثر كل منها بالآخر تتصل اللغات بعضها ببعض وتتأثر كل منها بغيرها نتيجة لهذا الاتصال. وكذلك نجد أن اللغات أو اللهجات المختلفة قد يندمج بعضها فى بعض فتتحد وتعتبر لغة واحدة حين تتحد الشعوب وتكون جماعة بشرية واحدة كما فى الدول الإسلامية والولايات المتحدة. ويمدنا التاريخ بمثل يؤكد لنا هذه الحقيقة بصورة بارزة ذلكم هو مثل اللغة الأردية التى ولدت فى عهد الإمبراطور أكبر امبراطور الهند سنة ١٥٥٦ — ١٦٠٥ م نتيجة لاجتماع طوائف مختلفة من الجنود فى معسكر واحد جمع بين الفارسى والهندى والأفغانى والتركى، ومن ثم كانت هذه اللغة خليطا من العربية والفارسية والهندية والأفغانية والتركية، فما أشبه هذه اللغات بأصحابها.

هذا هو شأن اللغة أية لغة. وليست اللغة العربية بدعا من اللغات، بل إنها قد خضعت فى نشأتها وتطورها لما خضع له غيرها من أسباب التطور، وعوامل القوة أو الضعف، ولولا القرآن الكريم كتاب العربية المقدس ومنار المسلمين فى جميع أقطار الأرض لكان مصير العربية كمصير اللاتينية والسنسكريتية، وغيرهما من اللغات القديمة التى فنيت أو حلت محلها فروعها.

ولئن كانت اللغة العربية قد اتصلت فى عصور حياتها المختلفة بعدة لغات فإن اتصالها باللغة الفارسية كان أقوى وأظهر. وبيان الصلة بين هاتين اللغتين هو الموضوع الذى أكتب اليوم فيه.

وإنه لموضوع طويل متعدد النواحى لا يكفى لتفصيل القول فيه مقالة واحدة ذلك لأنه بحث يتطلب عرض ما كان بين العرب والفرس من علاقات سياسية وتجارية وغيرها قبل الإسلام وبعده. وغنى عن البيان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن هذه العلاقات هي أساس ما حدث بين الشعبين العربي والفارسي من صلة لغوية وثيقة قبل الإسلام وبعده .

ولا ريب أن تفصيل هذه الصلة وبيان تلك العلاقات حقيق بأن يملأ صفحات وصفحات ، ومن ثم أراني مضطراً إلى التزام جانب الإيجاز المعتدل والاكتفاء أحيانا بالإشارة إلى المراجع المطولة ، ليرجع إليها من يود التوسع في البحث والإسهاب في التحصيل .

ولابد لي اليوم بالكلام على صلة العربية بالفارسية قبل الإسلام مرجئا إلى مناسبة أخرى الحديث عن هذه العلاقة بعد الإسلام .

من المعلوم أن بلاد العرب لم تكن بمعزل عن العالم قبل الإسلام ، فالواقع الذي لا مراء فيه أن جزيرة العرب وبخاصة أطرافها كانت على صلة بما حولها وما جاورها من البلاد .

كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس الواقعة في شمالها الشرقي ، وكانت العراق أو بعبارة أدق وكانت الحيرة مملكة المناذرة حلقة الاتصال بين العرب والعجم . وكانت بلاد العرب على صلة ببلاد الروم الواقعة في أقصى شمالها الغربي ، وكانت مشارف الشام مملكة الغسانيين حلقة الاتصال بين العرب والروم .

وفي القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأولى بعده كان العرب على صلة بالأنباط [١] الذين امتدت بلادهم من شبه جزيرة طور سينا إلى ما حولها في الركن الشمالي الغربي من جزيرة العرب .

وقديما قامت في الجزء الجنوبي من بلاد العرب دول يمنية قوية كان لكل منها شأن عظيم في مجرى الحوادث التاريخية . منهم المعينيون ، والسبئيون ، والحميريون ، والحضرميون . وكانت اليمن حلقة الاتصال بين العرب والأحباش بطريق بوغاز باب المندب ، وبين العرب والهنود والصينيين عبر البحر العربي وبحر الهند وغيرهما .

وكان اليهود يجاورون العرب في فلسطين . وكانت لهم جالية بالعراق وأخرى في الحجاز . وكانت اليمن تمتاز في العصور القديمة بموقع جغرافي يصل بينها وبين أمم العالم القديمة ويجعلها حلقة الاتصال التجاري بين الشرق والغرب ، فكان الهنود يحملون إليها من بلادهم ومن الصين البضائع التي يحتاج إليها المصريون والآشوريون والفينيقيون والروم ، كالذهب ، والقصدير ، والأحجار الكريمة ، والعاج ، وخشب الصندل ، والقطن والتوابل

[١] كانت دولة الأنباط بين فلسطين وبلاد العرب وكانت دولة ذات مدنية وحضارة اشتهرت بالزراعة وقيل: إن العرب أخذوا عنهم الكتابة واشتهرت هذه الدولة من القرن الرابع ق . م إلى أن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأفاويه كالفلفل والزنجبيل وبعض أنواع من الحرير . وكان التجار يأتون من بلاد إفريقية الشرقية بالعطور وخشب الأبنوس وريش النعام والعاج والذهب ويحملونها إلى اليمن . فكان اليمنيون ينقلون هذه البضائع وتلك إلى الأمم المذكورة آنفا بطريق البر أو بطريق البحر ، وكانوا يحملون إلى هذه الأمم ما تخرجه بلادهم من المر والبخور كالعود والند ، وبعض الأحجار الكريمة كالشب والعقيق .

وكانت قوافل التجارة تسير فى قلب الجزيرة مخترقة طرقا خاصة بعيدة عن الجبال ومغاصات الرمال ذات مراحل ومرافق يقوم على حراستها أشخاص يختارون من البدو .

وكان أهم هذه الطرق طريق عمان أو حضرموت وكان يمر بالدهناء فنجد ويصل إلى الحجاز فيمر بمكة فالمدينة فبطرا ثم يمتد شمالا إلى فينيقية وفلسطين وتدمر أو غربا إلى مصر .

وكما كانت قوافل التجارة تنقل بضائع الصين والهند وبلاد إفريقية الشرقية من الجنوب إلى الشمال كانت قوافل أخرى تنقل بضائع البلاد الشمالية إلى اليمن ومن ثم إلى الهند والصين وشرق إفريقية ، أو تنقل بضائع أخرى مخترقة قلب الجزيرة من الغرب إلى الشرق أو بالعكس .

فقد هيئت طرق للقوافل منذ القدم بين مكة والشام ، وبينها وبين اليمن ، أو العراق ، أو مصر . وكان لتجارة الحبشة طريق معبد يبدأ من جدة على البحر الأحمر وينتهى بالقطيف على خليج العرب ببلاد الأحساء .

ويروى المؤرخون أن كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) كان يجهز كل سنة لطيمة أى قافلة تجارية تباع بعكاظ ، وأن بنى عامر بن صعصعة غزوا لطيمة فى بعض السنين فكان ذلك سببا فى نشوب حرب بين النعمان ابن المنذر أبى قابوس (٥٨٥ — ٦١٣ م) صديق كسرى وعامله على الحيرة وبين بنى عامر . وتسمى هذه الحرب يوم السلان وفيها انهزمت جيوش النعمان .

ويشير القرآن الكريم إلى انتشار التجارة فى بلاد العرب فيقول : « أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ »[1] ويقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » .

ويروى المؤرخون أيضا أن القدماء من

---

[1] القصص : ٥٧ . والمراد بالحرم الآمن بيت الله الحرام بمكة وكان العرب يقدسونه ويحجونه ويأتون إليه رجالا وركبانا من كل جانب حاملين إليه الخيرات المختلفة الأصناف والبضائع المختلفة الأنواع ليشهدوا منافع لهم بالتجارة ونحوها فكانت حركة البيع والشراء تشتد فى أيام الحج فى سوق عكاظ

المصريين والآشوريين غزوا بلاد العرب في عصور مختلفة تمتد من أوائل القرن السابع عشر إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وأن الفرس خلفوا البابليين في الاستيلاء على العراق في عهد كيروش حوالى سنة ٥٣٨ ق م. ويقال: إن العرب أو فريقاً منهم كانوا يؤدون له الجزية، وأنهم كانوا عونا لقمبيز خليفة كيروش حين أغار على مصر (٥٢٩ — ٥٢٢ ق م).

ويروون كذلك أن الأحباش غزوا اليمن سنة ٥٢٥م وظلوا يحكمونها حتى سنة ٥٩٩م، وأن الفرس حاربوا الأحباش وأخرجوهم من اليمن سنة ٥٩٩ م في عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م).

وقد نشبت بين العرب والفرس قبل الإسلام حربان عظيمتان كان النصر فيهما للعرب: الأولى حرب استخلاص الملك لبهرام كور وسيأتي الكلام عليها، والأخرى حرب ذي قار (يوم ذي قار) وكانت في عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨م) وإياس بن قبيصة ملك الحيرة (٦١٣ — ٦١٨ م) وفيها دارت الدائرة على الفرس فانهزموا بصفوفهم وخيلهم على كثرة عددهم. وقد وقعت هذه الحرب سنة ٦١٤ م أو في السنة الثالثة من البعثة المحمدية. وتدل بعض الروايات التاريخية على أنه كانت بين الفرس والعرب بعض صلات اجتماعية، فمن ذلك أن كسرى برويز كتب إلى المنذر الرابع أن يبعث له قوم من العرب يترجمون الكتب له فبعث إليه بعدي بن زيد الشاعر وأخوين له فكانوا بين كتابه يترجمون له.

وقيل: إن الأكاسرة كانوا في أوائل عهد دولة المناذرة يعجبون بنشاط العرب وأنفتهم، ويعهدون إليهم بتربية أولادهم وتثقيفهم وذلك كما في حال بهرام كور بن يزدكرد التي سنقص قصصها فيما بعد.

وقيل أيضاً: إن كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) هم بتزويج بعض أولاده من بنات العرب فاستشار في ذلك زيد بن عدي الشاعر المعروف فأشار عليه أن يطلب من النعمان بن المنذر بعض بنات عمه وأثنى على جمالهن فأمره أن يذهب في طلبهن. ولذلك قصة لا يتسع المقام لذكرها.

كل هذه الحوادث وغيرها مما لا قبل لنا باستقصائه تدل دلالة قاطعة على حقيقتين لا مناص من التسليم بصحتهما.

أما الأولى فهي أن العرب قد اتصلوا في عصور حياتهم المختلفة قبل الإسلام بجميع الدول التي شاع أمرها في العصور القديمة، وأن هذه الصلة كانت متعددة النواحي شملت السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية.

وأما الثانية فناشئة عن الأولى ، وخلاصتها أن اللغة العربية قد احتكت بأمهات اللغات القديمة وتأثرت بها ومن بين هذه اللغات : الفارسية واليونانية ، والنبطية والآرامية ، والعبرية ، والحبشية والهندية .

ومن ثم نعرف السبب الأساسى فى أننا نجد فى اللغة العربية كلمات أو أصولا لغوية منقولة أو مهاجرة من هذه اللغات حتى لقد قيل : إن معظم الألفاظ الدالة على الحضارة والملك والأثاث والرياش منقولة عن الفارسية . وإن معظم الألفاظ المتصلة بالعلم والفلسفة منقولة عن اليونانية ، وإن كثيراً من الكلمات الدالة على النباتات وشئون الزراعة منقول عن النبطية ، وأن ما يدل على طقوس دينية أكثره منقول عن العبرية أو السريانية أو الحبشية ، وأن ما يدل على التوابل والأناويه والعقاقير والأطياب والأحجار الكريمة فأصله فى الغالب سنسكريتى أو هندى .

وقد ذكر علماء اللغة من الألفاظ اللاتينية أو اليونانية الأصل : القسطاس ، والدرهم ، والقنطار ، والقبان ، والاصطرلاب والترياق ، والبطريق ، والقنطرة ، ومن الألفاظ العبرية الأصل : الملكوت والرحموت ، والجبروت والمشكاة واللهم وحج وكاهن وعاشوراء ومعظم أسماء الأنبياء . ومن الألفاظ الحبشية الأصل : كفلين ، مشكاة ، ومرج ، ومنبر . ونفاق ، وحوارى (رسول) وبرهان (منير واضح) ومصحف ، ومن الكلمات السنسكريتية الأصل : صبح وبهاء وضياء ومسك . ومن الألفاظ الهندية الأصل : كافور ، وزنجبيل وفلفل . دخلت العربية هذه الألفاظ وغيرها من مئات الكلمات فصقلت بالصيقل العربى وصارت عربية الصيغة ، ودخلت فى كيان اللغة العربية ، ونزل القرآن الكريم فاستخدم كثيراً منها (١) ولم يقدح ذلك فى أنه أنزل بلسان عربى مبين .

أما ما نقل من الفارسية إلى العربية من الألفاظ فكثير لا يكاد يحصى ، ذلك لأن علاقة العرب بالفرس كانت قبل الإسلام أوثق وأبعد مدى مما يعتقد كثير من الناس . لذا سأفيض فى بيان هذا الموضوع .

قلت من قبل : إن المناذرة ملوك الحيرة كانوا حلقة الاتصال بين العرب والفرس ، ومع أنهم كانوا يحكمون العراق بالنيابة عن الفرس فقد كان ملوكهم ذوى حول وطول وأصحاب سلطان ونفوذ ، وكان لكل منهم مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة لدى الأكاسرة .

---

[١] راجع فى هذا الموضوع الإتقان فى علوم القرآن والمزهر للسيوطى ، والأصل والبيان فى معرب القرآن للشيخ حمزة فتح الله .

ولقد بلغ من ثقة الأكاسرة بملوك المناذرة واعتمادهم عليهم فى مهام أمورهم أن كان بعضهم يرسلون أبناءهم إلى البادية لينشئوا بها فى رعاية ملوك الحيرة وتحت إشرافهم . وتلك حقيقة تتجلى بأجلى مظاهرها فيما كان من أمر يزدكرد الأول بن بهرام الأثيم (٣٩٩-٤٢٠م) وابنه بهرام كور (٤٢٠ - ٤٣٨ م) الذى أجمع مؤرخو العرب والعجم على أنه تربى فى بلاد العرب .

ويعد بهرام هذا أبرز حلقة اتصال بين العرب والفرس ثم بين العربية والفارسية قبل الإسلام . ويذكر المؤرخون فى سبب تربيته فى بلاد العرب أن أباه يزدكرد كان لا يعيش له ولد فلما ولد له بهرام هذا أصابته علة فى صغره ولما يزل رضيعا ، فأشار عليه الأطباء أن يخرجه إلى بلاد العرب ليعيش فى مكان هواؤه طلق نقى يساعد على شفائه فدفعه إلى أحد ملوك الحيرة ليربيه ويشرف على علاجه .

وهنا نسأل : من كان ملك الحيرة الذى أشرف على تربية بهرم كور ؟ فنجد أن المؤرخين قد اختلفوا فى الجواب عن هذا السؤال فقال فريق منهم وعلى رأسهم حمزة الأصفهانى: إنه كان المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ - ٤٧٣ م) الذى تولى الملك بعد أن تركه أبوه النعمان السائح وتزهد . وقال فريق آخر : إنه كان النعمان بن امرئ القيس (٤٠٧ - ٤٣٠ م) .

ويبدو لى أن الرأى الثانى هو الصواب لأن الرأى الأول لا يستقيم وما ذكره المؤرخون عن تاريخ حكم المنذر للحيرة وحكم بهرام لفارس ، فالمنذر تولى ملك العراق سنة ٤٣١ ، وبهرام جلس على عرش فارس سنة ٤٢٠ م ومعنى هذا - إذا صح هذان التاريخان - أن المنذر تولى الملك فى العراق بعد أن تولاه بهرام فى فارس بنحو إحدى عشرة سنة ، ومن ثم لا يمكن أن يكون هو الذى تولى تربية بهرام وساعده على استرداد عرشه ممن اغتصبه كما سنذكر فيما بعد .

ومهما يكن من أمر هذا المربى فمما لا شك فيه أن بهرام كور تربى فى بلاد العرب ، وربما كان ذلك فى مكان قريب من بادية الشام ، وقد عنى ملك الحيرة بعلاجه حتى برأ من علته . ويقال: إنه أحضر له ثلاث مراضع إحداهن فارسية والأخريان عربيتان ، وإنه هيأ له وسائل التربية الصحية والعقلية وأعد له عددا كافيا من المربين والمعلمين فعلموه القراءة والكتابة والرماية والفروسية . وكان لبيبا فطنا فأجاد التعلم فى صغره ، وطلب من المشرف على تربيته أن يأتى له بمعلمين آخرين لأنه قد استوعب جميع ما لدى معلميه من علم ومهارة .

وقد أهله ذكاؤه النادر لأن يجيد تعلم اللغة العربية ويقرض الشعر العربى الموزون المقفى الذى لم ير له نظيرا فى الفارسية .

يقول محمد عوفى فى كتابه « لباب الألباب » الذى ألفه بالفارسية فى الأدب الفارسى فى أوائل القرن السابع الهجرى ما خلاصته مترجمة :

نشأ بهرام كور بين الأعراب وتعلم العربية وألم بأسرارها ووقف على دقائقها . ويقال إنه كان فى صباه متوقد الذكاء سريع الخاطر مرهف الحس ، وكان شجاعا مقداما بين السابقين من أبطال العجم . ويروى أنه كان ينظم شعرا جيداً بالعربية » .

ويمضى محمد عوفى فيقول إنه : اطلع فى إحدى دور الكتب على ديوان شعر لبهرام يحتوى على قصائد باللغة العربية وأنه قرأ بعض هذه القصائد وكتبها وحفظها ويذكر من بين تلك القصائد واحدة نظمها بهرام فى رفضه الزواج بعد أن عاد إلى بلاده وساعده العرب على الجلوس على عرش أبيه يزدكرد. وسبب ذلك أن جماعة من أقاربه ورجال دولته مثلوا بين يديه وقالوا له : أيها الملك العظيم : إن أيام الشباب هى موسم انتهاز الفرص لتحقيق الرغبات . وليس من المقبول أن تقضيها فى عزلة ووحدة . وأن ماء الحياة إذا شربه الشاب من كأس العزوبة يفقد ما قد يكون فيه من عذوبة . فهل تتفضل فتأذن لنا أن نختار إحدى المخدرات من أكفاء الأميرات لتكون لك زوجا تؤانسك وتذهب بوحشتك ؟ فما كان منه إلا أن أجابهم بقطعة من الشعر منها هذان البيتان .

يرومون تزويجى من الكفء مطلبا
ومالى من جنس الملوك عديل
أرى أن مثلى كالمحال وجوده
وليس إلى مثل المحال سبيل

ويروى العوفى لبهرام بيتين آخرين هما :

فقلت له : لما نظرت جنوده
كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فإنى لحامى ملك فارس كله
وما خير ملك لا يكون له حام

ولبهرام كور أشعار كثيرة بالفارسية كان يغنيها المغنى الفارسى الشهير المسمى « باربد » فى بلاط كسرى برويز ، ولكن هذه الأشعار لم تكن موزونة مقفاة كالشعر العربى بل إنها كانت خالية من الروى والقافية ولم تخضع لنظام البحور الذى اتبعه العرب .

ويروى أن أول بيت نظمه بهرام على مثال الشعر العربى هو قوله :

منم آن شير كله منم آن بيلى يله

نام من بهرام كور وكنيتم بوجبله
« أنا ذلك الليث الكاسر أنا ذلك الفيل الثائر .

اسمى بهرام كور وكنيتى أبو جبلة

ويروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه « تذكرة الشعراء » الذى ألفه بالفارسية فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأدب الفارسي حوالى سنة ٨٩٢ هـ في بيان السبب في نظم هذا البيت ما خلاصته مترجمة .

« لم يجد العلماء والأدباء شعراً نظم باللغة الفارسية قبل الإسلام . ولم تقع أنظارهم على أسماء الشعراء في ذلك العصر .

بيد أنه قد شاع على ألسنة الناس أن بهرام كور كان أول من نظم الشعر بالفارسية . وسبب ذلك أنه كان يعشق فتاة اسمها دلارام جنكى (جذابة القلوب في ميدان الحروب) وكانت معشوقة القوام ، مستقيمة الطبع ، رشيقة الحركات ، حاضرة البديهة طريفة الفكاهة . ولما كان بهرام لا يصبر على فراقها كان يصحبها كلما خرج للصيد والقنص .

وذات يوم خرجا للصيد فرأى بهرام أسدا في إحدى الغابات ، فطارده وظفر به فأخذ بأذنيه وربط إحداهما بالأخرى ، وعاد به إلى عشيقته ، وقد بلغ من إعجابه بنفسه واغتباطه بشجاعته أن جرى على لسانه قوله :

منم آن بيل دمان
منم آن شيربله
أنا ذلك الفيل الثائر
أنا ذلك الليث الكاسر

وكانت عادة دلارام أن تعلق على كل عبارة يقولها بهرام بما يناسبها حين جرت على لسانه العبارة السابقة قال لها : ماذا لديك يادلارام في مناسبة هذا الكلام ؟ فأجابت :

نام بهرام ترا
وبدرت بوجبله
فبهراء لك لقب
وبوجبله لك الأب

فوافق هذا الكلام ذوق بهرام وحسن وقعه على نفسه وعرضه على الأدباء فقرروا أنه موزون مقفى من النوع الذى عرف فيما بعد باسم المثنوى في الفارسية والمزدوج في العربية .

ومن ثم يرى مؤرخو الأدب الفارسي أن بهرام كور كان أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية وأنه هو الذى ابتكر نظام المثنوى . وسنوفى هذا الموضوع حقه فيما يأتى :

هذا وإن رواية دولتشاه للبيت ليست كرواية محمد عوفى له ، فليت شعرى هل أخذت بهرام نشوة أدبية حينما سمع كلام دلارام فقال مرددا لما قالاه في صورة جديدة :

منم آن شير كله
منم آن بيل بله
نام من بهرام كور وكنيتم بوجبله

وكان لبهرام كور مغامرات في أثناء إقامته في بلاد العرب منها ما رواه الملاحين الواعظ الكاشفى في كتابه « أخلاق محسنى » الذى ألفه بالفارسية في أواخر القرن التاسع الهجرى حيث يقول ما ترجمته :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقد أقام بهرام كور بعض الوقت فى بلاد العرب فى صحبة النعمان بن المنذر [١] ، وكان النعمان هذا يقوم على تربية بهرام بناء على طلب أبيه يزدكرد ، فحدث ذات يوم أن خرج بهرام لصيد الظباء فلاحت له ظبية فقصد إلى رميها ، فقفزت وفرت هاربة فطاردها واقتفى أثرها ، واشتد الحر فأدرك الظبية شىء غير يسير من الجهد والنصب من العطش ومتابعة العدو ، فاضطرت إلى أن تأوى إلى ديار إحدى قبائل العرب .

ودخلت خباء أعرابى اسمه قبيصة ، فأخذها وعقلها وما أن فعل ذلك حتى رأى رجلا يصل إلى باب خيمته متنكبا قوسه متلهفا يطلب الظبية ، ويصيح بأعلى صوته : يا صاحب هذه الدار ههنا صيدى فاخرج به إلىّ . فقال قبيصة ـ ولم يكن يعلم من الواقف ببابه ـ « أيها الفارس الطلق المحيا ليس من المروءة فى شىء أن أسلم حيوانا احتمى بدارى ولجأ إلى جوارى إلى يد إنسان ليقتله » .

وسمع بهرام هذا الكلام فاستشاط غضبا وأخذ يكلم قبيصة فى غلظة ، فقال قبيصة : لا تكثر من الكلام . فما دمت حيا ولم يصبنى أذى من سهمك الذى فى قوسك فلن تمتد يدك بسوء إلى هذه الظبية ولئن قتلتنى ليتبعنك قومى ليأخذوا بثأرى ويستردوا الظبية منك ، فاربأ بنفسك وتخل عن هذه الظبية وإذا أردت عوضا عنها فأمامك جوادى العربى مسرجا ملجما مقيدا أمام خبائى فخذه هدية منى إليك واركبه واجعل جوادك جنيبه من ورائك ، والحق بأهلك وديارك .

فأعجب بهرام بهذا الكلام وأكبر فى الأعرابى حمايته لجارته الضعيفة ، ولم يلتفت إلى جواد الأعرابى . بل إنه لوى عنان جواده هو وأغذ السير حتى وصل إلى موكبه .

ولما جلس بهرام على عرش أبيه (على النحو الذى سنشرحه) ودخل فى طاعته أبناء وطنه أرسل فى طلب قبيصة ولما وفد عليه أكرم وفادته وأطلق عليه لقب « مجير الظباء » فصارت مثلا .

وبينما كان بهرام كور يرتع ويلعب فى رحاب البادية ويستمتع بهوائها الطلق النقى إذ بلغه أن أباه يزدكرد قد مات ، وأن الفرس قد ملكوا عليهم رجلا اسمه خسرو من سلالة أردشير بابك ، وعلم أن السبب فى ذلك هو أن عظماء الفرس وأشرافهم تعاهدوا فيما بينهم على ألا يملكوا عليهم أحداً من نسل يزدكرد بعد وفاته لسوء سلوكه فيما بينهم ، ولأن ابنه الأكبر بهرام نشأ بين العرب وتخلق بأخلاقهم الجافة فى نظرهم ولا علم له

[١] لعل الصواب : ابن امرئ القيس كما بينا من قبل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بسياسة الملك ولأن ابنه الأصغر محب لنفسه يؤثر مصلحته الخاصة على مصلحة الوطن، فقد كان واليا على أرمينية ولما بلغه وفاة أبيه تركها وشأنها دون أن ينيب عنه من يرعاها، وأسرع فى العودة إلى عاصمة الدولة ليجلس على عرش أبيه قبل أن يسبقه إليه أخوه الأكبر بهرام.

علم بهرام بذلك فجن جنونه وهرع إلى النعمان بن امرئ القيس يستعديه على قومه ويتوسل إليه أن يعاونه على استرداد عرشه المسلوب فلبى النعمان طلبه وقال له: لابد لنا ذلك حتى ألطف الحيلة فيه، ثم جهز جيشا ضخما اقتحم به أرض فارس، ورآه الفرس فأفزعتهم كثرة عدده وعدده، وانتهى الأمر بانتصار العرب، وإذعان الفرس لبهرام وجلوسه على العرش، وعاد الجيش العربى منصورا مؤزرا، وكانت للنعمان منزلة عظمى لدى بهرام. وأدرك الفرس ذلك فتوسلوا إليه أن يخاطب بهرام فى أن يعفو عن عظمائهم وأشرافهم الذين كانوا قد خرجوا عليه ففعل.

وكان للجيش العربى موقف مشرف آخر مع بهرام كور وذلك حين نشبت الحرب بين الفرس والروم وحاصر الروم مدينة نصيبين من أرض الجزيرة، فاستنصر بهرام بالمنذر ابن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ - ٧٤٣م) فلبى طلبه واضطرب أهل القسطنطينية فاضطر ملك الروم إلى طلب الصلح وعاد الجيش العربى ظافرا منصورا.

هذه هى قصة بهرام كور. وأذكر هنا على سبيل الاستطراد أن كلمة بهرام معناها المريخ، وأن كلمة كور معناها الحمار الوحشى وقد لقب بهرام بهذا لأنه كان مولعا بصيد الحمر الوحشية، وقد ظل على هذه العادة طول حياته حتى كانت سببا فى هلاكه، ذلك أنه بينما كان يطارد حمارا وحشيا إذ عدا جواده إلى نهر من الرمل فغاصت فيه قوائمه فهلك وهلك معه راكبه.

وإنما أطلت فى سرد هذه القصة لأقرر:

١ — أن بعض الأكاسرة كانوا يرسلون أبناءهم إلى بلاد العرب ليتعلموا بها.

٢ — أن الأكاسرة كثيرا ما كانوا يستعدون العرب ويستعينون بالجيش العربى فى تحقيق أغراض عسكرية يعجزون عن تحقيقها.

٣ — أن بهرام كور أجاد العربية نثرا ونظما ونقل إلى الفارسية نظام الشعر العربى المنظوم، المقفى، وابتكر نظام المثنوى أو المزدوج.

٤ — أن الاتصال الوثيق بين العرب والعجم لكل ما ذكرت من الأسباب قد أدى إلى أن يدخل العربية فى العصر الجاهلى كثير من الألفاظ الفارسية، وجاء الإسلام ونزل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القرآن الكريم وقد صقلت هذه الكلمات بالصيقل العربي واندمجت في كيان اللغة العربية فاستعمل القرآن بعضها مثل سندس واستبرق لا على أنها كلمات أعجمية بل على أنها كلمات عربية الصيغة والصبغة .

ولم يكن بهرام كور هو وحده الذي تعلم العربية فإن بعض التراجمة ورجال الدولة من الفرس كانوا يعرفونها أيضا . يؤيد ذلك ما ورد في قصة وفود النعمان على كسرى ومعه عدد كبير من خطباء العرب ، وكذلك ماروى من أن كسرى أرسل زيد بن عدى إلى النعمان ابن المنذر في طلب بنات عمه ليكن زوجات لأبناء كسرى وأنفذ معه سفيرا يعرف العربية ليسمع جواب النعمان .

وكما كان بعض الفرس يجيدون العربية ، كان بعض العرب يجيدون الفارسية وخاصة من كانوا يسكنون الحيرة وما حولها . وقد ذكرنا من قبل أن بعض الكتاب والمترجمين في بلاط كسرى كانوا من العرب .

من هذا كله نستطيع أن نستخلص حقيقة لا مجال للشك في صحتها هي في الواقع خلاصة هذا البحث هي أن صلة العرب بالعجم قبل الإسلام قد أدت إلى أن اتصلت العربية بالفارسية وتأثرت كل منهما بالأخرى .

أما تأثر العربية بالفارسية فيؤيده ما دخل العربية من كلمات فارسية ذكر بعضها معربا في القرآن الكريم . وأما تأثر الفارسية بالعربية فأمر طبيعي معقول على الرغم من أنه ليس بين أيدينا الآن من المراجع أو الأدلة اليقينية ما يثبته ، لأن لغة فارس قبل الإسلام كانت اللغة الفهلوية التي حلت محلها العربية كما حل الإسلام محل الزرادشتية ، وحل القرآن الكريم محل الزند والأبستاق .

على أن تأثر كل من العربية والفارسية بالأخرى قبل الإسلام كان في حدود نطاق ضيق . ذلك لأن الفرس تأثروا في العصر الساساني بالآرامية التي كانت لغة شبه رسمية في الشرق الأوسط جميعه ، وقد ثبت أن الفرس قد استبدلوا بالخط المسماري الخط الآرامي ، وأنهم اتبعوا في الكتابة والقراءة طريقة الهزوارش أو الزوارش وهو ما يسميه ابن النديم الزوارش ، ذلك أنهم كانوا يكتبون كثيراً من الكلمات بالآرامية ويقرءونها كلمات فارسية تؤدي معانيها كأن يكتبوا بالحروف الآرامية ملكان ملكا (ملك الملوك) ويقرؤوا شاهان شاه أو يكتبوا كلمة بسر (لحم) ويقرءوا كوشت ، أو يكتبوا كلمة « زانا » (ذلك) ويقرءوا آن ، ويكتبوا لحما (خبز) ويقرؤوا « نان » (١) .

---

[١] راجع كتاب : قصة الأدب الفارسي : ٨٤ — ٨٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن هذا يرجح أن تأثر الفرس بالآرامية كان أشد من تأثرهم بالعربية قبل الإسلام. أما فيما بعد الإسلام فقد تغيرت الأوضاع فتعلم الفرس العربية التي حلت محل الآرامية في الانتشار. ولما جد الفرس في إحياء لغتهم وآدابهم في القرن الثالث الهجري اتخذوا الأبجدية العربية.

ويبدو أن تعصب العرب للغتهم قد جعلهم ينفرون من تقبل الكلمات الفارسية التي لم يشعروا بحاجة إليها؛ فإننا إذا نظرنا في هذه الكلمات وجدنا:

١ — أنها قليلة لا تكاد تذكر بجانب الكلمات الأصيلة لأنها دخلت العربية بعد أن نمت وأثبتت صلاحيتها للبقاء، ولم تكن في حاجة لأن تقتبس من غيرها إلا القليل النادر من الألفاظ التي تدل على معان مستحدثة أو على مسميات لم يكن لها نظائر في بلاد العرب.

٢ — أنها أسماء، إذ لم يأخذ العرب عن غيرهم حروفا ولا أفعالا، وإنما أخذوا عنهم أسماء، غير أن العرب بما طبعوا عليه من مرونة لغوية كانوا كثيراً ما يشتقون من الأسماء الدخيلة أفعالا، فاشتقوا من زركش (= الراسم بالذهب) زركش = نقش أو رسم بالذهب، ومن كهرباء كهرب. ومن مغناطيس مغنطس؛ ومن قسطاس قسط بمعنى عدل وأقسط ظلم، ومن لجام ألجم، ومن مهر (= خاتم) مهر الكتاب بمعنى ختمه أو ذيله بتوقيعه. ومن ديوان دون وهكذا، ثم اشتقوا من هذه الأفعال أفعالا ومشتقات أخرى كما لا يخفى.

٣ — أنها أسماء من أنواع خاصة، كأسماء النبات، أو الحيوان أو المعادن، أو الآلات أو المأكولات أو المشروبات أو الملابس أو غيرها مما يدل على معان فلسفية أو على أشياء لم يعهدها العرب من قبل.

على أن العرب قد نقلوا إلى لغتهم ألفاظاً محدودة العدد لها نظائر في لغتهم إما لخفتها على اللسان أو السمع، وإما ليدلوا على سعة اطلاعهم على الفارسية وشدة اتصالهم بالفرس. فمن النوع الأول الكلمات: ورد ومسك وتوت، وهاون، ورصاص، وميزاب، فقد استعملها العرب بدلا من حوجم، ومشموم، وفرصاد، ومهراس، وصرفان، ومشعب.

ومن النوع الثاني: بوصى (معرب بورى) وجودقة، وسجنجل، وموزج، فقد استعملت بدلا من: سفينة، ورغيف، ومرآة، وخف.

٤ — أنها تنقل عن شعوب عرفوا بالمهارة والاختصاص أو السبق في استعمال مدلولاتها، فقد أخذ العرب عن الفرس كلمات يدل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معظمها على أنواع من الطعام أو الشراب أو الملابس أو الزهور وما إليها ، وأخذوا عن اليونان بعض كلمات تدل على معان فلسفية ، وعن الأنباط ألفاظاً تتصل بالزراعة وآلاتها . . وهكذا كما سبق شرحه .

وللسبب نفسه أخذت اللغات الأوربية عن العربية بعض المصطلحات الرياضية مثل : الجبر والصفر ، واللوغاريتمات (الخوارزميات)[1] وبعض المصطلحات الكيمائية كالكحل ، والقلويات وبعض كلمات أخرى كتعريفة ، وقالب .

٥ - أنها كثيراً ما تخضع فى أصواتها وموازينها الصرفية لما هو متبع فى العربية ، وهنا تظهر مهارة العرب واعتزازهم بلغتهم ، فإنهم لم يخضعوها للموازين والصيغ الغريبة عنها ، وإنما أخضعوا لها ما كان غريبا عنها من أصوات أو موازين ، متبعين فى ذلك قواعد معينة أهمها :

أولا : قلب هاء السكت المتطرفة جيما كما فى كوسج = الأمرد ، وموزج = الخف ، وطازج = الغض الطرى : فأصلها على الترتيب : كوسه ، وموزه ، وتازه . وقد تقلب هذه الهاء كافا كما فى جوسق = القصر ، وجردق = الرغيف أو الكعك ، وكربق = الحانوت ، وبراق = الحمل ، وباشق = صقر الصيد ، فأصولها على الترتيب هى : جوسه ، وجرده ، وكربه ، وبره ، وباشه .

وإذا كان قبل هذه الهاء دال قلبت الدال ذالا والهاء جيما كما فى : ساذج ، ونموذج ، وفالوذج ، فأصولها هى على الترتيب : ساده ، ونموده وبالوذه .

وإذا كان قبل الهاء تاء قلبت دالا وقلبت الهاء قافا كما فى بودقة فأصلها بوته .

وإنما قلبوا هذه الهاء لأنه ليس فى العربية اسم ينتهى بهاء السكت ، وإنما قلبوها جيما لأنها تقلب كافا فارسية عند الجمع أو النسب أو اشتقاق اسم المعنى فى الفارسية كما فى بند كان = عبيد مفرده بنده ، وبندكى = العبودية . والجيم من أقرب الحروف إلى الكاف ويليها الكاف ثم القاف كما سترى بعد.

ثانياً : قلب الكاف الفارسية جيما كما فى لجام ، وبنج ، وجريز (= المكار الخادع) وجورب وجلنار (= زهر الرمان) فأصولها : لكام ، وبنك ، وكريز ، وكورب وكانار .

وقد تنقلب الكاف كافا كما فى كوش (= الأذن) وكردن (= العنق) ، وكنز وبركار . فأصولها : كوش ، وكردن ، وكنج وبركار .

---

[1] نسبة إلى أبى جعفر محمد بن موسى الخوارزمى صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقلما تقلب هذه الكاف قافا أو غينا كما فى قرين (= جرين) وقندفير (= العجوز الشمطاء المحطمة) وغربال ، فأصولها : كرين ، وكنده بير ، وكربال .

ثالثا : قلب الياء الثقيلة فا. أو باء خفيفة كما فى فرند السيف (= جوهره) وفالوذج ، وفستق ، وفيروزج ، وبندق (المأكول المعروف) وبيدق (= الجندى الماشى) ، فأصولها : برند ، وبالوده ، وبستى ، وبيروزه وبندق ، وبياده .

رابعا : قلب الشين سينا فى بعض الحلات كما فى بنفسج ، دست (السهل) ، وسكر ، وسروال ، وسلجم (= اللفت) ، فأصولها : بنفشه ، ودشت ، وشكر ، وشلوار ، وشلغم .

خامسا : قد تقلب السين صادا كما فى صرد (البرد) وصنجة فأصلهما زنجرد ، وسنج أو سنك هذا وقد دخل العربية كثير من الكلمات الفارسية المركبة مثل الزركشة ، زر = ذهب + كش = الراسم والكلنار كل = زهر + نار = الرمان ، والسرداب سرد = بارد + آب = الماء أى ذو الماء البارد ، والميزاب ميز = مسيل + آب = الماء ، السراب سير = ملوه + آب = الماء ثم استعمل فيما يظن الرائى من بعد أنه ماء ، والكلاب كل = زهر أو ورد + آب = ماء ، وخشاب خوش = حلو + آب = الماء ، وسربوش سر الراس + بوش = غطاء . بابوج = الخف ، با = القدم + بوج = بوش = غطاء ، والمهردار = صاحب الختم = حامل أختام الدولة مهر = ختم + دار = صاحب ، والمهماندار = المضيف = من يقوم بشئون الضيوف مهمان = ضيف + دار = صاحب .

ومن يرجع إلى المطولات من معاجم اللغة العربية يجد كلمات كثيرة من هذا النوع .

وبعد :

فأرجو أن أكون قد وفقت فى تصوير الجهود الموفقة التى بذلها أسلافنا الأقدمون رحمهم الله فى سبيل تنمية لغتنا الحبيبة ، وتوفير أسباب نهضتها وتقدمها ، والاحتفاظ بعزتها وشخصيتها حتى إنهم أخضعوا لسلطانها كل ما كان غريبا عنها أو دخيلا فيها .

فعسى الله أن يوفقنا كما وفقهم فى متابعة سيرنا نحو تحقيق الأغراض نفسها التى سعى فى تحقيقها هؤلاء السابقون الأولون .

والله المسئول أن يلهمنا القوة والصبر حتى نقف صامدين فى وجه ذلك الجيش الجرار من المصطلحات الأجنبية ، فلا نسمح له بأن يقتحم ديارنا ، ويدخل فى حمى لغتنا إلا بعد أن نقهره ونرغمه على أن يتعرب فيلبس رداء العروبة ، أو يطرح جنسيته ويتجنس بالجنسية العربية .

عامر عبد القادر

(البقية فى العدد القادم)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجلال السيوطي والتفسير

للأستاذ فوزي عطوي

ألف جلال الدين السيوطي نحوا من ثلاثين كتابا في التفسير والقرآن . وكان تعلقه بالتفسير من مطلع عمره حتى نهاية حياته ، ألف في شرح الاستعاذة والبسملة أول ما ألف . وكان شابا مفعما بالحيوية لا يجاوز عمره السادسة عشرة أو السابعة عشرة . وتقدم بهذا التفسير إلى شيخ الإسلام علم الدين البلقيني فأعجب به مما جعله يواصل الجهد ويكابد المشقة في سبيل تفسير القرآن تفسيرا جديدا يتلاءم مع اطلاعه الواسع وفهمه الدقيق .

ولقد حدثنا السيوطي عن نفسه بأنه رزق التبحر في سبعة علوم وجعل أولها التفسير . وإن هذا لحق لا مراء فيه ، فليس غريبا على من بدأ حياته بشرح الاستعاذة والبسملة وحدد خطوط هذه الحياة منذ شبابه بأن يتضلع في علم التفسير ، خاصة وقد أكثر من الاطلاع ، مما مكن له أن يكون حجة في التفسير لا يبارى .

وعندما بلغ الثلاثين وقع على كتاب يفسر نصف القرآن ألفه جلال الدين المحلي العالم المصري ، وكان قد توفي سنة أربع وستين وثمانمائة فابتدأ جلال الدين السيوطي يكمل هذا التفسير في سنة سبعين وثمانمائة وخرج بتفسير موجز لنصف القرآن الكريم ، يبدأ من سورة البقرة وينتهي عند سورة الإسراء تكملة لتفسير المحلي الذي بدأ تفسيره من الأسرار وانتهى عنه الفاتحة .

إن الجلال السيوطي لم يبلغ في هذا التفسير أقصى آماله فقد ألف بعد ذلك كتابيه القيمين « الإتقان في علوم القرآن » و « لباب النقول في أسباب النزول » .

وحسبك أن تقرأ كتابه « الإتقان في علوم القرآن » فترى أنه قد تبحر في دراسة القرآن حتى تناول موضوعات متعددة فدرس آيات القرآن : المكي والمدني والحضري والسفري والنهاري والليلي والصيفي والشتائي والفراشي والنومي والأرضي والسمائي ، وأول ما نزل وآخر ما ترك ، وسبب النزول ، وما نزل على لسان بعض الصحابة ، وما تكرر نزوله ، وحكمة نزوله وما نزل مفرقا ومجمعا ومفردا وشبيها ، وما نزل على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيفية إنزال القرآن وأسمائه وأسماء سوره وجمعه وترتيبه وعدد كلماته وسوره

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومعرفة حفاظه والعالي والنازل من أسانيده، ومعرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج ومعرفة الوقف والابتداء والإمالة والفتح والإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب والمد والقصر، وكيفيات القراءة وتجويد القرآن، وآداب تلاوته، وما وقع بغير لغة العرب وما يحتاج إليه المفسر ومعرفة إعرابه ومعرفة الوجوه والنظائر.

هذا ما يدرسه في الكتاب الأول. أما الكتاب الثاني من الإتقان فيبحث في المحكم والمتشابه ومقدمه ومؤخره وعامه وخاصه ومجمله وناسخه ومنسوخه ومشكله وموهم الاختلاف والتناقض ومطلقه ومقيده ومنطوقه ومفهومه وجميع مخاطباته وحقيقته ومجازه وتشبيهه واستعارته وكنايته وتعريضه والحصر والاختصاص والإيجاز والإطناب والخبر والإنشاء وبدائع القرآن وفواصل الآي وفواتح السور وخواتمها ومناسبة الآيات والآيات المتشابهات، وإعجاز القرآن والعلوم المستنبطة من القرآن وأمثال القرآن وأقسامه وجدل القرآن وما وقع في القرآن من الأسماء والمبهمات وأسماء من نزل فيهم القرآن وفضائل القرآن وفضله ومفرداته وخواصه وغرائب التفسير وطبقات المفسرين.

ولعلك تسأل: ماذا يبقى بعد من المسائل التي تدور حول القرآن مما يمكن بحثه؟، ولعلك لا تمنع نفسك من العجب عندما تعرف أنه لم يكتف بهذا بل ألف في مفردات هذه المسائل كتبا عدة منها كتاب «التحبير في علوم التفسير» الذي ألفه سابقا لكتاب الإتقان ثم كتاب «لباب النقول في أسباب النزول» الذي ألفه لاحقا لكتاب الإتقان. وعلى الجملة قد استطاع أن يهيئ نفسه تهيئا كاملا للخوض في القرآن الكريم والتحدث عن مختلف النواحي التي تدور حول اللفظة والجملة والسورة على وجه العموم.

ولكن ما السبب الذي دعاه إلى هذا البحر؟ كان السبب أنه اعتقد اعتقادا جازما أن القرآن الكريم كتاب حوى من جميع الفنون والعلوم ما يجب على الباحث أن يستقي من منبعها وهو القائل: «إن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها. أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدى وغى فثرى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه. والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صريح الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها ، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب » .

وعلى هذا يجرى فى كتابه متبعا هذا الأسلوب ومعتقدا أن القرآن منبع العلوم ومفجرها ومعتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فالله تعالى يقول : «ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ويقول : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » ، وقال صلى الله عليه وسلم (ستكون فتن قيل وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم) .

إن الإيمان بشمول القرآن وعمومه وأنه آخر الكتب المنزلة قد أفضى بالجلال إلى فلسفة لا تزال نجد لها صدى فى وقتنا الحاضر ، فالذين يرجعون النتائج العلمية المعاصرة إلى آيات فى القرآن ويحاولون أن يردوها إلى هذه الآيات إنما يصدرون من نفس المنبع الذى استقى منه الجلال ويتفقون معه فى أن القرآن جماع العلوم ومنبع الفنون وأصل الأفكار . ولقد حاول هو كما حاول السابقون أن يجدوا للعلوم والصنائع أصلا فى القرآن حيث يقول : « وقد احتوى ـ القرآن ـ على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك ، وألف فى ذلك كله كتاب « الإكليل فى استنباط التنزيل » ، فذكر العلوم المستنبطة من القرآن علما علما بتوسع يشفى العليل ويروى الغليل .

لهذا عظم الجلال « علم التفسير » واهتم به منذ صغره وباكورة شبابه ، ذلك لأن العلوم وإن كثر عددها وانتشر فى الخافقين مددها فغايتها بحر قعره لا يدرك ونهايتها طود شامخ لا يستطاع إلى ذروته أن يسلك . ولهذا يفتح العالم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب . وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى فى آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير » .

فشعور الجلال بأن هناك موضوعات لم تطرق حول تفسير القرآن وبأنها لم تبوب وتنظم هو الذى جعله يؤلف كتبه العديدة فى تنظيم سور القرآن المكية والمدنية وآياته المكية والمدنية ثم معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وما إلى ذلك من الأمور . وشعوره بأن القرآن منبع العلوم وأصلها دفعه إلى التبحر فى فهم هذا الكتاب الكريم مما جعله ينتج فيه إنتاجا قيما ويحاول أن يتوج هذا العمل كله بتفسير كامل شامل للقرآن الكريم جميعه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد نشأ نشأة دينية وكانت صورة أبيه لا تزال ماثلة أمام عينيه وهو صبي صغير حيث كان الأب يختم القرآن كل أسبوع. فاهتمام الوالد بالقرآن واعتزاله الناس وإقباله على هذا الكتاب الكريم قد أثر في نفس الطفل فأصبح يتمثل سلوته وراحته في اللجوء إلى هذا الكتاب محققا لأبيه ما كان يصبو إليه.

كل هذه أسباب جعلت السيوطي يرزق التبحر في التفسير كما وصف هو نفسه عند ما أرخ لحياته في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ولكن مع هذا كله لم يفسر القرآن بعد أن استكمل له عدة التفسير الذي كان يرجوه، ولا نعتبر تكملته لتفسير المحلى قمة ما وصل إليه، لأنه فسره في الثلاثين أي في منتصف عمره تقريبا ولم يكن قد نضج تمام النضوج واستوى ورسخ كل الرسوخ. ومع ذلك فإننا نجد في هذا التفسير نظرات فائقة وآراء ناضجة وتتجلى فيه شخصية الجلال القوية جلاء واضحا ولعلنا عند ما ننظر في كلامه الذي ختم به تفسيره يتضح لنا عمق الجلال في تفسيره المختصر. فما بالك لو كان قد أتحفنا بتفسيره المطول.

يقول «هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه. وقد أفرغت فيه جهدي وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدي وأنفقته في مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول. فرحم الله امرءا نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه وقد قلت:

حمدت الله ربي إذ هداني
لما أبديت من عجزي وضعفي
فمن لي بالخطا فأرد عنه
ومن لي بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك وعسى الله أن ينفع به نفعا جما، ويفتح به قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صما. وكأني بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسما، وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهما، من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقا، واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا، وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا...

ثم يذكر قصة تهدف إلى تبيين الاختلاف بينه وبين جلال الدين المحلي حيث يقول: «قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخطيب الطوخي أخبرني صديق الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى . أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن : وضعي أو وضعك ؟ فقال وضعي ، فقال : انظر . وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يبتسم ويضحك .

ويعلق على هذه القصة بقوله : « الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة : كيف وغالب ما وضع هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندي في ذلك . وأما الذي رؤي في المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة . وهي يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع ، منها أن الشيخ قال في سورة ص : والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه وكنت تبعته أولا فذكرت هذا الحد في سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية : فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه ، فالإمساك عن تعريفها أولى ، ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي في جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها . ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج : « الصابئون فرقة من اليهود ، فذكرت ذلك في سورة البقرة : وزدت أو النصارى ، بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء ، وفي المنهاج : وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى في أصل دينهم وفي شرحه أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ولا استحضر الآن موضعا ثالثا ، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب » .

هذا كله يدل دلالة واضحة على أن الجلال لم يكن متبعا مقلدا ولا ضعيفا إمعة بل كان عميقا في أفكاره دقيقا في تفهمه ، قويا في شخصيته بحيث خالف جلال الدين المحلي وسنه ثلاثون عاما ، وخالفه في مسائل هامة تلتصق بالتفسير التصاقا كبيرا ، وخاض فيها المسلمون حقبة طويلة من الزمن حتى أصبحت هناك فرق وشيع ، وحق استطاع هو - بعد - أن يختار من بين هذه الفرق والشيع ما يجده موافقا لرأيه ملائما لفهمه .

فوزي عرفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زعماء المسلمين في الهند

ومواقفهم من الاستعمار الانجليزي

للأستاذ محمد اسماعيل الندوي

— ٢ —

إن السيد أحمد خان كافح وناضل لتحقيق غايتين : الأولى رفع مستوى المسلمين من ناحية اقتصادية وثقافية ويقربهم من تقدم الانجليز الذين كان يكرههم ويصب عليهم جام الغضب والسخط ويسقطهم في جميع الميادين . والثانية قام كمصلح ديني ليذود عن كيان الدين من الحملات الفكرية الصليبية ويوجه المسلمين توجيها سليما دينيا ، ولم يرقه الكتب التي صنفها المستشرقون مثل السير وليم ميور (Sir william Mure) وغيره من الذين طعنوا في الإسلام وصاحب الشريعة وتعاليمه من ناحية تاريخية وفكرية وعقيدية. لقد سافر لأجل ذلك إلى انجلترا وصنف بالأردية كتابا سماه بالخطبة الأحمدية ، رد فيه على المستشرقين رداً قاطعا . ولقد ترجم هذا الكتاب إلى الانجليزية في انجلترا . وكذلك حاول في كتابه تهذيب الأخلاق — وهو مجموعة من مقالاته التي كان يكتبها في مجلة كان يصدرها بهذا الاسم — أن يفسر تفسيراً جديداً (يلائم روح العصر وثقافته) المسائل الإلهية والمعجزات وغيرها من المسائل المهمة . وذهب السيد أحمد خان في هذا مذهب المعتزلة كالنظام والجاحظ وأندادهما . ولم يذهب مذهبا جديدا خطر على باله . ولكن البيئة الإسلامية في تلك الأيام كانت متمسكة بعلم الحديث ولذلك خالفه علماء الحديث وسموه بالزنديق والملحد وأفتوا بكفره لأن هذه المسائل كانت مثيرة جداً .

وقد كتب مولانا أبو الكلام آزاد في كتابه « التذكرة » أن السيد أحمد خان قد تناول هذه الموضوعات قبل أن يحين وقتها وقد أتعب نفسه لأنه لم يكن أحد في الهند قد درس الفلسفة الغربية والكتب الانجليزية التي صنفها المستشرقون . ولم يترجم أي كتاب إلى اللغة الأردية الثقافية من الكتب الانجليزية الحديثة . كان الناس آمنين مطمئنين إلى أن آثار السيد أحمد خان هذه الموضوعات التي لم ترغب فيها الأمة الإسلامية في تلك الأيام . ومن ناحية أخرى فإن السيد أحمد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خان لم يدرس اللغة الانجليزية ولم يطلع على الأفكار الحديثة من مصادرها الأصلية ولذلك أخطأ فى فهم النظريات والأفكار الحديثة لأنه أخذها بمجرد السماع . وكذلك لم يكن السيد أحمد خان ملماً بالدراسة الإسلامية كما ألم بها أقرانه مثل العلامة محمد شبلى النعمانى . ولم يستطع أن يبحث فى المسائل الإلهية والمعجزات بكل دقة وعمق حتى يعد نفسه من مفكرى الإسلام فى القرن التاسع عشر وينشئ مدرسة فكرية تجرى مع الزمان والظروف والثقافة المعاصرة. لقد أظهرت هذا الرأى فى مقالتى الأردية التى كتبتها لمجلة البصير التى أصدرتها جامعة بنجاب فى الباكستان فى سنة ١٩٥٨ .

إن أحمد أمين عد أمير على من زعماء الهند وخصص له بابا فى كتابه وترك محمد شبلى النعمانى الذى يعتبر من رواد النهضة الحديثة فى الهند . وأما أمير على الذى كتب عنه أحمد أمين فلا يعرفه أحد كزعيم دينى أوسياسى . فقد كان مجرد كاتب صنف كتباً كثيرة فى اللغة الانجليزية وأشهرها روح الإسلام (The Spirit of Islam) والقانون الإسلامى (The Islamic law) ولم يشتهر أبداً بين أوساط المسلمين كزعيم أو رائد الفكرة الإسلامية ولا يعرفه كثير من المسلمين إلى الآن ، لأن ثقافته كانت ثقافة انجليزية ولم يكن إنتاجه الفكرى باللغة الثقافية التى هى اللغة الأردية .

إن السيد أحمد خان كان رجلا مخلصاً دينا أميناً . ولا شك أنه وقع فى أخطاء شنيعة فى توجيهاته وشرحه وتفسيره لمبادئ الإسلام وعقائده وأفكاره فى ضوء العلم الحديث، ولكنه كان مخلصاً فيما كتب ولذلك حينما أفتى العلماء بأنه ملحد وخارج عن الدين وأخذوا توقيعات كافة الفقهاء والمحدثين رفض الشيخ محمد قاسم النانتوى منشئ دار العلوم بديوبند أن يوقع على هذا وهو الذى يعتبر فى طليعة العلماء الأبرار من مدرسة الشاه عبد العزيز الدهلوى ومن أنصار العلماء الذين رفعوا راية الثورة فى الهند ، لقد أرسل الشيخ محمد قاسم رسالة إلى السيد أحمد خان وسأل فيها ثلاثة أسئلة ورد السيد أحمد خان عليها :

السؤال الأول : ما هو رأيك عن الله تبارك وتعالى ؟ .

الجواب : الله خالق السموات والأرض وهو أزلى وأبدى ومالك وصانع .

السؤال الثانى : هل تؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

الجواب : أشهد أن محمدا عبده ورسوله وحبيبه وصديقه .

السؤال الثالث : ما هى عقيدتك عن اليوم الآخر ؟ .

الجواب : إن اليوم الآخر حق لامناص منه

ولما وصلت إلى الشيخ هذه الإجابة قال للعلماء هل تكفرون رجلا يؤمن بالله ورسوله وهو صادق في إسلامه (البصير شبلي نمر ص ١٦٦) .

شتان بين دعوة السيد/ أحمد خان والدعوة القاديانية . إن دعوة السيد/ أحمد خان كانت دعوة إيجابية متطورة . وهي قد قامت على أساس البناء والإصلاح وتطوير الفكر الإسلامي والوعي القومي . أما الدعوة القاديانية فهي دعوة سلبية رجعية وأساسها المنامات والإلهامات والخرافات والخزعبلات التي لايقبلها الفكر الإنساني في العصر الحديث .

وكتب مولانا أبو الكلام آزاد (وزير المعارف السابق بالجمهورية الهندية) في التذكرة « أن غلام أحمد القادياني لم يدع يوما من الأيام أنه نبي أو رسول بل أتباعه وأنصاره استغلوا اسمه وأضافوا إليه أقوالا غريبة وأنشئوا جماعة تبشيرية لكي يحصلوا على مركز بين أوساط الناس » . وانتهز الاستعمار هذه الفرصة واشترى هذه الطائفة لأغراضه السياسية وتشكيك أبناء المسلمين في القيم الإسلامية . ولا شك أنه يوجد شبه بين السيد/ أحمد خان وغلام أحمد القادياني في بعض الأشياء ولكنهما يختلفان كل الاختلاف أو يبتعدان كل البعد . إن السيد أحمد خان خالف الجهاد ضد الانجليز وكان هذا رد فعل لنزعة العلماء الذين أفتوا بأن الهند دار كفر ووجب على المسلمين الجهاد في سبيل الله أما مسالمته للانجليز فكانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم السياسية والاقتصادية والثقافية . وهو يشبه في مسالمته للانجليز الشيخ محمد عبده في مصر . وأما موالاة القاديانيين للانجليز كانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية كما قال الدكتور محمد البهي .

لقد وجدت في الهند في منتصف القرن التاسع عشر مدرستان : الأولى مدرسة المحافظة على التراث الديني وكان يتزعم هذه المدرسة الشيخ محمد قاسم وكان مركزها دار العلوم بديوبند والمدرسة الثانية هي مدرسة التجديد وتطوير الفكر الإسلامي وكان السيد أحمد خان زعيمها وكانت جامعة عليكره مركزها . وقد ازدادت الفجوة بين هذين المدرستين اتساعا وعمقا بمرور الأيام . واشتدت الحاجة إلى إنشاء مدرسة ثالثة وهي مدرسة توفيقية . وزعيم هذه المدرسة معاصر السيد أحمد خان وزميله محمد شبلي النعماني . إن شبلي رافق السيد أحمد خان في جميع نشاطه وحركاته كما كان رفيقا له في كلية المحمدية في التدريس . ولكن شبلي كان يختلف عنه ببعض نزعاته . فقد كان يؤمن بالتمسك بالتراث الفكري الذي خلفه أسلافنا مثل ابن حزم والغزالي وابن تيمية والشاه ولي الله الدهلوي وغيرهم من رجال الدين والفكر . وكان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يحب الوثبات الحديثة فى حدود الشريعة . ولذلك كتب عن رجال الفكر والدين وأظهر بطولتهم وأهدى هذه التحفة للجيل الناشئ . وقد كتب سيرة عمر رضى الله عنه بأسلوب علمى حديث وبحث فيه عن الجانب السياسى والديمقراطى والعدالة الاجتماعية فى الإسلام، وكان هذا بحثا طريفا على طريقة علماء الغرب من حيث التدقيق والتحقيق والإشارة إلى المصادر . وقد سافر لأجل هذا الكتاب فى سنة ١٣٠٩ هـ إلى الآستانه والقاهرة ليطلع على المخطوطات النادرة . وهو أول من عالج بحوثا علمية طريفة ردا على المستشرقين فى مسألة الجزية وإحراق مكتبة الإسكندرية فى عهد عمر رضى الله عنه وغير ذلك من موضوعات هامة لم يألفها العلماء المسلمون فى القرن التاسع عشر . وقد ترجمت هذه البحوث إلى اللغة الانجليزية . وقد أعجب بها السيد أحمدخان إعجابا شديداً وشجعه فى معالجة هذه الموضوعات الهامة .

وكذلك لم يتفق شبلى مع السيد أحمد خان فى مسالمته الانجليز بل كان ينتمى فى نزعته السياسية إلى العلماء الأبرار الذين قاموا بالثورة الأولى والثانية لطرد الانجليز من الهند . وانتسب إلى حزب المؤتمر .

إن جهود العلماء الأبرار الذين قضوا حياتهم فى محاربة الاستعمار لم تذهب سدى بل اندفعت هذه الحماسة فى بداية القرن العشرين بقوة دافقة . انضم هؤلاء العلماء إلى حزب المؤتمر الذى أنشئ فى سنة ١٨٨٥ وكانت رسالة هذا الحزب أن يحارب الاستعمار ويجليه عن أرض الهند بطريق سلمى لا بطريق الخشونة والثورة الذى باء بالفشل مرتين . يقول الشيخ حسين أحمد المدنى (الذى يعتبر فى منتصف القرن العشرين فى طليعة هؤلاء العلماء الذين انضموا إلى حزب المؤتمر وحاربوا الاستعمار حتى طردوه من بلادهم) ، يقول : إن حزب المؤتمر لم يكن أول حركة قومية لطرد الاستعمار بل سبقته حركات ومحاولات عديدة . أما هذه الحركة فهى حلقة أخيرة للمحاولات السابقة (نقش حيات ج ٢ ص ٧) . إن النزعة السياسية للسيد أحمد خان باءت بالفشل لأن أنصاره وتلاميذه وقادة جامعة عليكرة انضموا إلى الحركة الوطنية ولذلك أصبحت هذه الحركة قوة جبارة لم يستطع الاستعمار القضاء عليها بل ترك الهند وخرج منها فى سنة ١٩٤٧ .

أما شبلى النعمانى فكانت له جوانب عديدة فى خدمته للأمة الإسلامية . فقد كان من العلماء القدماء ولكن اتصل بالسيد أحمد خان واشترك معه فى جامعة عليكره أستاذا للشريعة الإسلامية واللغة العربية . وكذلك كان من

أصدقاء السير عقومس آرنولد Sir okomas Arnold وعرف منه كثيراً عن الثقافة الغربية وفلسفتها ونهضتها الحديثة وتعلم منه اللغة الفرنسية كما عليه اللغة العربية . وحصل على تجارب وخبرات استغلها فى بعث نهضتنا الحديثة مع التمسك بالدين . فدعا المدارس العربية فى الهند وعلى رأسها دار العلوم بديوبند إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة والعلوم البالية مثل الفلسفة والمنطق وعلم الفلك وغيرها . ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت فى العصر العباسى الأول وإضافة بعض مواد حديثة مثل علم الاجتماع والاقتصاد وتدريس المواد الحديثة بطريقة تطبيقية بين الشريعة الإسلامية والثقافة الغربية . وقد خالفه العلماء القدماء المتزمتين وعارضوه ولكنه لم يترك هذه الدعوة . وقد أتيحت له الفرصة فى سنة ١٨٩١ لزيارة مصر والآستانة . وقد قامت فى تلك الأيام حركة إصلاحية فى مصر أيضا تماثل حركته ونزعته . وكان رائد هذه النزعة فى نظره على مبارك منشئ مدرسة دار العلوم فى القاهرة . وقد تبادل الآراء مع على مبارك والشيخ محمد عبده فى جلسات متعددة وأعجب بمدرسة دار العلوم بالقاهرة ودراستها ورسالتها وكتب عنها صفحة كاملة فى مذكراته وأثنى عليها ثناء بالغا . وفى نفس الوقت أقلق باله منهج الأزهر القديم والحالة السيئة التى كان عليها طلاب الأزهر وأساتذته من حيث الفكر والنزعة ولذلك انتقد الأزهر نقداً لاذعا فى مذكراته التى سماها بسفرنامه مصر وروم (رحلة مصر والروم) وطبعت باللغة الأردية فى الهند سنة ١٨٩٢ (البصير شبلى نمر ص ١٠٤) .

وحينما رجع إلى الهند طلب من جمعية ندوة العلماء التى أسسها العلماء الهنود أن ينشئوا مدرسة حديثة تماثل دار العلوم بالقاهرة تأخذ من كل من مدرسة دار العلوم بديوبند وجامعة عليكره وتكون وسطا بينهما . وكان شبلى عضواً فعالا فى هذه الجمعية . ولقد وافق العلماء فى الجمعية على هذا وأنشئوا مدرسة حديثة باسم دار العلوم لندوة العلماء . ونجحت هذه الدار فى رسالتها نجاحا بارزا فى مدة بسيطة لا تزيد على عشر سنين . ولقد تخرج على يديه فى هذه المدرسة كبار الكتاب والزعماء والمفكرين مثل مولانا أبو الكلام آزاد والسيد سليمان الندوى وعبد الماجد الدريابادى ومولانا عبد البارى الندوى . وهؤلاء هم الذين قادوا الأمة الإسلامية فى الهند فى منتصف القرن العشرين كما تخرج على أيديهم كبار العلماء مثل الأستاذ أبى

[البقية على صفحة ٣٣٤]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بفضل المبادئ الإسلامية ـ شأن غير هذا الشأن البربرى الذى تعيش فيه أوربا الآن غارقة فى الطغيان والاستبداد والقسوة والوحشية والاستعمار تمتص دماء الضعفاء ، وتخيف الآمنين الوادعين ، وتغرى الخونة والمترددين ، وتدمر المدن والقرى باسم المدنية والإنسانية وترقية المتأخرين وتعليم الجهلاء والقوامة على القاصرين ، وهى فى ذلك كله ليست سوى وحوش كاسرة لا تعرف الرحمة إلى قلوبها سبيلا .

بان من كل ما تقدم أن لدينا من تراث حضارتنا العالية ومن أخلاق أسلافنا الخالدين ما هو قمين بأن يملأ قلوبنا بالعزة ، ويفعم نفوسنا بالكرامة بدلا من انزواتنا أو تخاذلنا أو اقتناعنا بأن الغرب أعرق منا مدنية كما أمر الاستعمار سماسرته فى العهد البائد بأن يلقنوا شبابنا أساليب تلك الذلة البغيضة التى لم تكن ترمى إلا إلى ترسيخ أقدامه فى بلادنا وخضوعنا لأوامره ونواهيه. أما وقد شعت أنوار الحرية فى الشرق كله ، فليس على أبنائه الآن إلا أن يفتشوا فى تاريخهم المجيد ليستخلصوا من بين سطوره المتلألئة مبادئه السامية التى أخفاها المستعمرون كل ذلك الزمن المظلم البغيض ، والتى لا يستطيع بعد الآن كائن من كان أن يقف فى طريق سيرها الجارف الذى اجتاح وسيجتاح الأخضر واليابس من غروس المستعمرين وتعاليم سماسرتهم من الذين مرنوا على العبودية حتى ألفوها والذين قضت وستقضى عليهم ثورتنا المباركة قضاءها الأخير . ؟

الدكتور محمد غلاب

[بقية المنشور على صفحة ٣٢٩]

الحسن على الندوى ، والأستاذ مسعود الندوى ، والأستاذ أبو الليث الندوى . وغيرهم من الندويين . ولا يزال يتخرج منها العلماء والأدباء والكتاب ورواد النهضة الحديثة .

وهذه صورة وجيزة وضئيلة لكفاح الأمة الإسلامية فى الهند وفى الباكستان ونضالها من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين مسح عرض الأفكار والآراء والاتجاهات وإن كان هذا البحث يحتاج فى الحقيقة إلى دراسة واسعة فى عدة مقالات تزيد من توضيح وشرح هذه الأفكار والآراء والاتجاهات .

محمد اسماعيل الندوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أثر الحضارة الإسلامية في المدنية الأوروبية

للدكتور محمد غلاب

غرست السياسة الاستعمارية من جهة ، والعنجهية الجنسية من جهة أخرى في نفوس الغربيين أنهم نشئوا من عنصر آخر غير عنصر الشرقيين ، وبالتالي هم أسمى منهم طبيعة وأرقى مدنية . وقد طفق الطغيان طوال أزمان الاستعباد الممقوت يعمل على تثبيت هذه الفكرة الخاطئة حتى جعلها بالنسبة إلى الغربيين أشبه الأشياء بالحق المكتسب الذي لا مشاحة فيه ولا نزاع ، وتمكن بوسائله الجهنمية من ترسيخها في نفوس الشرقيين ترسيخا لم يلبث أن تحول إلى عقدة نفسية كانت إلى عهد قريب عسيرة الحل ، أو مركب نقص مرهق ظل إلى ما قبل الآن عسير الزوال . وكان من نتائج هذا المركب النقصي الخطر أن آمن الجيل الذي نشأ وربي بين أحضان الاستعمار ، وهدد بإرهابه ومخاوفه بأنه أدنى من الغربيين عنصرا ، وأقل منزلة ، وأحط مدنية ، ولولا هذا لما كان لهم على الشرق حق السيادة والامتلاك . ولا ريب أن هذه الفكرة بعيدة عن الحقيقة بعد الظلام عن النور . ولا نريد أن نستشهد على ذلك إلا بما سجله أعلام كتابهم ، وأفذاذ علمائهم وباحثيهم النزهاء .

ففيما يتعلق بالعهود الأثرية ، يصرح الكاتب الانجليزي ريدر هيجارد مخاطبا مصر بقوله : (في الوقت الذي كان فيه فراعنتك يتزهون في زوارق أنيقة يجذف لها بمجاذيف من ذهب ، كان أجداد أولئك الذين يستعمرونك الآن يقطنون الغابات ويقتلون الحيوانات بالأحجار ، فيشوون جلودها ، ويرمون لحومها جهلا منهم بما يؤكل وما يرمى.

أما في العصور الوسيطة التي أنار فيها الإسلام مشاعل الحضارة العربية ، ورفع راياتها الخفاقة ، ونشر معارفها المتنوعة والتي التقى فيها الغربيون بالمسلمين في أسبانيا عند نهاية القرن السابع ثم إبان الحروب الصليبية في فلسطين وسوريا ومصر أثناء عدة قرون ، فإليك ما يقوله فيها العالم الفرنسي جوزيف كالميت في كتابه : « تاريخ أسبانيا » الذي ظهر في سنة ١٩٤٧ :

« قد يبدو للوهلة الأولى أن تعارض الدينين كان يمكن أن يضع عقبة كأداء أمام

تبادل التأثير بين الثقافتين ، ومع ذلك فلم تقم هذه العقبة على الأرض الأسبانية ، إذ أن الظاهرة الملحوظة هي ظاهرة عمل متبادل مستمر متغلغل إلى الأعماق . غير أن في وصفنا هذا التأثير بالتبادل شيئا من التجوز لأن الجانب الإسلامي كان أكثر نشاطا، أي أن الإسلام هو الذي قدم عنصر الإنتاج ، وأن العالم المسيحي هو الذي تلقى الأثر الانفعالي » .

وفي الواقع إن هذه العناصر النشيطة ، قد تناولت جميع جوانب المعرفة البشرية كعلوم : الطب والهندسة والجبر والفلك . ولقد أجمل الأستاذ رودينسون ذلك في « مجلة تاريخ الأديان » الصادرة في ديسمبر من سنة ١٩٥١ في تلك العبارة الجامعة الشيقة فقال : « إن علوم الغرب في ذلك العصر كلها علوم عربية » .

أما الفلسفه فحسبنا أن نذكر عنها رأي أحد الأعلام الفرنسيين المتخصصين في دراسة فلسفة العصور الوسيطة وهو « إتيين جيلسون » الذي يبرز تأثير فلاسفة المسلمين في مفكري المسيحيين في كتابه : « التاريخ المذهبي والأدبي في العصور الوسيطة » حيث يقول :

« إن أول الأوهام التي ينبغي تبديدها هو الذي يصور الفكر المسيحي والفكر الإسلامي على أنهما عالمان متباينان . تمكن معرفة أولهما مع جهل ثانيهما » .

ونحن لا نريد أن نذهب هنا في تفاصيل هذا التأثير المعترف به من الجميع ، بل الذي بلغ من الشهرة حداً يجعل الحديث عنه ضربا من ضروب الإعادة والتكرار ، وإنما حسبنا أن نشير إلى تأثير ابن سينا في « ألبير الأكبر » و « القديس توماس الأكويني » وهما على رأس أعلام المفكرين الغربيين في العصور الوسيطة . أما تأثير ابن رشد في فلاسفة ومتفلسفي تلك العصور وعصر النهضة فهو غني عن كل وصف وليس عليك إلا أن تلقي نظرة عاجلة على تاريخ جامعتي السوربون وبادوا وما كان يحدث فيهما من معارك فلسفية طاحنة حول آراء ابن رشد في ذلك العهد ، وحسبنا أن نسجل هنا أن اسم « الشارح » كان إذا أطلق في أوربا في ذلك الحين لا ينصرف إلا إلى ابن رشد وحده » وأن هذا الفيلسوف قد ترك في الغرب مدرستين قيمتين أطلق المؤرخون على إحداهما اسم المدرسة اللاتينية ، وعلى الأخرى اسم المدرسة العبرية وأن رينان قد خصص لدراسة مذهبه كتابا بعنوان « ابن رشد والمدرسة الرشدية » وإذا أردت بيانا عن هذا كله فارجع إلى كتابنا : « الفلسفه الإسلاميه في المغرب » .

وإذا غادرنا العلوم والفلسفة ، واتجهنا إلى الإلهيات التنسكية ، ألفينا المستشرق الأسباني الكبير الأستاذ ميجيل أزين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالاسيوس يلقى أعظم الأضواء وأسطعها على تأثير الأئمة : الغزالى وابن مسرة ومحيى الدين ابن عربى فى المدارس التنسكية الأسبانية .

وكما قرر أولئك العلماء تأثير المسلمين فى جميع فروع العلوم المتنوعة ، كذلك سجلوا هذا التأثير فى الحضارة الأوروبية الرفيعة على اختلاف مناحيها المترامية الأطراف . وفى هذا يقول إرينست رينان فى كتابه المذكور آنفا - رغم تحامله أحيانا على الإسلام والمسلمين - ما يلى :

« إن الميل إلى العلوم ، وتذوق الفنون الجميلة قد أنشآ فى أسبانيا فى القرن العاشر تسامحا لا تكاد العصور الحديثة تقدم إلينا منه مثلا واحدا ، إذ أن المسيحيين واليهود والمسلمين ، كانوا يتكلمون بنفس اللغة . ويتنافسون ذات الأشعار ، ويتقاسمون عين الدراسات الأدبية والعلمية ، وأن كل الحواجز التى تفرق بين بنى الإنسان قد انهارت ، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين فى تشييد الحضارة المشتركة ، وأن مساجد قرطبة التى يعد طلابها بالآلاف قد صارت مراكز نشيطة للدراسات الفلسفية والعلمية » .

وكذلك يسجل العالم الفرنسى الأستاذ فوربيل ذلك فى كتابيه : « تاريخ الجول الجنوبى » و « تاريخ الشعر البروفانسى » فيقول :

إن من الوقائع الجديرة بالملاحظة تلك الجاذبية وذلك الاتصال الاجتماعى اللذين استقرا منذ زمن بعيد بين العرب والأسبانيين وجعلا يتموان على التوالى ، وهاتيك السهولة التى خضع بها الأخيرون لذلك السمو النبيل الذى أفاضه عليهم الأونون ، إذ استهوتهم عبقريتهم اللطيفة فاستساغوا لغتهم ، وألغوا عاداتهم بل أخيلتهم ...

... إن طباع العرب ، وأنظمتهم هى التى لفتت أنظار أهل الجنوب فى فرنسا فى القرن الحادى عشر حين بدءوا يرون فى أولئك المسلمين - وهم الذين كانوا أول الأمر يرهبونهم بوصف أنهم أعداء للعقيدة المسيحية - رجالا أكثر منهم حضارة ...

« ... كان الإجماع فى ذلك العهد يعزو إلى العرب كل ما كان يبدو خليقا بالإعجاب ، أو كل ما كان يقتضى وجود فن من الفنون الرفيعة ... » .

وإذا تصفحنا كتاب : « حضارة العرب » تأليف جوستاف ليبون ، ألفينا أنه لا يقل عن سالفيه جزما بأن الفرنجة مدينون المسلمين بكثير من مدنيتهم التى يتيه بها اليوم أحفادهم عجبا وافتخارا . وهو فى هذا يقول : « إنما عن العرب وحدهم قد أخذ سكان أوربا ، إلى جانب قوانين الفروسية ، الاحترام والتلطف اللذين تفرضهما هذه القوانين عليهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للمرأة فرضاً . وإذن فليست المسيحية — كما يظن في الغرب بصورة عامه — هي التي رفعت المرأة وإنما هو الإسلام » .

وفي الحق أن قوانين الفروسية التي يتحدث عنها جوستاف ليبون كانت أحد المؤثرات الهامة التي سجلها التاريخ للشرق على الغرب بأحرف الخلود ، وأن أبرز ميدان تلألأ هذا التأثير في سمائه هو جبهات الحروب الصليبية إذ أن المسلمين هم الذين ألهموا فرسان الفرنجة الذين كانوا — مع شجاعتهم — معروفين بالجفاف والفظاظه مبادئ الشهامة والوفاء بالعهد والتسامح وكرم الخلق واحتقار الثروة واحترام المرأة ، ولقد قدم لنا السيد الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقال قيم نشرته له مجلة الأزهر في أواخر العام المنصرم بعنوان « الفتوة في الإسلام » مثلا رائعاً من سلوك قائد جيش المسلمين الأعلى صلاح الدين مع قائد جيش الفرنجة قلب الأسد ، وهو سلوك يسجل في مباهاة سمو الفروسية الإسلامية الذي أعطى الغربيين درسا لا يمحوه الزمن ، ومما يسترعي الانتباه هنا أن هذه الرفعة الإسلامية قد سجلها الأستاذ بيير بونسواى في كتابه « الإسلام والجوال » في نزاهة وإخلاص دفعانا إلى أن نقتبس منه الفقرة التالية :

« يعلم الناس اليوم أكثر من ذي قبل أن المسيحية والإسلام في العصور الوسيطة لم يلتقيا للتقاتل فحسب ... فهناك وقائع متضافرة وحقيقة تشهد بأنه قد وجد بين صفوفهما المسئولتين — فيما وراء التلاعن والتقاتل — كثير من التآلف ، ولكنه لم يكن تآلفاً ناشئا من تبادل التفاهم السطحي الناجم عن المصادفة بل كان اتحادا روحياً حقيقياً لعبت فيه الثقافة الإسلامية أثناء عدة قرون دور الملهم والمرشد ... » .

وأوضح وأصرح من ذلك كله ما يحدثنا به الكاتب العصري الكبير : « أناتول فرانس » إذ يسجل على لسان أحد أبطاله في كتاب « الحياة مزهرة » ما يلي :

إن أشأم أيام التاريخ هو يوم معركة بواييه في سنة ٧٣٢ حين تقهقرت العلوم والفنون والحضارة العربية أمام البربرية الفرنجية » .

وفي الواقع أن هذا اليوم الذي ينعته أناتول فرانس بالشؤم هو الذي استطاع فيه جيش شارلمان بقيادة شارل مارتيل أن يقف زحف الغزو العربي الذي كان يجتاح أوروبا ثم وقف عند مدينة بواتييه في وسط فرنسا ثم تراجع واكتفى بالثواء في أسبانيا ، ويرمي أناتول فرانس بهذا إلى أنه لو لم يقع هذا الحادث المشئوم ، وشاءت الأقدار أن تتغلغل الحضارة العربية في أوروبا حتى تشملها كلها لتغير وجه التاريخ ولكان للإنسانية -

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بفضل المبادئ الإسلامية ـ شأن غير هذا الشأن البربرى الذى تعيش فيه أوربا الآن غارقة فى الطغيان والاستبداد والقسوة والوحشية والاستعمار تمتص دماء الضعفاء ، وتخيف الآمنين الوادعين ، وتغرى الخونة والمترددين ، وتدمر المدن والقرى باسم المدنية والإنسانية وترقية المتأخرين وتعليم الجهلاء والقوامة على القاصرين ، وهى فى ذلك كله ليست سوى وحوش كاسرة لا تعرف الرحمة إلى قلوبها سبيلا .

بان من كل ما تقدم أن لدينا من تراث حضارتنا العالية ومن أخلاق أسلافنا الخالدين ما هو قمين بأن يملأ قلوبنا بالعزة ، ويفعم نفوسنا بالكرامة بدلا من انزواتنا أو تخاذلنا أو اقتناعنا بأن الغرب أعرق منا مدنية كما أمر الاستعمار سماسرته فى العهد البائد بأن يلقنوا شبابنا أساليب تلك الذلة البغيضة التى لم تكن ترمى إلا إلى ترسيخ أقدامه فى بلادنا وخضوعنا لأوامره ونواهيه. أما وقد شعت أنوار الحرية فى الشرق كله ، فليس على أبنائه الآن إلا أن يفتشوا فى تاريخهم المجيد ليستخلصوا من بين سطوره المتلألئة مبادئه السامية التى أخفاها المستعمرون كل ذلك الزمن المظلم البغيض ، والتى لا يستطيع بعد الآن كائن من كان أن يقف فى طريق سيرها الجارف الذى اجتاح وسيجتاح الأخضر واليابس من غروس المستعمرين وتعاليم سماسرتهم من الذين مرنوا على العبودية حتى ألفوها والذين قضت وستقضى عليهم ثورتنا المباركة قضاءها الأخير . ؟

الدكتور محمد غلاب

[بقية المنشور على صفحة ٣٢٩]

الحسن على الندوى ، والأستاذ مسعود الندوى ، والأستاذ أبو الليث الندوى . وغيرهم من الندويين . ولا يزال يتخرج منها العلماء والأدباء والكتاب ورواد النهضة الحديثة .

وهذه صورة وجيزة وضئيلة لكفاح الأمة الإسلامية فى الهند وفى الباكستان ونضالها من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين مسح عرض الأفكار والآراء والاتجاهات وإن كان هذا البحث يحتاج فى الحقيقة إلى دراسة واسعة فى عدة مقالات تزيد من توضيح وشرح هذه الأفكار والآراء والاتجاهات .

محمد اسماعيل الندوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مولد الرسول
في المدائح النبوية

للأستاذ علي العماري

كانت الأشعار التي قيلت في مدح الرسول أو في جهاد المشركين، والرد عليهم، على عهد حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وأبي سفيان بن الحارث، وأضرابهم تزخر بالحديث عن الإسلام، والقرآن، وهداية البشر، وقتال الكفار، وتتضمن الاعتراف بوحدانية الله وطاعته، والثناء عليه تعالى، والحديث عن الجهاد، كما قال كعب بن مالك حين اعتزم رسول الله السير إلى الطائف:

نطيع نبينا ونطيع ربا
هو الرحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل
ونجعلكم لنا عضدا وريفا
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر
ولايك أمرنا رعشا ضعيفا (١)

كما كانت صورة من المديح الجاهلي، فهي حافلة بوصف الرسول بما كان يصف به الشعراء السابقون للإسلام ممدوحيهم من الجود والشجاعة، والوفاء، وكرم الأصل، وطيب العنصر، كما قال عبد الله بن الزبعرى بعد إسلامه يمدح الرسول:

قرم علا بنيانه من هاشم
فرع تمكن في الذرى وأروم (٢)

والنبي مهند من سيوف الله، وهو خير من حملته ناقة على أوصالها، وقد عمت فضائله كل العباد كما عم البرية ضوء الشمس والقمر، وهو ركن معتمد وعصمة لائذ، وجار مجاور، وهو - كما قالت قتيلة بنت الحارث - نجل كريمة في قومها، والفحل فحل معرق، وذكره - كما قال الأعشى - أغار في البلاد وأنجد. وهكذا.

فلما صارت المدائح النبوية بابا واسعا في الأدب العربي انتهج شعراء المديح مناهج جديدة، فزادوا على الأوصاف السابقة نظم

---

(١) الريف: أرض فيها زرع وخصب. الرعش: الجبان

(٢) القرم: السيد. الذرى: جمع ذروة وهو أعلى الشيء. وأروم: جمع أرومة وهي الأصل.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السيرة النبوية بحيث تكاد ترى لكل صغيرة وكبيرة حدثت فى عهد الرسول صداها فى هذه المدائح .

وبعض المدائح تسجيل لحياة الرسول منذ ولادته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى حتى لو نثرتها لم تعدم أن تحصل على فصل أو فصول من كتب السيرة .

وكان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم من الموضوعات التى عنى بها شعراء المديح ، فقد اعتبروا ذاك اليوم - وهم محقون - أكثر الأيام بركة وخيرا فى تاريخ البشرية ، فكل مكرمة نالتها الإنسانية أو ستنالها عن طريق الإسلام ، إنما مرجعها ومنتهاها إلى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، الموافق العشرين من شهر أبريل عام ٥٧١ م (١) .

وقد تفتحت قرائح الشعراء عن صور من الحقيقة ، ومن الخيال ، أبرزوا فيها هذا اليوم المبارك فوصفوه بما يستحق من سنى الأوصاف ، وجلوه فى معرض جميل رائع يليق بسيد المرسلين .

وأول ما يلفت النظر فى تمجيد يوم الميلاد عند هؤلاء المداح هو الحديث عن الإرهاصات التى صحبت مولد النبى ، والتى جاءت فى قصة سبقت مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وقد رووها كتب الأدب وألمت بها كتب السيرة ، وهذه صورة مما ورد لهذه القصة :

« جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما كان ليلة ولد النبى صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى ؛ فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أو شك أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادى السماوة انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره ، وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبذان : أيها الملك إنى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتنى قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت دجلة ، وانتشرت فى بلادنا ، قال : رأيت عظيما ، فما عندك فى تأويلها ؟ قال : ما عندى فيها ولا فى تأويلها شىء ، ولكن أرسل إلى

---

(١) اتفق الثقات من الرواة على أن ولادة النبى كانت فى يوم الاثنين ، واشتهر أنها كانت فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول ولكن بعض الباحثين من المحدثين حققوا أن الولادة كانت فى اليوم التاسع من هذا الشهر (انظر مجلة الأزهر عدد ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ ص ٢٢٩) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عاملك بالحيرة ، يوجه إليك رجلا من علمائهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان .. فبعث إليه عبد المسيح بن بقيلة الغسانى ، فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر فقال له أيها الملك ، والله ماعندى فيها ولا فى تأويلها شىء ، ولكن ، جهزنى إلى خال لى بالشام يقال له (سطيح) ، قال : جهزوه ، فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكلمه فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أصم أم يسمع غطريف اليمن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن
أتاك شيخ الحى من آل سنن
أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يهوى للوثن
لا يرهب الرعد ، ولا يريب الزمن

فرفع إليه رأسه وقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران . ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت فى الواد ، وانتشرت فى البلاد ، يا عبد المسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وفاض وادى السماوة ، وظهر صاحب الهراوة ، فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات عدد سقوط الشرفات ، وكل ما هو آت آت ثم قال (أبيات من الشعر) . ثم أتى كسرى فأخبره فغمه ذلك ، ثم تعزى فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فهلكوا كلهم فى أربعين سنة[1] ».

وقد ردد أصحاب المدائح هذه الظواهر فى أشعارهم ، يشير أحدهم إلى بعضها ، ويستقصى آخر ، ومن أوائل من أشار إلى بعض هذه الإمام جمال الدين الصرصرى[2] العراقى الضرير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وقد توفى شهيدا قتله التتر فى بلده (صرصر) حيث قال يذكر ميلاد الرسول :

وطاف به الأملاك تمنع مهده
أذى كل شيطان يخاف اقتحامه
وكسرى أنو شروان زلزل قصره
وشق ، وتاج الملك فك نظامه
ونار مجوس الفرس أطفئ وقدها
ولم يك فى الإعصار يخبو ضرامه

والشعر ضعيف ، ولكن الذى يعنينا هو سبق الإشارة فى الشعر إلى بعض الإرهاصات التى صحبت المولد .

---

[1] العقد الفريد جـ ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ط . سعيد العريان

[2] اشتهر عند مؤرخى الأدب أن أول من فتح باب المدائح النبوية بعد أن سكت الشعراء زمنا طويلا ، هو الإمام البوصيرى وهذا خطأ لأن الصرصرى سبق البوصيرى حيث توفى الأخير سنة ٦٩٦ هـ وسبقهما الشيخ عبد الرحيم البرعى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن الذى أجاد تسجيل هذه الأحداث هو الإمام البوصيرى ، فقد ذكرها فى همزيته فقال :

وتداعى إيوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها إطفاء

كما ألم بنفس المعانى فى قصيدته (البردة) فقال :

وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه ، والنهر ساهى العين من سدم

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظمى

كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

ونلاحظ أنه صرح هنا باسم البحيرة التى غاض ماؤها ، وهى بحيرة (ساوة) وقد وردت فى القصة التى أثبتها آنفاً ، ومنها يفهم أن (ساوة) فى بلاد اليمن ، لأن الذى كتب لكسرى بشأنها إنما هو صاحب اليمن ، ولكن صاحب المولد المشهور بمولد البرزنجى حددها تحديدا آخر فقال :

« وغاضت بحيرة ساوة ، وكانت بين همذان وقم من البلاد العجمية » .

كما حدد وادى السماوة فى قوله : « وفاض ماء سماوة وهى مفازة فى فلاة وبرية » .

والمشهور أن بحيرة ساوة هى التى غاضت ، وقد تردد ذلك فى أشعار المديح ، ولكن القاضى عياض فى الشفاء ذكر أن البحيرة التى غاضت هى بحيرة طبرية (حـ ٣ ص ٣١٤) . وقد علق الخفاجى على قول عياض فقال : المعروف بالغيض - كما فى البرهان - بحيرة ساوة ، ثم قال : والحق أنها بحيرة طبرية ، وقد سبق فى القصة أن البحيرتين كلتيهما غاضتا .

وساوة فى بلاد الفرس ، أما طبرية فهى بلدة بالشام معروفة ، بينها وبين القدس مرحلتان ، وبحيرتها عظيمة .

وتبع (شوقى) البوصيرى ، فى الإشارة إلى تصدع إيوان كسرى ، فقال فى نهج البردة :

سرت بشائر بالهادى ومولده
فى الشرق والغرب مسرى النور فى الظلم

تخطفت مهج الطاغين من عرب
وطيرت أنفس الباغين من عجم

ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت
من صدمة الحق لا من صدمة القدم

وكرر ذلك مرة أخرى فى نفس القصيدة فقال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وخل كسرى وإيوانا يدل به
هوى على أثر النيران والأيم (١)

وقد روى حديث الإرهاصات البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن — كما في شرح الشفاء — ومعنى هذا أنه لم يرد في الكتب الصحاح . ومن هنا تطرق الشك إلى هذه القصة ، وأول ما تمسك به هؤلاء الشاكون ، أن القصة تحمل في طياتها بعض المتناقضات ، فهي تقول : إن أربعة عشر ملكا من ملوك الفرس هلكوا في أربعين سنة ، ذكر ذلك غير واحد منهم صاحب الشفاء ، وقد جاء في شرحه أن النبي ولد في عهد كسرى أنو شروان ، وكتب كتابه المشهور إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان .

وجاء في كتاب الكامل لابن الأثير « ولد رسول الله سنة اثنتين وأربعين من سلطان كسرى أنو شروان ، وبعث لاثنتين وعشرين من ملك كسرى أبرويز بن كسرى هرمز بن كسرى أنو شروان وهاجر لاثنتين وثلاثين مضت من ملك أبرويز » ج ١ ص ١٨٥ .

فملوك الفرس في هذه الفترة ثلاثة فقط .

وسواء صحت هذه القصة أم لم تصح ، فإن الذي حدث فعلا أن ملك كسرى كله ذهب بعد قليل من ظهور الإسلام ، وأن الإيوان لم تسقط منه أربع عشرة شرفة فحسب ، بل أصبح كله كما قال عنه البحتري في القرن الثالث الهجري :

لو تراه علمت أن الليالي
جعلت فيه مأتما بعد عرس

وكان فيما ذكر من طريف الحكايات أن رجلا من (غامد) كانت له غنم يرعاها فإذا جاءت الظهيرة لجأ بها إلى بقايا الإيوان فتقيل فيه ، فربما صعدت بعض الأغنام فنامت في مكان جلوس كسرى ، وذات يوم جلس هذا الرجل مع صاحب له يتذاكران أحداث الأيام ، وتقلبات الدهور ، فقال صاحبه : ومما رأينا من العجائب صعود غنيمات الغامدي في سرير كسرى .

وكما أشار شوقي إلى تصدع إيوان كسرى أشار كذلك إلى خمود نار الفرس ، والى غيض الماء فقال :

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت
وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم
خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآي تترى ، والخوارق جمة
جبريل رواح بها غداء (١)

[١] الايم : الدخان .

[١] فسر المعلق على الشوقيات كلمة تترى بكلمة (تتوالى ظنا منه أنها فعل ، والحقيقة أنها اسم ، لأنه لا يوجد فعل ماض من هذه الصيغة حتى تكون هذه مضارعا له .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن هنا ترى أن: (شوقى) تبع البوصيرى فى كل هذه الأمور التى ظهرت أو قيل: إنها ظهرت عند مولد الرسول ولا نرى وجها لقول بعض الباحثين إن (شوقى كان أبعد نظراً من البوصيرى فى نقد الأخبار والآثار).

وقد أشار البوصيرى إلى قصة تشميت الملائكة للرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله:

شمّتته الأملاك إذ وضعته
وشفتنا بقولها الشفاء

والشفاء هى أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما، وحديث التشميت رواه سيدنا عبد الرحمن بن عوف، كما جاء فى كتاب الحلية لأبى نعيم، وقد حضرت الشفاء ولادة النبى، وأخبرت ابنها بذلك، ولم يشر إلى هذه القصة شوقى ولا أكثر المداح.

كما أشار كثير من المداح إلى قصة رضاع النبى فى بنى سعد. وكيف جاءت حليمة السعدية تبغى طفلا ترضعه، واضطرت أخيرا أن ترضى بهذا اليتيم فيكون بركة عليها، قالوا: إن نساء بنى سعد وفدن فى سنة مجدبة على مكة يلتمسن الرضعاء، وكان يهمهن المال، فما منهن واحدة إلا عرض عليها اليتيم فصددن عنه يتمه، أما حليمة السعدية ذلت الأتان العرجاء، والناقة المسنة فقالت: (والله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعا غيرى، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه). وأخذته فدرت شاتها، وأخصبت أرضها ولقيت من يمنه صلى الله عليه وسلم ما قرت به عينها، وقد أجاد البوصيرى فى عرض هذه القصة حيث قال:

وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة
قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها
وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل
إذ غدا للنبى منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الأجر
(م) عليها من جنسها والجزاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذا سخر الإله أناسا
لسعيد فإنهم سعداء

وهى أبيات جميلة حقا .

كما أشار بعض الشعراء المحدثين إلى حادثة (الفيل) ومعلوم أن الفيل نكل أن يمس الكعبة، وقد ولد النبي عام الفيل، قال الشاعر :

أدرك الفيل بالغريزة معنى
كان عند الفيّال معنى بعيدا

حاد - لما رأى الجلال - عن البيت
(م) ولولاه لم يكن ليحيدا

آية للوليد علمت العجم
فراحت تعظم المولودا

هذه كلها إشارات إلى قصص معلومة مشهورة.

أما عمل الخيال فى وصف يوم الميلاد فقد جاءنا منه بدائع ، سطرها الشعراء قديما وحديثا ، ويعجبنى قول شاعرنا محمد الأسمر عليه رحمة الله ، وبه أختم هذا الحديث :

يوم أغر كفاك منه أنه
يوم كأن الدهر فيه تجمعا

ويكاد غابر كل يوم قبله
يثنى إليه جيده متطلعا

فلو استطاع لكر من أحقابه
وثبا على هام السنين ليرجعا

ويكاد مقبل كل يوم بعده
ينسل من خلف الزمان ليسرعا

فلو استطاع لجاء قبل أوانه
وانساب يخترق السنين وأتلعا

تتنافس الأيام فى الشرف الذى
ملأ الوجود فلم يغادر إصبعا

خير أفاض الله منه على الورى
أنى جرى ترك الجناب الممرعا

على العمارى

قال الزجاج : وكنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو ، فلزمت المبرد لتعلمه فقال لى : أى شىء صناعتك ؟ قلت : أخرط الزجاج ، وكسبى فى كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف ، وأريد أن تبالغ فى تعليمى ، وأنا أعطيك كل يوم درهما — وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً إلى أن يفرق الموت بيننا ، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه ، قال : فلزمته ، وكنت أخدمه فى أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم ، فينصحنى فى العلم ، حتى استقللت .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من وحي الروضة النبوية

للأستاذ محمد محمد خليفة

هنا صحا التاريخ على صورة الحق ليكتب للزمان أمجد كتاب هز سمع الزمان لتاريخ إنسان .

هنا ولد التاريخ أمة جديدة رأى فيها العالم معجزة الحياة ، لأنها أمة الأميين المؤمنين الذين قوضوا عرش القياصرة وزلزل بأسهم سلطان الأكاسرة .

هنا خلق الإيمان قوة من اختلفت عليهم من قبل أسباب الفناء ، وفرقت قلوبهم الإحن والدماء ، وأسلمتهم عوادى الفتن إلى خوف قلقت به المضاجع ، وأرعشت عواصفه الفتاك والآمنين والمسالمين والمستسلمين قبل أن يكونوا مسلمين .

هنا وحدت كلمة التوحيد أولئك الذين حفروا جباههم بين يدى اللات والعزى والذين سجدوا فى الماضى للشعرى لا لرب الشعرى والذين عبدوا الشمس أو دانوا للجن ومن كانوا هودا أو نصارى كل أولئك جمعتهم هنا كلمة الله وخرت هاماتهم فى محراب الحق للحق .

هنا ولدت الإنسانية الكاملة فى ظل الإنسان الكامل وعاشت لا بين الألفاظ زخارف تتلألأ ولا على الألسنة عبارات تخلب بل عاشت بين القلوب رحمة وبين النفوس شعوراً وبين الجفون دموعا وبين المجتمع الإسلامى وجدانا صادقا تآلف عنده الأرواح ، هذه هى الإنسانية التى أعلن للدنيا ميلادها ثم تقدمت تفتح قلوب الأمم قبل أن تفتح السيوف ، فكان المسلم إنسانا قبل أن يكون غازيا وصاحب دعوة قبل أن يكون صاحب سيف ، حكمته أخلاقه فحكم الناس حين رعاهم بالقانون الذى حكم به نفسه قانون الإنسانية السمحة لا السجية الجارحة .

من هنا بدأت شريعة الحق تموج وتنطلق لا كما تنطلق أمواج البحر القوية ثم تتكسر على الصخور أو تمتد إلى الشاطئ ثم تعود واهية لتستمد من البحر قوتها فتظل فى صراع حتى تغلب على أمرها فتخلد إلى الدعة ، لا بل إن الشريعة انطلقت فى الزمان تجتاز سدوده وحدوده لا تحطمها القوى المداهمة ولا تردها النزعات المداهنة فهى أمضى من أن تسالم الجاحد أو تستسلم لغير الجاحد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنها نزلت من السماء فيها طبيعة الغيث الذي يغسل ويطهر ويروي ويحيي ويجرف ويعلو وزادت عن طبيعة الغيث أنها لا تتبخر أو تختفي في أعماق الوجود مهما طال عمرها في هذا الوجود .

وكما كانت هذه الشريعة فيها طبيعة الغيث وزيادة كان في خلق صاحبها معنى السحائب الغر فيها الخير وليس فيها العبوس الذي قد يكون مع الخير .

فقد كان خلقه صلوات الله وسلامه عليه يفعل في النفوس ما يفعل الماء الفرات في الدوحة الصادية حين يسري فيها فلا تلبث أن تحيا وتورق وكأنما تغيرت طبيعتها به ونسيت كل ما كانت فيه حين مد إليها حياة لا تقاس بمقاييس الحسن والازدهار بل بمعيار الخير الذي تتغذى به ثم تنفع به في كل يوم من دنياها .

كانت هنا مجالس للهداية والتربية والتوجيه والقضاء والقيادة والاجتماع والشورى يهدي فيها ويربي ويوجه ويقضي ويقود ويرشد ويشير من لا ينطق عن الهوى ، ومن لا يبغي لنفسه من كل ذلك مجدا ولا جاها . كان صلوات الله وسلامه عليه يهدي فتنبعث إشعاعات هديه فلقا من صبح يقينه ينتشر في النفوس فيبدد دياجي حيرتها فلا تلبث أن تشرق بما انعكس عليها من إشعاعه ثم تتحول إلى نفوس مشرقة تضيء ما حولها كالقمر يستمد نوره من الشمس ثم يهديه إلى دنيا الناس حين يغيب عنهم وجه الشمس .

وكان يربي فتخلق تربيته من الطبيعة البشرية طبيعة جديدة تعمل فيها قوى السماء التي وهبها الله له عملها ، إن شاء الله حتى تبدو أحيانا أقرب إلى الطبيعة الملائكية منها إلى الطبيعة البشرية فهي طبيعة عابدة وتزيد عنها أنها عاملة لخير المجتمع البشري بعد أن كانت طبيعة العربي تتحكم فيها الأنانية الذاتية أو القبلية .

وكانت توجيهاته فيضاً من الحكمة تتدفق فيها حينا حكمة الحكيم الخبير وحينا حكمة الآسي الذي خبر أدواء البشرية وقد أصبحت لديه أمانه يؤمنها متاهات الحياة فهو يرسم لها سبلها وهي ناجية ما سلكت تلك السبل .

وهنا كان يجلس صلوات الله وسلامه عليه للقضاء فترى الأقضية الحائرة عنده شاطئ الرجاء تلمسه حتى لمسته في حكم من السماء أو من رسول رب السماء يطمئن إليه المظلوم وتسكن عنده شرة الظالم .

وهنا كان يرسم الخطط ويعلن التعبئة ويرتب القادة ويحدد منازلهم ويعقد الرايات لهم ويوصيهم بالحق والصبر حتى إذا التقى الجمعان أدرك المسلمون أن الخير فيما فعل وأن ما رسمه سبيل النصر .

وهنا بنى كيان المجتمع الإسلامي على قواعد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أرسى وأرسخ من أن تغيرها دسائس الأعداء أو تغير عليها هوج الفتن ، وطال بناؤه فمن على كيد اليهود وغيهم اليهود من تربصوا وأوغلوا فى المكر به ، وعملت الأخوة الإسلامية والتعاون والتسامح والإيثار والرحمة وتوثيق عرى الأسرة والبذل فى سبيل الله وفى سبيل تدعيم الوحدة الإسلامية ، عمل كل ذلك على تقوية بناء ذلك المجتمع فكان أعظم مجتمع عرفه تاريخ البشرية ، ولم تزل المجتمعات المتعاقبة ترى فى المجتمع الإسلامى الأول قوى من الروابط كانت سببا فيما أفاء الله على المسلمين من الفتح والنصر ، وهنا كان مجلس الشورى حيث كانت تناقش الآراء ويديرها صلوات الله وسلامه عليه فى أناة لا تثير ثورة الغضب وحكمة لا توهنها حدة الجدل فلم يكن جبارا ولا فظا غليظ القلب ولا مستبدا برأى ، وكم نزل على رأى أصحابه حين نزل يؤيدهم أمر السماء .

كان يشاورهم فى شئون السلم والحرب فإذا رأى أقنع وإذا اقتنع برأى كان له من يقينه ما يدرأ ريب المعارض وينشر اليقين فى نفس المرتاب فجنب قافلة البعث الإسلامى اختلاف الآراء وتعصب أصحابها لها ، وقادها بهدى من الله إلى الخير الباقى لسمو الإنسانية المشيد لمكانتها ولمعانيها ، ومن ثم كان رسول الإنسانية الداعى إلى إسعادها .

وهنا كانت لأرواح العابدين والعابدات انطلاقات تنفذ بها من عالم البشر إلى عوالم تلمس فيها قدرة الله وجلاله ليزيد ولاؤها لله تبارك جلاله ، إلى عوالم السموات وطباقها ومازينها به ، إلى ما وراءها من عوالم الملائكة والعرش ثم تعود سراعا من مطافها إلى حيث خلفت أشباحها الساجدة فتضىء جوانبها بالإيمان بالقادر الذى أمسك السموات والأرض أن تزولا ، فكم سجدت هنا جباه وكم خشعت هنا هامات وكم بكت هنا قلوب من خشية الله أرقها طلب الغفران فسهرت مع التوبة والدموع تكفر عن جرائرها وتغسل خطاياها بدموعها .

فى هذه الروضة تعارفت الأرواح وائتلفت النفوس وجمعها سبيل الله جمع الحق طلابه المؤمنين به ، ينفث فيهم القوة الغلابة فيندفعون لا يلوون على شىء حتى يظفروا ، بأكاليل الغار .

وليس ثمت من مسلم يعيش مع تاريخ الروضة البعيد حتى يسمع صوت الماضى يهيب بالمسلمين : لا عزة لكم إلا بوحدة خالصة من شوائب الأنانية والسيطرة والسلطان ، وحتى يحس يد المجد تهزه لتوقظه وتنبه فيه روح الكلمات التى تعيش فى لغتنا ألفاظا بلا روح كالأخوة الإسلامية والتعاون والإيثار والتضحية وغيرها ... وكأن روح هذه الكلمات تعيش معها حين الذكرى فحسب ، ثم تتخلف عنها حين توغل فى شعاب الأهواء والأحقاب خطاها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس ثمت من مسلم يذكر هنا الأمجاد التي ماتت حتى يغلبه الدمع فيبكيها ويبكي أصحابها. وكأني به وهو غارق في عبراته محترق بنفثاته، يرجو عودة التاريخ ويدور بعينيه في وجودنا لعله يرى في الآفاق شعوبا زاحفة إلى الملتقى تحت ظلال وحدة إسلامية شاملة.

إن صوراً من ذكريات التاريخ تعرض هنا للكثير من المدين بالتاريخ فتطوف بها أخيلتهم الباكية كشكلى سلبتها أجواف الثرى أنباءها فهى تتنقل بين قبورهم تتمثلهم وتسكب فوق كل قبر عبرات، فلذكريات العزة الشامخة صور، ولذكريات البذل والتضحية صور، ولذكريات النضال الصادق صور، ولذكريات القوى الباغية والأيدى الطاهرة العاملة صور، ولذكريات الأخلاق والمثل العليا صور، فحق لكل مسلم وهو يرى المجتمع الإسلامى فقد كل ذلك وعبثت به الفتن وذهبت به مذاهب شتى أن يذكر ثم يبكى، ولعل حرارة الذكرى تثير نفسه فيصيح فى هذه المجتمعات المنحلة: إن فى تراثنا أمجاداً يجب أن نعود إليها أو نعيدها إلى وجودنا.

سيدى يا رسول الله:

إن المجتمع الإسلامى الذى تركته قوة تتحطم دونها المكايد قد تعاورته الفتن الجائحة فى العصور والأحقاب فلا ينجو من فتنة حتى تلفه أخرى، وشر الفتن ما يحيق به من بنيه الذين تنكروا له بل أنكروه.

فهل من دعوة إلى الله أن يجنبه الانحلال والوهن حتى لا ينزلق فى المهاوى التى يحفرها له الأعداء؟.

سيدى يا رسول الله:

لقد تذأبت البشرية لكل القيم الأخلاقية التى نادت بها رسالتك، وعبأت الأفكار والأقلام والأعمال والأموال بل السلاح للقضاء على تلك المقدسات، وكأنهم ورثوا عداوات الآباء للرسالة وصاحبها فهم أبدا لا ينسون التاريخ وهم أبدا ينتقمون وينتقمون لتاريخهم. فاضرع إلى ربك يا رسول الله أن يجمع الأمة على خير ما جمعتها عليه وألا يفتنها عن دينها ولا عن كتابها وألا يجعل للأهواء عليها سبيلا!

سيدى يا رسول الله..!

برحابك الطاهر يقف المسلمون، وحول مقامك العظيم يطوف الخاشعون وفى روضتك الطاهرة يستروح المؤمنون عبير الجنة وينشقون أريجها، وكأنى بأرواحهم الباكية المفزعة ترجو أن تثوى هنا فى جنة روضتك، بعيدة عن فتن الدنيا العاصفة والمادية الجارفة حتى تخف إلى ربها فى ركابك يوم تقع الواقعة وتقرع القارعة، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره..؟

محمد محمد خليفة
المدرس فى الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القدوة الحية لأخلاق الحركة

للأستاذ فتحي عثمان

أوضح برجسون سمات الانفعال الأصيل الذي يفترق عن العقل الصرف « الذهن في الحالة الأولى يعمل في برود ، فيؤالف بين أفكار قد اندرجت منذ القديم في ألفاظ وأسلمها إليه المجتمع جامدة متصلبة . أما في الحالة الثانية فكأن المواد التي يقدمها العقل تتصهر في بوتقة الانفعال ، ثم تخرج منها وقد صبغه أفكارا جديدة يعلنها الفكر... »

وعلى أساس هذه النظرة أقام برجسون تفرقته بين أخلاق السكون وأخلاق الحركة « فإن بين القبول العقلي والانقلاب الإرادي لشقة بعيدة ... » ، وهو يتكلم عن الأخلاق التي يأتي بها الدين فيقول : « قبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزياء - هنالك الانفعال : يتجلى من جانب الإرادة في وثبة ، ويتجلى من جانب العقل في تصور مفسر ! انظر إلى هذه العاطفة التي بشرت بها المسيحية وأسمتها بالمحبة : إنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت في إثرها عقيدة معينة » فلا هذه الفلسفة هي التي فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هي التي جعلتنا نفضل هذه الفلسفة ! وإنما كانا الفلسفة والأخلاق تعبران عن شيء واحد : الأولى تعبر عنه بلغة العقل ، والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة ، ونحن نسلم بكلا التعبيرين مق أحسسنا بالمعبر عنه » .

كذلك فرق برجسون بين المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح « إن الغريزة الاجتماعية التي وجدناها في أعماق الواجب الاجتماعي إنما تستهدف أبدا مجتمعا مغلقا ، مهما يكن هذا المجتمع واسعا ... لأن الأمة مهما اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدود واللامحدود ، ما بين المغلق والمفتوح . والفرق بين هذين الشيئين فرق في النوع لا في الدرجة فحسب ! » . وفي المجتمع المغلق تسود أخلاق الضغط بينما تسود في المجتمع المتحرك أخلاق التطلع « فالنوع الأول أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا يبغي إلا البقاء ، فحركته الدائرية التي يسوق فيها الأفراد تجري في مكانها لا تحيد عنه ، فتحاكي ثبات الغريزة بوساطة العادة ، ولعل الشعور الذي يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرف حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع ، وهو كالشعور الذي يصاحب سير الكائن الحي سيراً طبيعيا سليما ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح ! أما أخلاق التطلع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتتضمن شعوراً بالتقدم ، والانفعال الذى يبعث عليها هو الحماسة للمضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان هنا أحدهما بالآخر » (١) .

كيف يتاح التوصل إلى الانفعال الأصيل الخلاق ، الذى يبعث أخلاق الحركة ويخلق المجتمع المفتوح ؟ ؟

هنا يتحدث برجسون عن (الوسط الحى) الذى لابد أن ينتقل خلاله إشعاع هذا النوع الإنسانى من الأخلاق ، خلافا للنوع الآخر الاجتماعى الذى تكفى فيه النظريات .

فبينما نرى الأخلاق (الاجتماعية) تزداد صفاء ونقاء على قدر ما نستطيع ردها إلى قوانين لا شخصية ، نجد أن الأخلاق (الإنسانية) لا تكون هى هى ذاتها ما لم تتجسد فى شخصية ممتازة تتخذ قدوة تحتذى .

فعمومية الأولى تأتى من قبول الناس عامة قانونا من القوانين ، بينما عمومية الثانية تأتى من محاكاة الناس لمثال يحتذونه ... والحق أن هذه الشخصية ترتسم فينا منذ نصطفى المثال ، فالرغبة فى المماثلة - وهى التى تولد نظريا الشكل الذى ينبغى اتخاذه - تصبح هى المماثلة نفسها ... إن الأخلاق الأولى كلما كانت ترد بوضوح إلى واجبات غير شخصية كانت أقوى وأشد ، وأما هذه فهى على عكس ذلك : فبعد أن تكون مجتزة فى قواعد عامة يقابلها العقل من غير أن نصل إلى أن تهز الإرادة ، إذا بها تصبح جارفة قوية بنسبة ما تتصور مواعظها المتعددة العامة فى وحدة إنسان فرد ! فالأخلاق الأولى هى التى نفكر فيها عادة حين نشعر أننا ملزمون إلزاما طبيعيا ، وفوق هذه الواجبات الواضحة تمام الوضوح نحب أن نتصور واجبات أخرى غامضة تتضمن فوق الأولى - كالإخلاص وبذل النفس وروح التضحية والمحبة ... على أنه يكفى أن تكون هذه الكلمات موجودة ، فسوف تستعيد معناها ونمتلىء بفكرتها الفعالة حين تتاح الفرصة ، وقد لا تتاح لكثيرين وقد يرجأ العمل إلى حين ، فبعض الناس لا تهتز إرادتهم إلا خفيفاً ، وتكون الهزة من الخفة بحيث يمكن أن يقال عنها هى الواجب الاجتماعى نفسه وإنما تحدد واتسع وضعف ، أما إذا امتلأت الصيغة بالمادة ثم اضطربت المادة بالحياة فإن حياة جديدة تؤذن نفسها ، فنفهم ونحس أن ثمة أخلاقا أخرى تنبثق !

وقد يحق لنا أن نتحدث هنا عن حب الإنسانية... والذين يشتغلون فى تربية الشبيبة يعرفون حق المعرفة أن الظفر على الأنانية لا يكون بالنصح بالغيرية ، حتى لقد يتفق أن ترى نفساً كريمة تتحرق للتفانى فى همة صادقة

(١) المجلد السابق من مجلة الأزهر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا عرفت أنها تعمل فى سبيل (النوع الإنسانى) أصابها فتور وبرود ، لأن الموضوع واسع والثمرة مشتتة !

ومن ميزات أخلاق الحركة أصالها الباقية وحيويتها الكامنة ، وترابطها وتفاعلها معاً ، وقد يخلف الانفعال شغالة — هى الأوامر التى استقرت فيما يمكن أن نسميه بالوجدان الاجتماعى إبان تكوين المفهوم الجديد للحياة — أو قل الموقف الجديد منها الكامن فى هذا الانفعال .

فنحن إذن أمام رماد انفعال قد انطفأ ، فلن تستطيع الأوامر التى نبقت أن تهز إرادتنا ما لم نأخذ — بالعدوى — من الأوامر الأخرى التى تعبر عن المطالب الأساسية للحياة الاجتماعية شيئاً مما تتصف به من إلزام . وهكذا تغدو الأخلاق الأولى والثانية كأنهما أخلاق واحدة ، أخذت الثانية من الأولى صرامة وأكسبتها فى مقابل ذلك معنى إنسانياً ، لا اجتماعيا ضيقا ، حتى إذا هززنا الرماد قليلا ، وجدنا أن ثمة أجزاء ما تزال حارة ، ثم ما تلبث الشرارة أن تنبجس ، فيمكن للنار أن تشتعل ثانية ولكن بالتدريج ! ! أعنى أن قواعد هذه الأخلاق الثانية لا تفعل فينا منعزلة بعضها عن بعض ، شأن مواعظ الأخلاق الأولى ، فما تكاد إحدى هذه المواعظ تتخلص من التجريد وتمتلىء بالمعنى وتكتسب قوة الفعل حتى تلحقها سائر المواعظ ، فإذا بها تلتقى جميعاً فى هذا الانفعال الحار الذى خلفها من قبل وراءه ... »

أما المحرك الذى يثير نار الانفعال خلال الرماد حتى يستعيد الحياة والتوهج فهو الأنبياء والمصلحون ... هم القدوة الحية ، وهم الذين يشيعون الحيوية فى المحيط الذى يعيشون فيه ، وهم التجربة الشخصية الواقعة للانفعال الخلاق وأخلاق الحركة ، وعن طريقهم تنبعث الحياة فى المجتمع فيتحرر ويتفتح وينطلق : « إن الضغط كلما كان غير شخصى ، وكان أدنى إلى القوى الطبيعية التى تسمى عادة أو غريزة كان أتم . وأما التطلع فيزداد سلطانا كلما كان الذى يوحى به إلينا أشخاصا ، وكلما كان أكثر ظفراً على الطبيعة ... يجب أن نمر بالبطولة حتى نصل إلى الحب ، والبطولة لا يوعظ بها وعظا ، وليس علينا إلا أن نظهر على المسرح حتى تهز الناس وتبعث فيهم الحركة ، ذلك أنها هى نفسها عودة إلى الحركة ؛ ولأنها تنبع من انفعال عمت إلى الفعل المبدع بقربى ، وهذه الحقيقة هى ما يلمح إليه الدين بقوله : إننا نحب الناس فى الله !! .. إن للإرادة عبقريتها كما للفكر ، والعبقرية تتحدى كل تنبؤ ، فمن طريق هذه فى الإرادات العبقرية استطاعت وثبة الحياة التى تجرى المادة أن تحصل من المادة على وعود تتعلق بمستقبل النوع ، ما كانت تخطر على بال حين كان النوع يتكون ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهكذا فإننا بالانتقال من التعاون الاجتماعي إلى الأخوة الإنسانية ، نقطع صلتنا بنوع من الطبيعة لا بكل الطبيعة ، فنستطيع إذن أن نقتبس عبارة سبينوزا بعد أن نحور معناها فنقول : إننا ننفصل عن الطبيعة المطبوعة لنرتد ثانية إلى الطبيعة الطابعة . . . ، ويتابع برجسون بيانه المشرق ، فيبرز دور التأثر الشخصي ويجلي أهميته وخطره « إن كل مايستطيعه العقل هو أن يورد حججا ، وهذه الحجج من المباح دوما أن نرد عليها بأخرى ! ! فيجب ألا نكتفي بالقول إن العقل الموجود في كل منا يفرض علينا احترامه وينال خضوعنا لقيمه السامية ، بل يجب أن نضيف إلى ذلك أن هنالك وراء العقل الرجال الذين أسبغوا على الإنسانية حلة الألوهية ، فطبعوا العقل — وهو الصفة الأساسية في الإنسان — بطابع إلهي ، وهؤلاء هم الذين يجذبوننا إلى المجتمع المثالي ، في نفس الوقت الذي نخضع فيه لضغط المجتمع الواقعي » .

ويسوق برجسون مثالا على تأثير القدوة الحية من المسيحية التي يحبها ويفتن بشخصية صاحبها : « لقد انقضى ثمانية عشر قرنا قبل أن تعلن حقوق الإنسان في أمريكا أولا على يد المتطهرين ، ثم في فرنسا على يد رجال الثورة ، ولكن هذا لا يبطل أنها بتعاليم الإنجيل بدأت ثم استمرت بعد ذلك لا يحدها شيء . وشتان بين مثل أعلى يقدمه للناس حكماء وإن كانوا جديرين حقا بالإعجاب ، وبين مثل أعلى يقذف إلى العالم رسالة مترعة حبا تبشر بالحب ! ! ! .

ترى ما هو السر الدفين وراء هذا التأثير الرائع العميق : « الحق أن الأمر هنا ليس أمر حكمة محدودة يمكن أن تصاغ جميعها في قواعد ، بل هنا اتجاه ومنهج ... إن ذكرى النفوس الصوفية وما فعلته ثاوية في ذاكرة الإنسانية لا تبارحها ، وفي وسع كل منا أن يحييها في نفسه ، ولا سيما إذا قارب بينها وبين صورة شخص ساهم في هذه الصوفية وأشاعها من حوله ، وبقيت صورته حية في النفس . . وكما أنه وجد عباقرة وسعوا حدود العقل ، فأتيح لأفراد من حين إلى حين أكثر مما كان من الممكن أن يوهب للنوع دفعة واحدة ، كذلك قد انبثقت نفوس ممتازة شعرت أنها تمت بقربى إلى سائر النفوس ، فلم تقف عند حدود الجماعة ، ولا اكتفت بالتضامن الذي أقامته الطبيعة ، بل ارتفعت — في وثبة من حب — إلى الإنسانية كافة » .

تلك كلمات من كتاب برجسون عن الأخلاق والدين ...

كلمات مفيدة هادية ، تكشف عن حقيقة (الطاقة الروحية) في الإنسان ، وتبرز دور (الإيمان) في تربية النفوس والمجتمعات ...

ودعاة الدين في حاجة دائما إلى مطالعة مثل هذه التأملات الفكرية الرائعة ، والتماس الحكمة من شتى مصادرها ، ليجادلوا في الله على علم ، وهدى ، وكتاب منير ؟

فتحي عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

أخذت خمسة كتب فحسبُ

عاب بعض أدباء العصر هذه العبارة ، وأنكر دخول الفاء على (حسب) . والوجه عنده أن يقال : أخذت خمسة كتب حسبُ وكأن هذا جاء من الوقوف عند قول اللسان فى (حسب) فقيه : « ولك أن تتكلم بحسب مفردة ؛ تقول : رأيت زيداً حسبُ يا فتى ؛ كما تقول : جاءنى زيد ليس غير ، تريد : ليس غيره عندى » ورب شيء سكتت عنه المعاجم وهو جائز من وجه آخر يسوّغه .

ومن المقرر أن حسب مثل قدْ وقطْ ، وهما يدخل عليهما الفاء ، ويذكر النحويون أن الفاء زيدت عليهما لتزيين اللفظ ، وجاء فى اللسان فى ترجمة (قدد) : « وتكون (قد) مثل (قط) بمنزلة (حسب) : يقولون : مالك عندى إلا هذا فقد ، أى فقط حكاه يعقوب ، وزعم أنه بدل ، فتقول : قدِى وقدْنى ، وأنشد : إلى حمامتنا ونصفه فقدى ، ويريد صاحب اللسان بيعقوب ابن السكيت ، وعبارته فى كتاب القلب والإبدال المطبوع فى مجموعة الكنز اللغوى ص٤٧ : « ويقال : ماله عندى إلا هذا فقد ، وإلا هذا فقط » . والشطر الذى ورد فى اللسان للنابغة يقوله فى شعر فى زرقاء اليمامة ، والبيت بتمامه .

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا ونصفه فقدى

وقصتها معروفة ، ويشير صاحب اللسان بقوله : « وزعم أنه بدل » إلى أن هذا غير مرضى ، وذلك أن كلا من قد وقط من مادة مستقلة كاملة ، فالاول من قدّ والثانى من قطّ وهما يتلاقيان فى معنى القطع . والعبرة فيما سقته أن الألفاظ الثلاثة . حسْب ، وقد وقط من قبيل واحد ، وقد جاز فى قد وقط دخول الفاء عليهما فهذا يقضى بجواز ذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى حسب ، إذا لا خصوصية لحسب تمنعها هذا الحق وهذه الزينة .

وجاء فى شرح المفصل لابن يعيش ١٣١/٢ « وربما استعملوا قط وحسب مفردين من غير إضافة فقالوا : رأيته مرة واحدة فقط ، وأعطانى دينارا فحسب ، أى اكتف بذلك وأقطع » . وانظر قوله : استعملوا . . فقالوا فهو يسند ذلك إلى العرب .

ويقول الأشمونى فى شرح الألفية فى مبحث الإضافة : « قبضت عشرة فحسب أى فحسبى ذلك » .

وقد قشت هذه العبارة فى كلام العلماء . فالرضى شارح الكافية — وهو نحوى دقيق متحفظ فى عبارته — يقول فى باب العدد ص ١٤٥ ج ٢ : « ولو قال : العدد ما وضع لكمية الشىء فحسب لم يدخل نحو رجل ورجلان » .

هل محمد يحضر :

المشهور فى النحو إنكار هذا الأسلوب . وذلك أن (هل) إنما تدخل على جملة فعلية أو جملة طرفاها اسمان ، نحو هل يحضر محمد ، وهل محمد حاضر فأما أن تدخل على اسم بعده فعل فذلك يحظره النحاة ويعللون هذا الحكم تعليلا شعريا طريفا . فيقولون : إن (هل) فى أصل وضعها بمعنى قد ، وكان من حقها لهذا أن تختص بالفعل كقد ، غير أنه كثر تضمنها للاستفهام ، بسوغ ذلك دخولها على الجملة الاستفهامية كهمزة الاستفهام . غير أنها إذا رأت الفعل فى حيزها عاردها رئيس من هوى الفعل فأبت إلا إياه . ويقول الرضى فى شرح الكافية ٣٨٨/٢ : « فلما كان أصلها قد ، وهى من لوازم الأفعال ، ثم تطاولت على الهمزة ، فإن رأت فعلا فى حيزها تذكرت عهوداً بالحمى ، وحنت إلى الإلف المألوف وعانقته . وإن لم تره فى حيزها تسلت عنه ذاهلة » . ومما يمتنع للمانع السابق أن نقول : هل زيدا أكرمت وهل زيدا اكرمته ، يقول الرضى فى الموضع السابق : « ومع وجود الفعل لا تقنع به أيضا مفسرا للفعل المقدر بعدها . فلا يجوز اختيارا : هل زيدا ضربته ، بل لابد من إيلائها إياه لفظا » .

ويذكر النحويون أن هذا الحظر يزول فى الشعر ، فتدخل هل على اسم خبره جملة فعلية ، ويذكرون من هذا قول علقمة الفحل فى قصيدة مفضلية :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته
إثر الأحبة يوم البين مشكوم

وقد رد صاحب الخزانة (ص ٥١٦ ج ٤) الاستشهاد بالبيت على ما أرادوا بأن (هل) دخلت على جملة طرفاها إسمان هما كبير ومشكوم ، فأما جملة بكى فهى صفة المبتدأ ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتقديراً لـكلام : أم هل كبير باك مشكوم أى مثاب مكافأ ، ولا شيء فى هذا . وقد رأيت فى شعر المحدثين ما يصلح شاهداً على هذا ، فقد جاء فى نفح الطيب ٤ / ٣٨٩ (طبعة التجارية) لأبى حامد ابن شعيب الأندلسى شعر يقوله حين كتابه فرسه فحمل فى أسر العدو :

وكنت أُعِدّ طرفى للرزايا
يخلصنى إذا جعلت تحوم
فأصبح للعدا عونى لأنى
أطلت عناءه فأنا الظلوم
وكم دامت مسراتى عليه
وهل شيء على الدنيا يدوم

على أنى وجدت قولا يجيز هل زيد يحضر فى الاختيار ولا يقصره على ضرورة الشعر . فقد قال فى الهمع ٢ / ٧٧ فى هل : « وتختص بعدم دخولها على إسم بعده فعل إختياراً ، وجوزه الكسائى فأجاز هل زيد قام جوازا حسنا ؛ لأنهم أجازوا هل زيد قائم وابتدءوا بعدها الأسماء فكذا مع وجود الفعل » . وترى أن الكسائى توسع فى هذا القياس على عادته وعادة الكوفيين ، والقياس هنا غير دقيق كما علمت من الفرق بين هل زيد حاضر وهل زيد حضر ، ولـكنه على كل حال رأى نحوى يصح أن يحتج به ويؤخذ بقوله للخروج من الغلط فى أسلوب اشتهر عند الناس وأصبح من العسير اجتنابه .

أجب تحريريا ، محمد بري ما أسامة جيدا وقد يخطئه

يدور الأسلوب الأول فى أسئلة الامتحان. ويراد بالتحرير المنسوب إليه الكتابة . وقد عاب بعض النقاد استعمال التحرير فى الكتابة ؛ إذ التحرير جعل الشيء حرا ، كما يحرر المالك مملوكه أى يعتقه ويخرجه من عقال الرق . ولـكن المجاز يتسع لهذا المعنى ويسوغه . فالأصل فى تحرير الكتابة تقويم الحروف وتنزيهها من عيوب الخط والرسم ثم استعمل التحرير فى مطلق الكتابة ، فهنا مجاز على مجاز . وقد صرح الزمخشرى بالمجاز الأول فقال فى الأساس : « وحرر الكتاب : حسنه بإقامة حروفه وإصلاح سقطه » .

ويعنينى هنا البحث فى هذا الأسلوب من جهة أخرى . ذلك أن (تحريرياً) صفة مصدر محذوف للفعل السابق ومصدر أجاب إجابة ، وهى مؤنثة اللفظ ، فكان الوجه أن يقال : أجب تحريرية أى إجابة تحريرية .

والأمر هنا سهل . فالجواب اسم مصدر بمعنى الاجابة ، فليكن هو المقدر المحذوف ، والتقدير : أجب جوابا تحريريا . ويكون هذا من قبيل قوله تعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتا » .

وثمة تخريج آخر ، وهو أن يكون المقدر إجابا دون تاء ، وهذا قد يأتى وإن كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خلاف المشهور ، فالمشهور الاجابة ، نعم قد يأتى فى المشهور دون تاء مع الإضافة ، كما فى قوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » على أنه يصح أن يكون المقدر إجابة ، وأن يذهب فى وصفها مذهب المذكر لأنه مصدر مؤنث مجازى يؤول بالرد ونحوه ، كما سيأتى فى كلام الشهاب الخفاجى .

وفى الأسلوب الثانى (محمد يرى ما أمامه جيدا) تأتى المشكلة بعينها ، ذلك أن (جيدا) صفة مصدر (يرى) وهو (الرؤية) وهى مؤنثة اللفظ ، فكان الواجب أن يقال : يرى ما أمامه جيدة أى رؤية جيدة .

والمخرج من هذه المشكلة أن يعتبر فى (الرؤية) التذكير بتأويله بالنظر أو الإبصار ، ومثل هذا كثير فى الكلام العربى ، وإن كان لا يتوسع فيه لغير العرب ، ويسهل الأمر هنا أن الموصوف محذوف ، فلا يظهر القبح اللفظى من وصف المؤنث بالمذكر ، ويصح أن يقدر المصدر المحذوف (الرأى) وإن اشتهر هذا المصدر فى الاعتقاد واشتهرت الرؤية فى الإبصار .

وقد وقع قريب مما نحن فيه فى الكتاب العزيز ، فقد جاء فى الآية ١٦٧ من سورة البقرة « كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » فقوله (كذلك) صفة مصدر محذوف من أرى وهو الإراءة ، وإذا كان الواجب أن يقال : كتلك أى إراءة كتلك الإراءة ، وقد خرج البيضاوى من هذا الإشكال بجعل المصدر الإراء لا الإراءة فقال : « (كذلك) مثل الإراء الفظيع » . وقال الشهاب الخفاجى فى كتابته عليه ٢ / ٢٦٥ : « (قوله : مثل ذلك الإراء) الإراء هنا مصدر أراء إراءة ، كما سمع إقاما وإقامة ، والمعروف فى مثله التاء لأنها عوض عن العين المحذوفة ، لكن حكى هذا سيبويه . قيل : واختاره مع أنه خلاف المشهور ليوافق تذكير (ذلك) ، وإن كان تأنيث المصدر غير معتبر ، أو لأن الإراءة فى معنى الرياء ، وهو غير صحيح هنا » ، ويشير بحكاية سيبويه إلى قوله فى الكتاب ٢/٢٤٥ : « وقالوا : أريته إراء مثل أقمته إقاما لأن من كلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا » .

وفى الآية ٢٢ من سورة الأحزاب : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » فهنا اسم الإشارة ، والضمير المستتر المرفوع فى (زادهم) والمتبادر عودهما على الرؤية ، وهما مذكران والرؤية مؤنثة . وقد خرج الشهاب الخفاجى من هذا بجعل الإشارة إلى الخطب والبلاء لا إلى الرؤية وخرج البيضاوى بجعل الضمير المستتر فى الفعل عائدا إلى ما رأوه أو إلى الخطب والبلاء . وانظر الشهاب على البيضاوى ٧ / ١٦٧ .

محمد على النجار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٤ —

أباح الإسلام للمسلم - كما عرفنا من قبل - أن يتزوج الكتابية ، وعرفنا أن الإسلام جعل لهذا الزواج شروطا يحفظ بها حق الزوجة ، وإذا كان يباح للمسلم أن يتزوج الكتابية ، فإنه لا يجوز لغير المسلم أن يتزوج المسلمة ، سواء كان كتابيا أم كان غير كتابي ، فما دام لا يدين بالإسلام ولا يؤمن به فإنه لا يجوز له أن يتزوج بمسلمة .

وقد استدل الفقهاء على ذلك بقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا هاجرت إليه امرأة أسلمت من دار الشرك امتحنها ، فكان يحملها تقسم بالله إنها ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله . فإذا حلفت على ذلك حرم ردها إلى المشركين ، لأن الله تعالى يقول : فلا ترجعوهن ، لأن المؤمنات لسن حلا للكفار ، ولا الكفار يحلون للمؤمنات .

كما استدلوا على ذلك بقول الله تعالى في سورة البقرة : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » ، يقول ابن جرير الطبري : « يعني تعالى ذكره بذلك : أن الله تعالى حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا كائنا من كان المشرك ، من أي أصناف الشرك كان ، ولا تنكحوهن أيها المؤمنون منكم ، فإن ذلك حرام عليكم ، ولأن تزوجوهن من عبد مؤمن مصدق بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله ، خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك ، ولو شرف نسبه وكرم أصله ، وإن أعجبكم حسبه ونسبه »[1] .

وقال الزهري في الآية : لا يحل للمسلمة أن تتزوج يهوديا أو نصرانيا أو مشركا .

ولقد جاء في السنة قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا نساء أهل الكتاب ولا تزوجوهم نساءكم » رواه جابر ابن عبد الله ، وإذا حرم تزويج المسلمة فتحريم زواجها من المشرك أو من لا يدين بدين أولى وألزم .

وقد وردت في السنة آثار صحيحة بالتفريق

(١) تفسير الطبري ، ج ٢ ص ٣٢٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين النصرانى وزوجته إذا أسلمت ، يقول عبد الله بن عباس : « إذا أسلمت النصرانية قبل زوجها فهى أملك لنفسها » ومثل هذا القول لا يأتى من قبل الرأى يراه ابن عباس وأمثاله ، فلابد أنهم سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم . ولقد أجمعت الأمة على حرمة زواج المسلمة بالمشرك ، يقول القرطبى : « وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه ، لما فى ذلك من الغضاضة على الإسلام »(١) وكذلك أجمعت الأمة على أن الكتابى (كاليهودى والنصرانى) لا يجوز له أن يتزوج المسلمة .

ولذلك قرر الفقهاء أنه إذا أسلمت الزوجة وبقى الزوج على دين غير دين الإسلام — ولو كان كتابيا — يفرق بينهما ، وذلك بعد أن نعرض الإسلام على الزوج ليبقى معه زوجته ، فإن أسلم بقيت ، وإن أبى فسخ ما بينهما من زواج ، وقال الأئمة الثلاثة: مالك والشافعى وأحمد إن الفرقة تكون بعد انتهاء العدة ، فإن أسلم الزوج خلال العدة بقيت زوجته معه ، وإلا انقطعت صلتها به .

وقد تحدث « تفسير المنار » عند زواج المسلم بغير المسلمة وحرمة زواج المسلمة بغير المسلم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » وأشار إلى أن المشركين بينهم وبين المسلمين غاية الخلاف والتباين فى الاعتقاد ، فلا يجوز للمسلمين أن يتصلوا بهم برابطة المصاهرة ، لا بتزويجهم ولا بالتزوج منهم ، وأن الكتابيات حل للمسلمين فى الزواج لقول الله تعالى فى سورة المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

وإذا كانت آية البقرة : ولا تنكحوا المشركين ... ، قد سكتت عن حكم تزويج المسلمة بالكتابى ، فإن أصل ذلك المنع ، وهو مؤيد بالسنة والإجماع ، فلا يقال بعد هذا التأييد أن الأصل الإباحة ، ولذلك جاء فى تفسير المنار هذه العبارة :

« ولكن قد يقال إن الأصل الإباحة فى الجميع ، فجاء النص بتحريم المشركين والمشركات تغليظا لأمر الشرك ، وبحل الكتابيات تألفا لأهل الكتاب ، ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا ، وهذا إنما يظهر بالتزوج منهم ، لأن الرجل هو صاحب الولاية والسلطة على المرأة ، فإذا هو أحسن معاملتها كان ذلك دليلا على أن ما هو عليه من الدين القويم ، يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم »

(١) تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٧٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعدل بين المسلمين وغير المسلمين ، وسعة الصدر فى معاملة المخالفين ، وأما تزويجهم بالمؤمنات فلا تظهر منه مثل هذه الفائدة لأن المرأة أسيرة الرجل ، لا سيما فى ملل ليس للنساء فيها من الحقوق ما أعطاهن الإسلام ، وأهل الكتاب وسائر الملل كذلك(١) » .

ويمضى التفسير فى بيان الحكمة لحل زواج المسلم بالكتابية ، ثم يتعرض للسبب فى تحريم زواج المسلمة بغير المسلم فيقول : « ومثل هذه الحكمة لا تظهر فى تزويج الكتابى بالمؤمنة ، فإنه بماله من السلطان عليها ، وبما يغلب عليها من الجهل والضعف فى بيان ما تعلم ، لا يسهل عليها أن تقنعه بحقية ما هى عليه ، بل يخشى أن يزيغها عن عقيدتها ويفسد منها دون أن تصلح منه ، وهذا المعنى يفهم من تعليل النهى عن مناكحة المشركين فى قوله عز وجل « أولئك يدعون إلى النار » اشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أى من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة ، لأن من شأنها أن يتسامح معها فى شئون كثيرة ، وكل تساهل وتسامح مع المشرك أو المشركة محظور محذور الشر بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك للمؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التى جرى عليها المشركون(١) » .

ونستطيع أن نقول فى حكمة المنع أيضا ان الإسلام له مجتمعه ودولته ، والقوامة فى دولة الإسلام للإسلام ، فلا يجوز المسلم أن يحكمه غير المسلمين أو يسيطر عليه ، وقوامة الدولة قوامة عامة ، والزوج له قوامة على زوجته ، وهى قوامة أسرية خاصة ، ومادام المسلم محكوما فى دولته بالمسلم ، فلا يجوز أن تكون المسلمة محكومة فى أسرتها بغير المسلم ، لأن القوامة الخاصة فى الأسرة هى التى تتعدد وتتكرر فى الأسر الباقية ، فيتكون من التئامها وانسجامها جو القوامة العامة ، وهى قوامة الحاكم المسلم على الأمة المسلمة . وهناك الأولاد الذين ينشئون من زواج المسلمة بغير المسلم ماذا يكون شأنهم ومصيرهم لو أبيح هذا الزواج ، إنهم يتبعون خير الأبوين دينا ، ولكن هذه التبعية لن تمنع تعرض هؤلاء الأولاد للبلبلة والزلزلة ، فمن الطبيعى أن يحاول الوالد غير المسلم جرهم إلى دينه وعقيدته ، فما تبنيه لهم الأم المسلمة قد يهدمه الوالد غير المسلم ، ولا يبعد أن يتغلب الأب بسيطرته وقوامته وقوته على الأم فيفسد على الأولاد دينهم .

ثم إن هناك وجها آخر من الحكمة لا يتال معه : لماذا أباح الإسلام زواج المسلم بغير

(١) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥١ .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

المسلمة ولم يبح زواج غير المسلم بالمسلمة ... هذا الوجه هو أن المسلم يؤمن بدين الكتابية فى أصوله ويؤمن بنبيها الذى جاء بهذا الدين بينما الكتابى لا يؤمن بدين المسلمة ولا بنبيها فإيمان المسلم بدين الكتابية ـ غير محرف ـ وكفران الكتابى بالإسلام وبنى الإسلام منعه أن يتزوج المسلمة .

ولذلك يروى أن أوربيا قال منذ حين لأحد المسلمين : لماذا تمنعون أن يتزوج اليهودى أو النصرانى مسلمة ؟ فقال له المسلم : يستطيع هذا اليهودى أو النصرانى أن يؤمن بدين هذه المسلمة وبنبيها ، كما نؤمن هى بدينه وبنبيه ، ونحن نزوجها له ! !

* * *

هناك بعد هذا مسألة تتصل بالموضوع الأساسى لهذا البحث ، وهو الزواج بين بين المسلمين وغير المسلمين ... وهى مسألة التحديد الطوائف الكتابين والتحديد المراد بالمشركين ... فإذا كان الفقهاء قد اتفقوا على أن عبدة الأصنام مشركون ، ولا يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، واتفقوا كذلك ـ إلا من شذ برأى ـ على أن اليهود والنصارى من الكتابيين الذين يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، فقد اختلفوا بعد هذا فى طوائف أخرى . أمشركة هى أم كتابية ، ومن هذه الطوائف « الصابئة » ، وهم جماعة كانوا قديما فى العراق ، وبقيت منهم بقية إلى الإسلام ، وقالوا عن أنفسهم إنهم من النصارى ، ولكنهم قدسوا الكواكب ، ولهم تعاليم وطقوس يخفونها .

اعتبرهم الإمام أبو حنيفة من أهل الكتاب النصارى . وأعتبرهم صاحباه محمد وأبو يوسف من المشركين الذين لا تحل نساؤهم للمسلمين . والفصل فى هذا الأمر يتوقف على اطلاعنا على حقيقة اعتقادهم وعباداتهم ، ويميل الشيخ أبو زهرة إلى رأى الصاحبين اللذين منعا المسلم زواج نسائهم ، ويستند فى هذا إلى عبارة للجصاص عن الصابئين يقول فيها : « وأصل اعتقادهم تعظيم الكواكب السبعة وعبادتها ، واتخاذها آلهة ، فهم من عبدة الأوثان فى الأصل ، إلا أنهم منذ ظهر الفرس على إقليم العراق ، وأزالوا مملكة الصابئين لم يجبروا على عبادة الأوثان ظاهرا ، لأنهم منعوهم من ذلك ، وكذلك كان أهل الشام والجزيرة صابئين ، فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على الدخول فى النصرانية ، فبطلت عبادتهم الأوثان من ذلك الوقت ، ودخلوا فى غمار النصارى فى الظاهر ، وبقى كثير منهم على النحلة مستخفين بعبادة الأوثان ، فلما ظهر الإسلام دخلوا فى جملة النصارى إذ كانوا مستخفين بعبادة الأوثان كاتمين لأصل الاعتقاد ، وهم أكتم الناس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لعقائدهم ، وعنهم أخذت الاسماعيلية كتمان المذهب [١] .

وهناك من أحل زواج المسلم من المجوسية وهو أبو ثور صاحب الشافعي - لأنها تدعى نبوة زرادشت ، وجاء في تفسير المنار مايفيد أن المجوس والصابئين والبوذيين والبراهمة وأتباع كونفوشيوس في الصين من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب ، ثم قال : « وذلك أن كلا من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون أنها إلهية ، ولكن بعد العهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ، ولا يبعد أن يكون من جاءوا بها من المرسلين لأن الله تعالى يقول (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وإنما قويت فيهم الوثنية لبعد العهد بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ، ودخول نزغات الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدهم صنفا آخر [٢] » .

ويستدل على أن المجوس ليسوا من المشركين بأن الجزية إنما تؤخذ من أهل الكتاب ، والنبي والخلفاء قد أخذوا الجزية من المجوس في البحرين وهجر وفارس ، وجاء في المجوس الحديث المنقطع : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » . وروى الشوكاني في « نيل الأوطار » أن الإمام عليا قال في المجوس : « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرأونه » ثم ذكر الإمام على ما طرأ لهم من فساد .

ويقول السيد رشيد رضا : « إن إطلاق كلمة (أصل الكتاب) على طائفتين من الناس لتحقق أصل كتبهما ولزيادة خصائصهما لا يقتضي أنه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم بأن الله بعث في كل أمة رسلا مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [١] » .

ومما تقدم نفهم أن أساس الحكم بالإشراك على طائفة ، أو بأنها من أهل الكتاب ينهض على دراسة نشأة هذه الطائفة والوقوف على عقيدتها وعبادتها ، فإذا نهض الأساس على الوثنية أو الإشراك كانت الطائفة مشركة وإن كان لها كتاب سماوي ولو في القديم كانت كتابية ، وإيضاح ذلك يستعان عليه بما جاء في كتب الملل والنحل ، وهي كثيرة متعددة ...

أحمد الشرباصي

(١) الأحوال الشخصية ، قسم الزواج ، ص ٩٧ .
(٢) تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٨٧ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى ذكرى مولد الرسول الكريم

للاستاذ عباس طه

إذا كنت ممن تخلى عن التعصب ، وتطلع إلى سيرة النبي الأمى الكريم ، وإلى مدارسة شمائله الكريمة الطاهرة ، ثم حاولت أن تستخلص من كل ذلك معنى تستريح إليه ، ومثلا أعلى تتمثله وتحتذيه ، فسوف ترى كما رأيت معنى قد تظنه بادى الرأى لا شأن له ولا خطر ، وهو فى الحقيقة القطب الذى تدور عليه رحى الخير كله ، وإن شئت قلت هو دستور هذا الوجود وناموسه . أتدرى ما هو هذا المعنى ؟ هو الطهارة . ولك أن تقول : النظافة ، النظافة بكل معانيها وسائر مجاليها . نظافة العقل ، نظافة الروح ، نظافة البدن ، « إنما المشركون نجس » ، « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (النظافة من الإيمان) .

كان العالم قبيل ظهور المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه ، وخما قذراً ، غارقا فى قذارة عقلية ، وروحية ، وبدنية .

كانت قذارة عقله فى اعتقاده تلك العقائد البدائية الصبيانية الممعنة فى الجاهلية : من الشرك وعبادة الأصنام ، ومن سائر العقائد الفاسدة التى عششت وباضت ، ثم أفرخت وشاعت بين العرب وغير العرب فى سائر أمم العالم القديم ، والتى لا تزال آثارها باقية إلى اليوم بين من لا يدينون بالإسلام الصحيح .

وكانت قذارة روحه فى تخلقه بالأخلاق المرذولة : من الكذب ، والرياء والنفاق والجبن والبخل والطمع والأثرة وسائر الرذائل ، وفى حيوانيته وإسفافه وانغماسه فى الشهوات البهيمية .

وكانت قذارة بدنه فى تركه نفسه همملا كالعجماوات .

جاء الإسلام والعالم على هذه الحالة من الدنس والرجس ، فأذكى غارته المقدسة ، وحمل حملته الشعواء على هذه الأوبئة التى تجتاح العالم ، ودعا الناس أول ما دعا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى تطهير عقولهم من العقائد الفاسدة والترهات الباطلة . نهاهم عن الشرك ودعاهم إلى التوحيد ، وبحسبك هو من عقيدة هي أصل الفضائل ومنبع المحامد ، والمعنى الذي يسمو بالإنسان إلى الملأ الأعلى ، ويصل روحه مباشرة بالذات الأقدس « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون لمن يشاء » .

ودعا الناس إلى تطهير أرواحهم ، فسن لهم من مكارم الأخلاق ما سن ، وشرع لهم من الشرائع ما شرع ، مما تراه مثبوتا مستوفى في تعاليم الإسلام وفي هدى المصطفى عليه السلام . ومما كان له أثر أي أثر في تطهير أرواح المسلمين وتنزيه نفوسهم من كل ما علق بها من أقذار الجاهلية حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس .

فالنظافة الحسية والمعنوية هي روح الإسلام ، وهي الغرض الأسمى الذي يقصد إليه ، والمثل الأعلى الذي يحث على التمسك به . كان صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للنظافة في سائر مظاهرها . كان عقله أسمى العقول إذ كان عليه السلام من كمال العقل بحيث يند عن كل ما هو غير جدير بالكمال والمثل الأعلى . وقد أطبق أصحابه وكل من رآه على أنهم لم يروا عقلا كعقله ، ولا سمعوا بمثله أو بما يقاربه ، وإنه من كان مثله في نشأته الأولى التي لم يشبها شوب من دنس الجاهلية ، فلم يسجد لصنم . ولا شارك قومه في عيد من أعيادهم . ولا ذاق لحوم قرابينهم ولا انغمس فيما انغمسوا فيه من ضلالاتهم وحماقاتهم . نقول : إن من كان مثله في نشأته هذه ، وفي كياسته وحسن سياسته وسداد تدبيره حتى أعطاه العرب زمامهم وقيادتهم ، وهم من هم حمية ونعرة وعنجهية ، وخشونة مراس ، وشدة شكيمة ، وتوعر خلق ، وجفاء طبع ، مع ما أفاضه الله عليه من العلم والعرفان ، وأوحى إليه من القوانين والشرائع والآداب ، وهو النبي الأمي الذي لم يجلس إلى المعلمين ، ولم يختلف إلى المدارس والجامعات - نقول : إن من كان هذا شأنه لابد أن يكون عقله فوق مستوى العقول .

ومن هنا حفل كتاب الله وأحاديث المصطفى بالتنويه بالعقل والإشادة بذكره ، والحض على اللجوء إليه ، والتعويل في سائر الأمور عليه ، بالكثير من الآيات والأحاديث : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

وكانت أخلاقه صلى الله عليه أطهر الأخلاق وأسماها وأجلها ، حتى قال الله تعالى فيه : « وإنك لعلى خلق عظيم » أي رسول الله : لقد فضلك ربك على الناس كافة فكنت خيرة الله من خلقه ، واصطفاك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لوحيه وإبلاغ رسالته ، فكنت عند العهد بك وبلغت ما أنزل إليك على أبلغ وجه وأكمل تبليغ .

لقد كنت يا رسول الله بسيرتك وأقوالك وأفعالك وشمائلك مثلا أعلى وقبساً يستضاء به في الظلم الحوالك لم تجد الأقدار بمثله ولن تجود أبد الدهر ، فكنت في الحق خاتم النبيين ، وكنت واسطة عقد المرسلين .

لقد جاهدت حق الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته ، وحوربت وعوديت ، وشوققت وضوررت وأوذيت أيما إيذاء ، فلم يثن ذلك من عزمك ، ولم يفل من إرادتك ، بل مضيت قدما لا تلوى على شيء ، فكنت بذلك حقاً من أولى العزم ، وكان ذلك منك مصداقا لما قلت لعمك - إذ طلب إليك أن تترك هذا الأمر اتقاء شر قريش ، كلمتك الخالدة التي رددها الدهر - : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه حتى يظهره الله ما تركته » . أي رسول الله : لقد قمت بالمهمة العظمى خير قيام ، وتركت لنا ديناً جمع بين خيري الدنيا والآخرة ، فقد نظرنا في حكمة الأولين وفلسفة الآخرين ، فلم نر فلسفة أجمع ولا أسمى وأروع من الإسلام « إن الدين عند الله الإسلام » « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . . ؟

عباس طه

قال ابن الرومي في حب الوطن :

ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غير له الدهر مالكا

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ألا رحِمَ الله الشعْـر !

للدكتور عارف قياسة

شعر نزار قباني :

لقد كنت أنتظر بتشوق ولهفة وصول (حبيبتي) ، الديوان الجديد للشاعر نزار قباني . فقد كتبت عنه الصحف كثيراً ، وأشادت به ، وأثنت عليه الثناء المستطاب ، ولكني مع الأسف الشديد ، لم أجد فيه ما كنت أتوقع ، أو بعض ما سمعت ، أو بمعنى أصح لم أجد فيه شعراً يتناسب مع تلك الدعاية الواسعة التي بثت حوله . ويبدو لي أن تقييم الآثار الفنية أصبح اليوم في أيدي الصحف السطحية العابرة ، ولم يعد بين الأيدي الأمينة الخبيرة التي لا تتأثر إلا بما في الأثر الفني من جمال ، مهما بلغ صاحبه من امتداد الشهرة ، وذيوع الصيت .

وأنا لا أنكر على نزار قباني شاعريته ، فنزار شاعر حتى رءوس أنامله ، فقد قرأت له قصائد عابرة ، مشبعة بالصدق نابضة بالدفء والحياة انتزعها من ضميم وجدانه وقلبه ، وجعل صورها الأبكار تختلج على الورق وتتحرك في أبهة وخيلاء وبهاء .

ونزار لم نعرفه في يوم من الأيام ، شاعراً متكلفاً يقول غير ما يحس ، وإنما هو شاعر أصيل يفيض ببساطة وعذوبة ونغم .

قد لا يعجب بعض الناس شعر نزار القباني ، ويرون فيه معرضاً لتجميل المرأة ، فأكثر شعره منصرف إلى وصف المرأة ، ووصف أدوات زينتها ، وستائر غرفتها ، وقوارير عطرها ، وألوان (فساتينها) ، وكيفية ارتدائها ملابسها ، وكيفية خلعها لها ، إلى آخر هذه الأشياء الصغيرة التافهة التي تداعب أحلام المراهقين . وتستثير الشهوة في غرائزهم المنتهية .

ومما لا شك فيه أن إصغاء الشاعر للأحاسيس الرفيعة ، وتعبيره عن المشاعر البناءة يخلع على شعره هالة من السمو . ويمده بطاقة أكبر من الجمال والفتنة ، لأن في المشاعر النبيلة السامية سحراً يضاف إلى سحر التعبير ، فيضم الشاعر ، آنذاك الجمال من طرفيه ، ويغدو الشعر رائعاً وبناء في وقت واحد ، وبذلك يتم جماله كما يتم حسن الوجه بحسن الأخلاق في الإنسان .

ومهما يكن من شيء فإننا لا نستطيع أن ننكر أن نزار قباني وهو شاعر من شعراء الأدب المكشوف . قد استطاع في بعض ، شعره ، أن يزرع الجمال في تلك الأشياء الصغيرة ، بما لديه من قدرة خصبة ، وبما تنطوي عليه نفسه من صدق وتوهج وموهبة . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن ببغاوية الشعر الحديث أدركته فى ديوانه الجديد (حبيبتى) فإذا به ينق أحيانا كالضفادع على حواف الـــترع فى الليالى القمراء . وإلا ما معنى هذا الشعر فى قصيدته (أكبر من كل الكلمات) :

سيدتى :
فى هذا الدفتر
تجدين ألوف الكلمات
الأبيض منها والأحمر
الأزرق منها والأصفر
لكننى يا قرة الأخضر
أحلى من كل الكلمات
أكبر من كل الكلمات .

أو فى قصيدته (خطاب من حبيبتى) :

هذا خطاب منك
ما أخطأنى شعورى
عرفته من خطك المنغم الصغير
من حبرك الأخضر . . من أسلوبك الأمير
من رشة النقاط . . فى أواخر السطور
من اسمك النائم . . عنقوداً من العبير
فى آخر الصفحة
عنقوداً من العبير . .

أو فى قصيدته (حبيبتى) التى اتخذها عنوانا لديوانه :

حبيبتى إن يسألوك عنى يوما
فلا تفكرى كثيراً
قولى لهم بكل كبرياء يحبنى كثيرا ...

وينهى نزار هذه القصيدة العرجاء فيقول لا فض فوه :

حبيبـــتى
يا ألف يا حبيبتى
حبى لعينيك أنا كبير
وسوف يبقى
دائما كبير ...

وإنى أدعو أنصار هذا النمط من الشعر الحديث ليدلونى على ما خفى من عبقرية فى هـــذه الأشعار الخرساء ، فقد تكون فى الزوايا خبايا لا تدركها كل العيون . وإذا كنا نغفر لشاعر مبتدئ مثل هذا التعبير الفج القاحل ، فإننا لا نغفر لنزار قبانى ، وهو الشاعر الذى طبق صيته أرجاء العالم العربى مثل هذا الشعر الأبكم الكسيح ، وإننا فى سكوتنا عنه نجنى على الأدب العربى ، ونجعله يسير فى دروب التفكك والانحلال .

لقد قلنا أكثر من مرة إن هذا النمط من الشعر الحديث يجنى على أصالة الشاعرية فى الشاعر ويجعله يركن إلى السهولة واليسر وينأى به عن التركيز والتكثيف . هذا الشعر المقتبس عن (ايليوت) وأمثاله قد يلائم طبيعة غير طبيعتنا ، وبيئة غير بيئتنا ، ولكنه لا يزدهر فى تربة متوهجة كتربتنا ، فالعرب لم يعرفوا فى أدبهم المطمطن ومضغ اللبان ، وإنما كان كلامهم حكما ، وإيجازا بجنحا ، وكانت قصائدهم أشجارا تنوء بالأثمار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن نزار القباني الذي عرفناه شاعرا يحمل الكلمة ثروته الحية فتنطلق كالسهم إلى أجواز الفضاء . نراه في أغلب هذا الديوان يزحف على الثرى مثقلا بالقيود ، لقد تخلى عن شاعريته الفياضة الحلوة وجنح إلى النثر الركيك ، وأخذ ينظم الشئون الصغيرة بذهنه وفكره ، لا بعاطفته وقلبه :

شئون صغيرة ...
تمر بها أنت دون التفات
تساوى لدى حياتى
جميع حياتى
حوادث قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور ...
وأحيا عليها شهـــور ...

لقد سيطر على نزار حب الغرابة ، فراح ينفض السهل والوعر ، والسماء والبحر ، لم يترك بهار الهند ولا مزارع البن في البرازيل ولم ينس سجاير شيراز ولا خزف الصين ولا ما نجو إفريقيا ولذلك جاء أكثر شعره حافلا بالصنعة والتكلف مما جعل بينه وبين القارئ جدارا كثيفا من الجليد لا يخترق :

يقول في قصيدته (أوريانتيا) :

أوريانتيا
تكونت من رغوة البحار
من نكهة المانجو . .
من الأصداف والمحار
من كل ما في الهند من طيب ، ومن بهار .
أوريانتيا
نهدان واقحوان
كقبتي نحاس
في ذهب المغيب
صحنان صينيان رائعان .
قلمان من لهيب تزودا من آسيا .
بزهرتي غاردينيا .
بعنبر
بفلفل
بطيب
وحبق زبيب .

رحم الله أحاديث جدتي التي كانت تقصها علينا في سن الطفولة ففيها كثير من هذا الشعر ، الذي يمليه الذهن إملاء دون أي انبثاق من أعماق الوجدان ، ودون أي فورة من فوران الشعور .

إنه شعر جامد يعالج الأمور من ظواهرها ولا يتدخل إلى غياهبها حيث الحياة الدافقة ، والحرارة المتوهجة .

لقد طوف نزار ، بحكم وظيفته الدبلوماسية ، في أقاصي آسيا وأوربا وأمريكا وإفريقيا — ولا أدري إذا كان بلغ استراليا . وما كان منه إلا أن جمع ما رآه من فتات ، هنا وهناك ، ليقول لنا بعد ذلك : إنه أبدع قصائد جديدة .

ثم ما هذان البرجان العاجيان أو النهدان كقبتي الواقحان نحاس ، أو كصحنين رائعين من الصيني .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشاعر الحق يجعل الجامد يتحرك ، ويبث في الميت الحياة فيختلج ونزار هنا يمسخ النهدين بقدرة قادر أو شعوذة ساحر فإذا هما قبتا نحاس في كاتدرائية نوتردام كاتدرائيات باريس أو روما ـ لا أدري ـ أو صحنين من صحون الصيني .

أفهذا هو مفهوم التجديد الذي يراه نزار ضروريا للشعر العربي ؟ إن الشاعر القديم الذي شبه قد حبيبته بغصن البان ، هذه الصورة التي أصبحنا نمجها اليوم لفرط ما لاكتها الألسن ، هو عندي أصدق من نزار تعبيرا وأنفذ منه إلى مسارب الحياة والروح .

ثم ما هذا العنبر ، والفلفل والزبيب ؟ أنحن على مائدة الشعر الحافلة بغذاء الروح أم على مائدة أحد المطاعم الفقيرة ؟ .

ويقول نزار ، سائرا على طريقة (سعيد عقل) في النحت الذهني والاهتمام فقط بالرنين والشكل الخارجي :

وأنتظر الصوت . صوتك . يهمن على .
دفيئا . مليئا . قوي .
كصوت ارتطام النجوم .
كصوت سقوط الحلى .

فإذا بشعره فارغ من كل شيء إلا من الرنة الموسيقية ، والمبالغة الممقوتة المتكلفة ، وإلا فما هو وجه الشبه بين صوت حبيبته وصوت سقوط الحلى ، سوى ملء فراغ الروى . إن نزار يلعب هنا بالألفاظ . ولما لم يجد لديه ما يقوله لجأ إلى هذه البهلوانيات القشرية ، ليوهم الناس بعمقه . ولا شك أن هذه البهرجة الكاذبة التي لا تمت إلى الشعور بصلة ، لا تخفى على الأذواق المتفتحة ، فنزار هنا قد برز القدامى من أنصار البديع والتحذلق في عهود الانحطاط الأدبي .

لقد كان نزار قباني شاعرا يوم كان يستمد ألوانه من طبيعة بلاده ، من طبيعة الشام الضاحكة النقية ، أو من طبيعة جبل لبنان المتبرجة الشذية . ولما راح يستمد صوره من هونج كونج ، وحانات باريس ومزارع البن في البرازيل ، فقد الكثير من براعته وعفويته وغنائه .

لقد أعمت الشهرة نزار . فترك لخياله العنان ، ولم يعد يحسب للقراء أو النقاد أي حساب . حسبه أن يعمد يده إلى اسم أحد المسارح (القمر الأخضر) فيقتله ويخاطب به حبيبته قائلا : يا قمري الأخضر ، وحسبه أن يبث في شعره الإسفنج والمحار ، والقراصنة ، والتبغ ، والمطر الأسود ، والفلفل والبهار ، على طريقة الشعر الأجنبي الحديث ، ليقول لنا بعد ذلك إنه أتى بشعر رائع جديد .

ألا رحم الله الشعر . . !

[عن الرائد]

الدكتور عارف قياسة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

الإسلام دعوة عالمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى العدد الأخير من مجلة « الأزهر » عقبنا على المقالين اللذين نشرتهما مجلة « التاريخ اليوم » الانجليزية للأستاذ سوندرس المحاضر الأول بقسم التاريخ فى جامعة نيوزيلاندة ، وقد جعل عنوان المقالين « الخليفة عمر المستعمر العربى » ، وذهب فيهما إلى أن ابتداء انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية إنما كان من عمل هذا الخليفة ولم يكن عملا داخلا فى برنامج الدعوة المحمدية .. لأن محمدا عليه السلام لم يفكر فى دعوة أحد غير العرب إلى الإسلام .

وكان موضوع التعقيب أننا أخذنا على الكاتب دعواه هذه وقلنا إنها ، مع حسن النية ، سوء تطبيق لعلم المقارنة بين الأديان ، إلتماسا لوجوه الشبه التى لا وجود لها بين الدعوة إلى الموسوية والدعوة إلى المسيحية والدعوة إلى الإسلام . فإن أتباع موسى عليه السلام قد دخلوا أرض الميعاد بعد وفاته ، وأتباع عيسى عليه السلام هم الذين قاموا بتوجيه الدعوة إلى العالم بعد حصرها فى بنى إسرائيل ، فينبغى على هذا القياس ذهابا مع شهوة المقارنة بين الأديان فى غير موضع للمقارنة أن يكون خلفاء النبى هم الذين نشروا الإسلام بين الأمم غير العربية ، ولم يكن ذلك من برنامج محمد عليه السلام ولا من أصول رسالته إلى قومه .

أما إذا ساءت النيات ، وما أكثر الدواعى إلى سوء النية فى كتابة تاريخ فلسطين .. فقد يفهم من كلام الكاتب أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان عملا من أعمال الاستعمار العربى ولم يكن هداية دينية خالصة لوجه الله ، ويرد هذا على الخاطر — قسرا — إذا اطلع القارئ فى العدد نفسه على مقال مسهب عن دخول اليهود إلى فلسطين ، ليتخذوها مأوى لهم وموطنا موعودا من عهد الخليل إبراهيم .

وقد وصل إلينا عدد شهر يونيو من المجلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الانجليزية فقرأنا فيه تصحيحا لدعوى الأستاذ النيوزيلاندى بقلم الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية ، أشار فيه إلى الأدلة الكثيرة التى تثبت دعوة الإسلام العامة ، ثم قال : « إننا إذا تركنا هذه الأدلة جانبا واكتفينا بالنظر فى القرآن الكريم وحده فهناك أكثر من أربعين آية يذكر فيها الله سبحانه وتعالى باسم رب العالمين ، وهذا عدا الآيات التى ذكر فيها بالنص الواضح أنه عليه السلام قد أرسل إلى الناس كافة ، وأن القرآن قد تنزل عليه ليقرأه على الناس » .

وقد أحالت المجلة هذا الرد إلى الأستاذ سوندرس فعاد يقول إن هناك أدلة تفيد أن محمدا (صلوات الله عليه) قد أراد بدينه أن ينشر على الناس ، كما أن هناك أدلة أخرى تفيد أنه لم يفعل ذلك ، فهى إذن مسألة من مسائل الشك لا يقطع فيها بأى القولين .

قال : « أما إن محمدا قد آمن بأن الله هو إله الجميع فليس محل مناقشة ولكنه ليس بموضع البحث فيما نحن بصدده ، ولنا سند من القرآن نفسه حيث ترد الآيات التى يمكن الاستدلال بها على القولين ، فقوله فى أول سورة الفرقان « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » قد يقابله فى سورة القصص قوله : « ... لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » ، وهو يشير — كما هو واضح — إلى العرب ، ومثله قوله فى سورة الشورى : « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه » ، فإنه يدعو إلى التساؤل عن القرآن العربى هل يخاطب به أناس غير المتكلمين بالعربية .

قال : « إن الأوربيين المتخصصين للإسلاميات ينقسمون انقساما شديدا فى هذه المسألة . فإن موير يرى أن الدعوة من البداية إلى النهاية كانت دعوة للعرب وحدهم ولم يدع بها أحد غيرهم ... ولكن نولدكه وجلدزيهر وأرنولد وكلهم ثقات — يقولون إن محمداً عليه السلام أراد بدينه منذ أوائل الدعوة أن يكون ديناً عالمياً ولم يرد به أن يكون مجرد عقيدة وطنية محلية ، ونقول : إنه لو كان قد ثبت أنه كتب إلى هرقل وملك الفرس وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى الإسلام لانتفى الشك بالواقع . ولكن آراء الباحثين — مع الأسف — لا تميل إلى قبول هذه الأخبار ، ومونتغومرى وات يقول إن هذه القصة لا يمكن أن تقبل على حسب هذه الروايات » .

ثم ختم جوابه على تعليق الأستاذ الشريف قائلا : « وعندنا صعوبة كهذه فى أمر المسيحية . فهل كان المسيح عليه السلام ينظر إلى نفسه كأنه صاحب ديانة جديدة كما جاء فى متى حيث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقول : إذهبوا وعلموا جميع الأمم ؟ أو كان ينظر إلى نفسه كأنه مصلح لليهودية ليس إلا وأنه ما جاء إلا لهداية خراف إسرائيل الضالة ؟ » . وأحسب أنى أمام هذا الخلاف قد كنت متحرزاً حيث قلت : إن البرهان القاطع غير موجود » .

والأمر البين بعد قراءة هذا الجواب أن الأستاذ لم يكن متحرزاً كما قال فى ختام جوابه ولكنه — كما قدرنا — قبل الاطلاع على هذه المقارنة بين الدعوة المسيحية والدعوة المحمدية فى كلامه الأخير كان مفسافا مع إغراء المقارنة فى غير موضع للمقارنة ، فلم يظهر له الفارق الشاسع بين موقف الخلفاء من الدعوة المحمدية وموقف بولس الرسول وإخوانه من الدعوة المسيحية . فإن بولس وإخوانه لم يكن فى وسعهم أن يبشروا اليونان والرومان بمسيح منتظر فى بنى إسرائيل لخلاصهم واستعادة ملكهم الذى قضى عليه الرومان أنفسهم ، فلا جرم تتحول الدعوة من إسرائيلية إلى عالمية لهذه الضرورة التى لا محيص عنها ، وليست هناك مشابهة قط بين الدعوة الخاصة ببنى إسرائيل وبين الدعوة إلى الناس كافة كما وردت . القرآن الكريم بذلك الوضوح الذى فهمه الكاتب ولم يستطع أن يتجاهله فى جوابه على اعتراض الأستاذ الشريف .

فهذه هى الثغرة التى نفذ منها خطأ القياس إلى رأى الأستاذ النيوزيلاندى مع تقدير حسن النية فيما قرره من حصر الدعوة الإسلامية بين أبناء الجزيرة العربية .

ولسنا نرى دليلا على التحرز — ولا على الجد — فى استناد الكاتب إلى نزول القرآن باللغة العربية لتعزيز حجته على تخصيص الإسلام بمن يتكلمون اللغة العربية ، إذ كيف كان يريد أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية ولم تكن مقصورة على المتكلمين بلغة الرسول ؟ إنه يمنع بذلك أن توجد فى العالم دعوة عالمية إنسانية على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بألسنة الناس أجمعين .

ولا نحسب قراء الأستاذ النيوزيلاندى قد استفادوا شيئا من اليقين أو الترجيح بما استشهد به من أقوال المختلفين على عموم الرسالة المحمدية أو خصوصها بين زملائه المستشرقين بل كل ما يستفيده القارئ المطلع من وقوع هذا الخلاف أن أناسا غير قليلين بين « جهابذة المستشرقين » يقرءون الكتاب المبين ولا يستبينون منه أظهر معانيه ، بل أظهر كلماته ، التى لا تحتاج إلى مراجعة من أخبار الإسلام أو أخبار التواريخ .

فإذا كانت كلمة الناس كافة تحتمل اللبس فى أذهان هؤلاء المستشرقين لسبب من أسباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التأويل فى اللغة أو فى المنطق فما هو اللبس فى وصف العباد الذين تكرر الخطاب بإنذارهم ودعوتهم إلى الدين ؟ .

إننا نذكر من وصف هؤلاء العباد فى الكتاب العربى مثلا واحدا وهو قوله فى خطاب النبى بالعربية :

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال . الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » .

فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سخر لهم البحر وسخرت لهم الأنهار وسخر لهم الليل والنهار لا يخطر له لحظة أنهم أبناء الجزيرة العربية دون غيرهم من بنى الإنسان فى جميع البلدان .

وإذا كان عرب الجاهلية قوما لم يأتهم نذير من قبل فالدين الذى جاء به صاحب الدعوة المحمدية يعم المتدينين الذين سبقت إليهم الرسل ويقوم النبى العربى بالدعوة إليه ليظهر على الدين كله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وأيا كان القول فى اللغة التى تكلم بها النبى ، وفى صلاح هذه اللغة للدعوة العالمية ، فإن النوع الإنسانى يشمل أم القرى وما حولها ولا تعتبر هداية أهلها عزلا لهم عمن عداهم من الناس ، إذ كان خطاب الناس كافة يمنع أن يكون الخطاب مقصورا على أم القرى ومن حولها ولكن خطاب أم القرى ومن حولها لا يمنع أن يعم الناس أجمعين .

وبعد ، فكيف يسيغ العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية خاتم النبيين إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير .

إن طائفة من المستشرقين تسيغ مالا يسيغه العقل فى أمر القرآن وأمر الإسلام ، ولا نحب أن يشيع لأحد من هؤلاء قول مسموع فى العصر الحاضر ، لأننا نقرأ لغيرهم من فضلاء الأوربيين المحدثين صفوة من الآراء السديدة فى الإسلام ونبيه ، ينزهونها عن هوى الاستعمار والتبشير ما استطاعوا ويحسنون بها إلى قرائهم وقراء العربية غاية إحسان العالم الأمين على علمه ، وليس من هؤلاء — ولا ريب — من يذكر الخليفة الفاروق اليوم فلا يعرف له صفة إلا أنه مستعمر قديم ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

مؤتمر أديان لإقرار السلام :

استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السيد / سوامى باسكرانند ـ الفليسوف الهندى .

وقد دار الحديث حول عقد مؤتمر تمثل فيه جميع الأديان للعمل على إقرار السلام فى الأرض والحث على التعاون والمحبة والمساواة بين البشرية جمعاء دون تمييز بين جنس ولون .

وقد صرح الزائر للإمام الأكبر بأنه كلما قدم مقترحه لدولة إسلامية اشترطت لعقد المؤتمر موافقة الأزهر .

ثم قال : وقد دفعنى ذلك إلى لقاء الإمام الأكبر ، وزيارة الأزهر ، وها أنا ذا قد سعدت بأن أتيحت لى هذه الفرصة .

فشكر له الإمام الأكبر مشاعره الطيبة واقتراحه ، ووعده ، ببحث الموضوع قريبا والاتصال به بعد ذلك .

ثم أبرز له فضيلته المبادئ السامية التى يدعو إليها الأزهر قائلا : إن الأزهر يدعو إلى الله ، والسلام ، والخلق الكريم ، والرحمة والتعاون ، والعطف على الفقراء والمساكين يدعو إلى كل خير يحبه الله .

هذا الأزهر يرحب بالفيلسوف الهندى ، ويسره أن يضع يده فى أيدى جميع الفلاسفة لنشر مبادئ الإسلام فى أنحاء الأرض .

ثم تلا قوله تعالى: « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ثم قال فضيلته : ومن يمت نفسه فى سبيل هذه المبادئ فهو حى على الإطلاق .

إن كل الرسالات السماوية تدعو الى ذلك ، وكلها تلبية للطبيعة الإنسانية ، والإنسان بنفسه معترف بربه ، حتى ولو عاش فى الجبل فإنه يعترف بوجود ربه ويكفى الإنسان فى الإيمان التأمل فى هذا الكون .

قال الزائر ـ إنه لمن عظيم سرورى أن أسمع ذلك من فضيلتكم ، وسيسعدنى أن أعمل على ضوء هذه لمبادئ وسأستنير بها فى جميع غدواتى وروحاتى .

فقال الإمام الأكبر ـ إنها لفرصة طيبة أن اقترنت زيارتكم لنا بأعظم حادث فى تاريخ الأزهر ، وهو إعادة تنظيمه حتى ليؤدى رسالته كاملة للدين والدنيا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأستاذ الأكبر يستقبل زعيم المسلمين في مونتريال :

استقبل الإمام الأكبر بمكتبه السيد / محمد حبيب الله خان زعيم المسلمين في مونتريال بكندا . وقد حضر المقابلة الأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية ، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الأزهر .

وقد حضر الزائر إلى القاهرة في طريق عودته إلى كندا بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام ، وزار الأزهر ليقدم إلى الإمام الأكبر خالص تحيات المسلمين في كندا ، وبخاصة في مونتريال ، ورغباتهم في أن يعمل الأزهر على مساعدتهم في إقامة مسجد بمونتريال وإيفاد إمام من الأزهر له يقوم بتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي .

وقد أوضح الزائر أن عدد المسلمين في مونتريال يبلغ ثلاثمائة مسلم ويأسف إذ ليس لهم مكان مخصص لإقامة الشعائر الدينية التي يؤدونها مؤقتا في إحدى "كنائس" ، كما ذكر الزائر أنهم يبذلون جهدهم لتعليم أبناء المسلمين هناك اللغة العربية عن طريق إنشاء مدرستين إحداهما للكبار والأخرى للصغار .

ثم قال السيد الزائر : إنه لما كان لهؤلاء المسلمين رغبة شديدة في النهوض بمستواهم الثقافي الإسلامي فإنه يحمل هذه الرغبة إلى الإمام الأكبر وكله ثقة في أن يحققها الأزهر لهم .

وقد رحب فضيلته برغبة السيد الزائر ، ووعده بأن يعمل على تحقيقها بكل الوسائل الممكنة .

ثم أكد له فضيلته أن الأزهر على استعداد لمعاونة المسلمين في أنحاء العالم وبخاصة مسلمو مونتريال بكندا لإنشاء المساجد ، ومدهم بالمدرس والكتاب .

كما ذكر له فضيلته أن الأزهر سيعمل على الاتصال بالجامعة العربية لمنحهم ما يمكن من مساعدة من جانبها .

وقد أهدى فضيلته إليه وإلى زوجته ، التي كانت ترافقه بعض مؤلفاته ، وبعض الكتب الثقافية باللغة الانجليزية وحمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع المسلمين في كندا .

وصول عام الأوقاف في باكستان :

واستقبل فضيلته السيد أبو الحسن قريشي مدير عام الأوقاف في باكستان يرافقه السيد إسماعيل كشميري المستشار الصحفي في سفارة باكستان .

وقد دار الحديث حول العلاقات الثقافية بين الأزهر وباكستان كما طلب من فضيلته أن يوفد الأزهر مبعوثا دينيا لتوجيه الأئمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والوعاظ فى باكستان توجيهاً فنياً فى مضمار الوعظ والإرشاد ليستطيعوا القيام بهذه المهمة على خير وجه . فرحب الإمام الأكبر بهذه الرغبة ، وأجاب الوافد بأن الأزهر سيعمل على تحقيق ذلك فى أقرب فرصة ، كما وعده بالعمل على إيفاد من يحتاجون إليه من العلماء الذين أعدوا إعداداً كاملا فى الأزهر ، وما يحتاجونه من الكتب الثقافية الإسلامية .

وأوصاه بأن يعمل على تعميم اللغة العربية فى باكستان حتى تكون لغة التخاطب والتفاهم بين المسلمين ، وحتى يمكن تفهم كتاب الله وسنة رسوله ، باللغة العربية ، لغة القرآن ، وأسف فضيلته أن تكون اللغات الأجنبية وسيلة تفاهم بين المسلمين .

ثم قال فضيلته : ولو أن المسلمين وضعوا نصب أعينهم دراسة اللغة العربية لأدركوا مدى قيمة هذا العمل فى كل ما يتعلق بشئون دينهم ودنياهم .

وقد أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته وحمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة لجميع إخوانه الباكستانيين .

تكريم الأزهر ممثلى الجاليات الإسلامية :

بالولايات المتحدة ، وكندا :

زار ممثلو اتحاد الجاليات الإسلامية بالولايات المتحدة ، وكندا الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد الثورة التاسع ، وأقام الأزهر ندوة لهؤلاء الضيوف فى قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر صباح الثلاثاء ١٨ / ٧ / ١٩٦١ تناولت البحث فى بعض الشئون الإسلامية ، وما يتعلق بحاجات المسلمين فى تلك البلاد .

وألقى فضيلة الأستاذ الأكبر فى هذه الحفلة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا النور الذى أنزل معه .

أبنائى وإخوانى :

إن الأزهر الذى مكث عشرة قرون كاملة يبحث كتاب الله ، يستنبط منه أحكام الشريعة وينشر إرشاداته فى النظر إلى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ .

إن هذا الأزهر يحييكم اليوم ويرحب بكم ، ويمديده إليكم باعتباركم أبناء من أبنائه وأنصاراً من أنصار دعوته ، وليس من اختلاف الأماكن وجهات الإقامة فى نظر الإسلام أن تختلف الأهداف والغايات .

فغاية المسلمين جميعا وأهدافهم فى كل الأقطار واحدة ، ونظرة الإسلام اليكم وأنتم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى أمريكا وكندا هى نظرته اليكم وإلى غيركم من أبنائه فى أوربا ، وآسيا ، وإفريقيا ، وأستراليا ، فالكل أبناؤه تجمعهم عقيدة التوحيد ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدة اليوم الآخر . وهذا هو المحور الذى يدور حوله المسلمون جميعاً ويعتدون به ، وهو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض الذى ربط الله به المسلمين بعضهم ببعض ، وجعل الإيمان به والعمل بأحكامه طريقاً من طرق السعادة الإنسانية فى الدنيا والآخرة .

هذا الحبل هو دين الله (الإسلام) الذى ليس لله دين سواه . وقد سجل تعالى هذه الحقيقة فى كتابه فقال تعالى: « إن الدين عند الله الإسلام » ونفى أن يقبل الله غير الإسلام ديناً فقال: « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

هذا هو الإسلام الذى يربط بين أبنائه ويجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — ليجعلنا — ونحن هنا وأنتم فى دياركم — نشعر جميعاً بألم إخواننا فى فلسطين وفى الجزائر وفى عمان وفى البحرين . بل يجعلنا نشعر بألم كل مكافح فى سائر أنحاء الأرض ، فنشاركه ونعاونه فى جلب سرائه ودفع ضرائه .

إخوانى وأبنائى : إن الأزهر بهذه الاعتبارات كلها يرحب بكم ويعتد به إليكم وبخاصة فى هذه الفترة التى يأخذ فيها على باب تنظيم جديد ، يقرب بين عقليات المثقفين من أبناء الأمة الإسلامية ، ويفتح لأبنائه كثيراً من أبواب الحياة العلمية ويبسط أمامهم الكون وما حوى من سموات وأرض وماء وهواء ، فيعرفون أسرار الله فيها ويستخدمون سننه فى النهوض بالبشرية وسعادة الناس ، كما يفتح أمامهم أبواب استنباط أحكام الإسلام من كتاب الله وسنة رسوله ، وبذلك كله يعود إلى الأزهر الفقهاء المشرعون ، والأئمة المجتهدون ، والفلاسفة الباحثون ، والعلماء المخترعون وأئمة اللغة العربية لفهم كتاب الله وسنة الرسول .

لذلك كانت زيارتكم للأزهر حادثا جللا سيكون له فيما يأتى أعظم الذكريات فى حياة هذه الجامعة الجليلة التى تعتبر أقدم الجامعات التى نهضت بالإنسانية .

هذا الأزهر يحييكم ويرحب بكم ويعتبر هذا الاجتماع أداة ربط قوية بين مسلمى أمريكا ، وكندا ، وبين شعب الجمهورية العربية المتحدة . وذلك كله بفضل السيد الرئيس العظيم جمال عبد الناصر الذى تبنى الأزهر ونظر إلى سائر الجماعات الإسلامية نظرة الأخ لإخوانه — حقق الله لنا وله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الآمال وسدد خطاه وأنار لنا وله طريق العمل من أجل الإسلام والإنسانية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفى مساء اليوم نفسه أقام فضيلته حفل عشاء لتكريمهم فى نادى الشرطة بالجزيرة .

الإمام الأكبر يستقبل

رئيس وزراء نيجيريا الشمالية

استقبل فضيلته السيد الحاج أحمدو بللو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية ، وقد حضر المقابلة بعثة الشرف وكبار رجال الأزهر ، وقد رحب به فضيلة الإمام الأكبر قائلا :

« إن الأزهر يرحب بكم ، ويسعده أن يضع يده فى أيديكم للعمل من أجل الإسلام والمسلمين ولخدمة التراث الإسلامى . . لقد احتفظ الأزهر باللغة فجمع شمل العرب ووحد كلمتهم وحمل رسالة محمد بن عبد الله ، واحتضنها أكثر من ألف عام مكن الله له فيها ليكون مصدر علم ونور ومعرفة وأمل باسم للمسلمين فى أنحاء الأرض ، ثم كان من فضل الله عليه أن جعله معينا لا ينضب ومنهلا عذبا ومصدر أمن واستقرار ، ينشر فى الأرض ألويته فى كل مكان وجد فيه . فهو مصدر الإشعاع الفكرى الذى بزغت شمسه ، وشع ضياؤه على الآفاق جميعا .

والأزهر بعد هذا حصن اللغة العربية ومصدر قوتها ، وروح نهضتها وأقوى العوامل على بقائها شابة فتية صامدة أمام الأحداث والحوادث التى تضافرت عليها ، وهى لغة القرآن ، دستورنا القويم ومنهاج أمتنا الواضح . إذ أنه الدستور الذى سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مواقفه ، والذى سار عليه المسلمون فى كل العصور المتعاقبة فكان لهم مصدر القوة ، وأصل الرخاء ، ومبعث الحرية ومنار السلم والسلام. يجب أن تعنى الأمة الإسلامية بدراسة اللغة العربية لتستطيع تفهم كتاب الله وسنة رسوله . وهذا الأزهر يرحب بكم ويفتح ذراعيه لاستقبالكم .

قال السيد رئيس الوزراء : « إننى أشكر لكم جهودكم ومشاعركم ، وأنا جد آسف لأن كثيراً من مواطنى فى نيجيريا يقرءون القرآن بالعربية ولكنهم لا يفهمونه ، نتيجة للاستعمار البغيض ، ونرجو أن نعمل على إزالة أسباب ذلك .

ويسرنا أن يفتح الأزهر بابه لنا ولأبنائنا ، ليعودوا حاملين لواء العلم ، وينشروه بين أهليهم وذويهم . ثم أضاف : « إن الأزهر ليس مقصورا على العرب

ولكنه جامعة لكافة الشعوب الإسلامية ، وسأبعث بأولادى وأحفادى للدراسة فى الأزهر الذى أعتبر نفسى جنديا من جنوده ، وبخاصة بعد أن عرفت مدى الإصلاح والتنظيم الذى سيأخذ بيده إلى الأمام قرونا طويلة . وإننى إذ أشكركم الآن على هذه الحفاوة أعدكم بأن يشكركم أبنائى من بعدى على اهتمامكم بهم » .

فقال الأستاذ الأكبر :

« إن مهمة الأزهر أن يشرح الإسلام المسلمين وأن يعمل من أجلهم ، إنه اليوم قد اتسع نطاقه فأدخل علوم الدنيا بجانب علوم الدين ، وفتح باب الكون على مصراعيه أمام طالب الأزهر ، ويسره أن يستقبل أبناءكم وأحفادكم ليعودوا رسل خير ورخاء لبلادهم .

وقد طلب السيد رئيس الوزراء من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين من الأزهر يختارهم فضيلته بنفسه لنشر الثقافة الإسلامية فى نيجيريا .

كما دعا فضيلته رسميا لزيارة نيجيريا لأنهم فى شوق للقائه . وقد وعد فضيلته أنه سيعمل فى الحال على إيفاد المبعوثين إلى بلاده وسيختارهم بنفسه . كما قبل فضيلته الدعوة لزيارة نيجيريا .

ثم أهدى إليه فضيلته كتاب الله قائلا : « هذا عهد الله بينى وبينكم للعمل من أجل الإسلام ومبادئه ، كما أهدى إليه مؤلفاته » .

ثم أهدى فضيلته إلى جميع مرافقيه كتاب الله ، ومؤلفاته . وقال : « إن الأزهر ليشيد بكل فخر وتقدير بالجهود التى يبذلها الرئيس جمال عبد الناصر للأخذ بيده ودعم كيانه وإعادة تنظيمه ليكون بحق مثل المسلمين الأعلى ليحقق آمالهم فيه ويرضى رغباتهم ويمكن لهم من الدين والدنيا .

ويدلى بحديث فى قوانين الأزهر الجديدة لمراسل جريدة أمريكية :

واستقبل فضيلته بمكتبه مستر توم استريتهورست مراسل جريدة نيوزويك الأمريكية . الذى تقدم بعدة أسئلة عن قانون تنظيم الأزهر الجديد . وقد صرح له فضيلته بأن الهدف من تنظيم الأزهر هو خدمة الإسلام والإنسانية بتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بعلماء متفقهين فى الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة .

كما أجاب فضيلته عن سؤال وجهه إليه المراسل عن دور الأزهر فى خدمة القومية العربية فقال : « إن الأزهر يعمل على نشر مبادئ الإسلام وينادى بدعم السلام فى أنحاء الأرض وتأكيد الحريات ويدعو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى الوحدة والتعاون ، ورد الظلم والطغيان . وهو بهذا يخدم القومية العربية » .

كما سأل المراسل عن مدى اهتمام الرئيس جمال عبد الناصر بالأزهر . فأجاب فضيلته : « إن الرئيس يعرف حاجة بلاده ، ويعمل جاهداً لتحقيق الأهداف التي تخدم الإسلام والوطن العربي والإنسانية جمعاء ، ولذلك أصدر قانون الأزهر ليمكن هذه الجامعة العتيقة من أداء مهمتها كاملة على أساس من كتاب الله وسنة رسوله في العلم والدين » .

كما سأل الزائر فضيلته عن المشكلة التي تعترض طالب الأزهر عندما يلتحق بالكليات الجديدة ، وأجاب فضيلته بأن الأزهر سيهيئ للطلاب برامج إعدادية وتوجيهية حتى يتمكنوا من متابعة هذه الدراسات . وسأل الزائر عما إذا كان لقب « الإمام الأكبر » يعني مسئولية جديدة . وأجاب فضيلته بأنها نفس المسئولية لخدمة الدين والثقافة الإسلامية وتتناول نواحي الإشراف العام والتوجيه والإرشاد والتربية . وسأل الزائر عما إذا كان إصدار هذا القانون قد وجد معارضة من الأزهريين . فأجاب فضيلته بأن كل جديد له مادح وقادح ، ولكن معظم الأزهريين يرحبون بهذا القانون لأنه سيخدم العالم الإسلامي في جميع الميادين بجانب التفقه في الدين ، ويوم يفهم هؤلاء القلة مزايا هذا التنظيم فإنهم سيعضدونه بكل قلوبهم ومشاعرهم .

(البقية على الصفحة التالية)

* * *

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد المتوكل أمير المسلمين في غانا . وقد حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا له : « إن المكان العلمي الأول الذي يتجه إليه المسلمون إنما هو الأزهر فمرحباً بك في هذا المكان ، وأنا مسرور معجب بك إذ تتكلم العربية وهو أحب شيء إلى ، لأن المسلمين جميعاً يجب أن تكون لهم لغة واحدة هي اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، وأنا أعتبر أن الذين يبقون على لغة غيرها أو يقفون عليها دون تعلم اللغة العربية ، إنما يكونون ظلا للاستعمار . ونحن نكره الاستعمار ونبغضه والأزهر الذي ظل حصنا للغة العربية والشريعة الإسلامية ألف عام وعشرين يمد يده لكل مسلم بالمدرسين والكتاب ليعلمه لغة نبيه ولغة القرآن الذي أنزله الله على رسوله . ثم قال فضيلته : « يجب أن نهجر الاستعمار في لغته وفي حكمه وفي عقيدته ، فقد خلق الله المسلم مستقلا يقف على قدميه بنفسه لا يحتاج إلى من يكون سيداً له ، إنما هو سيد نفسه ، وأمير نفسه ، فنحن نريد أن يشعر بهذا كل مسلم سواء . أكان حكما أو محكوما . نريد أن يقدر المسلم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

على بئر أريس :

كتبت هذه المقالة لتنشر فى العدد الممتاز من الصحيفة الحجازية (المدينة المنورة) لصاحبها الأستاذ على حافظ ثم نقلتها مجلة الأزهر عنها .

أسئلة علمية وأجوبتها :

اطلعت فى جريدة « بريد الصومال » على إجابات عن أسئلة وجهت إلى السيد حاج علم عبد الله درر خادم الصوفية ، والسائل هو السيد جامع عمر عيسى السلفى . والسائل يريد أن يقف على الحق فيما سأل عنه ، ولكن إجابة المجيب لم تكن سديدة ولا موفقة .

وهأنذا أنقل للقراء الأسئلة والإجابة عنها ثم أعقبها بالجواب الصحيح .

١ — قال المجيب : أما سؤالكم هل الموتى يسمعون دعاء من يدعونهم ؟ فإنهم يسمعون بدليل ما فى الصحيحين لما قتل صناديد قريش فى يوم بدر وقف عليهم رسول الله وقال يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً . قال : فقال عمر : إنهم أجساد بلا أرواح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

البقية على الصفحة السابقة

كرامته ويعرف رسالته فى الحياة فلا يدين لغير الله ولا يستعين إلا به مصداقا لما يقرأه فى كل يوم مرات ومرات « إياك نعبد وإياك نستعين » .

قال السيد الزائر : « إننى يافضيلة الأستاذ الأكبر سمعت من آبائى أنه لا ينبغى لأحدمنا أن يأخذ عن المستعمر لغة أو حكما ، وكنت لا أفهم سر هذا ولا معناه ، وكنت لا أعى الحكمة من هذا ، ولكننى الآن وبعد أن استمعت إلى حديثكم تبينت لى الحكمة ووضح المقصود ، وسأحمل هذا إلى المسلمين فى غانا أبشرهم به لندعم استقلالنا ونبنى نهضتنا على أساس من الفهم الواعى والمبادئ المستقلة ثم أهدى الأستاذ الأكبر للسيد الزائر القرآن الكريم وبعض مؤلفاته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

على بئر أريس :

كتبت هذه المقالة لتنشر فى العدد الممتاز من الصحيفة الحجازية (المدينة المنورة) لصاحبها الأستاذ على حافظ ثم نقلتها مجلة الأزهر عنها .

أسئلة علمية وأجوبتها :

اطلعت فى جريدة « بريد الصومال » على إجابات عن أسئلة وجهت إلى السيد حاج علم عبد الله درر خادم الصوفية ، والسائل هو السيد جامع عمر عيسى السلفى . والسائل يريد أن يقف على الحق فيما سأل عنه ، ولكن إجابة المجيب لم تكن سديدة ولا موفقة .

وهأنذا أنقل للقراء الأسئلة والإجابة عنها ثم أعقبها بالجواب الصحيح .

١ — قال المجيب : أما سؤالكم هل الموتى يسمعون دعاء من يدعونهم ؟ فإنهم يسمعون بدليل ما فى الصحيحين لما قتل صناديد قريش فى يوم بدر وقف عليهم رسول الله وقال يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً . قال : فقال عمر : إنهم أجساد بلا أرواح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

البقية على الصفحة السابقة

كرامته ويعرف رسالته فى الحياة فلا يدين لغير الله ولا يستعين إلا به مصداقا لما يقرأه فى كل يوم مرات ومرات « إياك نعبد وإياك نستعين » .

قال السيد الزائر : « إننى يافضيلة الأستاذ الأكبر سمعت من آبائى أنه لا ينبغى لأحدمنا أن يأخذ عن المستعمر لغة أو حكما ، وكنت لا أفهم سر هذا ولا معناه ، وكنت لا أعى الحكمة من هذا ، ولكننى الآن وبعد أن استمعت إلى حديثكم تبينت لى الحكمة ووضح المقصود ، وسأحمل هذا إلى المسلمين فى غانا أبشرهم به لندعم استقلالنا ونبنى نهضتنا على أساس من الفهم الواعى والمبادئ المستقلة ثم أهدى الأستاذ الأكبر للسيد الزائر القرآن الكريم وبعض مؤلفاته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجواب الصحيح :

والحق أن سماع الموتى من الأمور الغيبية التى لا تثبت إلا بنص قطعى والحديث الذى أورده المجيب أنكرته الصديقة بنت الصديق كما جاء فى صحيح البخارى وقالت : إنما قال إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت : « فإنك لا تسمع الموتى » ، « وما أنت بمسمع من فى القبور » . وعلى فرض صحة هذا الحديث فإن هذه حال خاصة لا يصح القياس عليها ولا تبنى عليها عقيدة . وقد قال قتادة كما فى صحيح البخارى : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما .

فالحق أن الموتى لا يسمعون دعاء من يدعوهم من الأحياء بدليل قول الله تعالى « فإنك لا تسمع الموتى » ، « وما أنت بمسمع من فى القبور » ، وإذا ثبت بنص القرآن الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمعهم فإن غيره أحق ألا يسمعهم

٢ — وأجاب المجيب عن سؤال السائل : « إذا قال قائل عجل لى بحاجاتى هل يدعو غير الله أم لا : إن قول الشخص : يا فلان جدلى بمرادى داخل فى التوسل إلى الله وصرف النداء إليه بمجاز والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربى أن يجود بمرادى فالمسئول حقيقة هو الله وإنما أطلق الاستغاثة بالنبى أو الولى وهو جائز شرعا وعرفا . والدليل قوله تعالى : « وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله » ، فأسند إليه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى . وذلك من باب المجاز كأنبت الربيع البقل . وكقوله تعالى : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها فاسدة أتم فساد فإذا قال شخص لميت من الموتى : جد لى بمرادى أو عجل لى بحاجاتى أو أنت اعتمادى أو أغثنى يا غوث كان داعياً غير الله وسائلا غير الله . وهذا أمر فى غاية الوضوح ، ومحاولة تصحيحه محاولة لتصحيح الباطل . وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن سؤال غيره ودعائه فقال : « فلا تدعوا مع الله أحداً » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سألت فاسأل الله » .

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على من يدعون غيره بقوله : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » ، وقال تعالى : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » ، وقال تعالى : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » ، وقال تعالى : « ومن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون» .

وأى مجاز هذا الذى يتحمله ؟ والعامة لا يعرفون المجاز ، ولم يدرسوا فن البلاغة فإذا قالوا : يا فلان جد لنا بكذا فإنهم يقصدون حقيقة ما يقولون ويعتقدون أن هذا المدعو يستطيع أن يجيبهم إلى ماطلبوا ولولا ذلك ما دعوه .

ومن الافتيات على شريعة الله أن يقول المجيب : إن التوسل بالأشخاص جائز شرعاً وعرفاً . والاستدلال بقوله تعالى : « وأبرئ الأكمه والأبرص» استدلال غير صحيح إذ لا صلة للآية الكريمة بهذا الموضوع .

٣ — ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل يجوز سوق الهدايا إلى القبور وذبحها (عندها) ؟ وهل يكون ذبحها لوجه الله أو لغير الله ؟ وهل لحمها حلال أو حرام ؟ .

فالجواب : إن ذبحها مسلم أو كتابى ذبحاً شرعياً فهى حلال إن لم تذبح باسم الطواغيت وأما سوقها إلى القبور فهو تقرب إلى الله لأن الزائرين يقصدون الذبح لله وحده ويتصدقون بلحمها على حـ الشيخ الولى . .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها مغالطة وتضليل ، فإن الذبح الشرعى هو ما تراعى فيه شروطه ، ويراد به أحد أمرين : إما أكله وإما التصدق به أو ببعضه بغير أن يكون للولى أو القبر دخل فى ذلك .

أما سوق الذبيحة إلى قبر الولى فهو قرينة واضحة تدل على أن سائقها لا يقصد بذبح ذبيحته إلا التقرب إلى هذا الولى الذى يذبح له . وتكون هذه الذبيحة من قبيل ما ذبح على النصب . ولا يحل أكل لحمها شرعا ، بل هى كالميتة ولحم الخنزير ولو ذكر اسم الله عليها عند ذبحها كما لا يحل أكل لحم الخنزير ولو ذكر اسم الله عليه .

والقاعدة الأصولية تقرر أنه إذا تعارض المانع والمقتضى يقدم المانع . والمانع هنا قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » وقال : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به — إلى أن قال — وما ذبح على النصب [1] » .

والمقتضى قوله تعالى: « وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم » .

وإذا كان الذابح يقصد الذبح لله وحده كما يقول المجيب فلم يسوق ذبيحته إلى قبر الميت ؟ ولم لا يذبحها فى بيته مثلا ؟ ولم يتصدق

(١) النصب كما قائم أمام الحجرة التى فيها الصنم تذبح عليه الذبائح التى يتقرب بها إلى الصنم وهو مربع يحوط به مجرى يجرى فيه الدم وبه ثقب ينزل منه الدم ليتلقى فى إناء ويقذف به فى الخارج .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بلحمها على حب الشيخ ؟ ولم لا تكون صدقة على حب الله ؟ وفى سبيل الله وابتغاء مرضاة الله ؟ .

٤ ـــ ويقول المجيب للسائل : أما سؤالكم هل كانت هذه الطرق الصوفية المنتشرة اليوم بين الناس موجودة فى عهد رسول الله أو عهد الخلفاء الراشدين او عهد التابعين أو عهد الأئمة الأربعة ؟ نعم كانت هـذه الطرق الصوفية موجودة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى فى الحديث أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه رقص بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلقى وخلقى ، وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فإن الجنيد البغدادى كان فى زمن الخلفاء العباسيين وثبت فى محكمة قضاتهم أنه أهل لله وأن الشافعى وأحمد بن حنبل لقبا شيبان الراعى فقال الشافعى : أنا أسأل هذا الصوفى مسألة من الفقه فقال أحمد : لا تسأله فقال : لا بد . فقال : يا شيبان من نسى إحدى (صلوات) الخمس ولم يعرف عينها كيف يفعل ؟ فقال : قلوب غفلت عن الله وجب تأديبها بقضاء (الكل) ، (فغشى) الشافعى فقال أحمد : ألم أقل لك ؟ اهـ .

الجواب الصحيح :

وأقول إن كل هـذه الإجابة بنجوة عن الحق ، وكلمة (تصوف) نفسها كلمة لا علاقة لها بالإسلام . ولا نجدها فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى قول صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإنما دخلت فى الإسلام بعد ترجمة كتب اليونان إلى العربية فى عهد العباسيين ، وكلمة صوف Sophi يونانية الأصل ، وقد نقلها اليونان عن العجم وكانت تستعمل لقبا لملك العجم وتطلق على الحكيم والتقى فى لغتهم ، وقد يضيفون إليها مقطعا آخر فيقولون تيوصوفى (Theosophi) ومعناها عندهم الاعتقاد بالاتحاد بالله ، أى وحدة الوجود التى يقول بها المتصوفة .

ومهما يكن من أمر فهذه الطرق لم تكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى أيام القرون الخيرة .

ورقص جعفر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ـ إن صح ـ لا علاقة له بالطرق الصوفية ولا يصح دليلا على وجودها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا على جوازها .

٥ ـــ ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل من الناس من يعلمون الغيب ؟ فاعلموا .

قال الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » فأثبت الله لرسله علم الغيب بدليل الآية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكريمة وكذلك الأولياء يلهمهم الله وقوع بعض الوقائع فى المستقبل ويدل على صحة ذلك ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس ملهمون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر بن الخطاب) أخرجه البخارى .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كسابقاتها كلها مغالطة فإن الرسل لا يعلمون الغيب علماً ذاتيا تلقائيا . وإنما يعلمون ما أخبرهم الله تعالى به بطريق الوحى للآية الكريمة . وقياس الأولياء على الرسل خطأ لأن الرسل يوحى إليهم والأولياء لا يوحى إليهم . وقد أخبر رب العزة فى كتابه الكريم أن علم الغيب من خصائصه تعالى فقال سبحانه : « إنما الغيب لله » وإنما تفيد الحصر فى لغة العرب . وقال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » وقال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » .

فالزعم بأن الأولياء يعلمون الغيب زعم باطل وقد أخطأ المجيب فى نقل حديث البخارى ولفظه الصحيح هكذا (لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن فى أمتى أحد فعمر) .

والمراد بالتكليم هنا الإلهام كما يفهم من رواية مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم) . قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون .

والحق أحق أن يتبع وليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال .

أبو الوفاء محمد درويش

رئيس أنصار السنة المحمدية بسوهاج

حول المهدى المنتظر :

دأب بعض الكتاب على تأويل أحاديث سيد البشر تأويلا يحدد وقت ظهور المسيح الدجال وغير ذلك . وقد نشرت جريدة صوت الإسلام مقالا للسيد / حسن صبرى حدد فيه ظهور المهدى بشهر رمضان سنة ١٣٨٠ هـ وخروج الدجال على رأس مائة سنة تبدأ فى سنة ١٣٨٧ (العدد ١٠٧) مسنداً ذلك إلى سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

وذكر الكاتب أن الأحاديث النبوية الشريفة تدل على أن تركيا ستتحالف مع الاتحاد السوفيتى وقد تنقلب إلى جمهورية من جمهورياته . وذكر أنه لو أذن له فى نشر ما يعلم لحدد بأقصر العبارات مصير كل دولة فى السنوات المقبلة (العدد ١٠٨) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كما ذكر أن إيران سوف تكون دولة من دول الاتحاد السوفيتي أو حليفة له ، مسترشدا في ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا أخو زمام وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين ...) العدد ١٠٨

وتأويل هذه الآثار بما يحدد وقت قيام الساعة وأشراطها تحميل للنصوص فوق طاقتها وتدخل في العلم بالغيب الذي لا يظهره الله تعالى على أحد من خلقه إلا من ارتضى من رسول قال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » .

ولما كان كاتب المقالات قد أسند ذلك إلى السنة النبوية الشريفة بطرق واهية لا يرتضيها العلم ولا الدين فإنه يجب أن تمتنع الصحف عن نشر أمثال هذه المهازل ، وهذا أضعف الإيمان .

وقد أسند الكاتب إلى من لقبه بإمام السنة الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري وشقيقه عبد الله الغماري .

ونوضح للقوم أن ضمن مؤلفات هذا الحافظ كتاب (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية) وهو ضمن ما استند إليه كاتب المقالات ، وقد ورد في هذا الكتاب أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر هلالا الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي ووصفه بأقبح وصف .

كما وضع هذا « الإمام الحافظ » كتابا أسماه (الإقناع بصحة صلاة الجمعة خلف المذياع) ذهب فيه إلى جواز صلاة الجمعة في المنزل خلف المذياع والائتمام بإمام المذياع ، وقد بينا فساد هذا الرأي في كتابنا الوجيز في العبادات .

وقد قيل بأن ذلك كان خدمة للفرنسيين بمنع المجاهدين الجزائريين من التجمع بالمساجد يوم الجمعة وقد عرفت حقيقة عبد الله بن الصديق الغماري هذا وأنه جاسوس لفرنسا وقد صدر ضده أخيراً حكم بالإعدام من المحكمة العسكرية العليا للإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة .

أما ما ورد بشأن المهدي المنتظر من الأحاديث فليس فيه تحديد وقت ظهوره كما أن بعض الأحاديث في متنها يجب التحفظ في قبولها إذا سلمنا بصحة سندها :

١ — فهناك روايات تذكر أن المهدي اسمه الحارث ، من ذلك ما رواه أبو داود في كتاب الفتن عن علي رضي الله عنه قال (قال النبي صلى الله عليه وسلم) « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ، فإذا ظهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته)

٢ — روايات تذكر أن اسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه أبوداوود عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (لو لم يبق من الدنيا الا يوم - وفي رواية لطول الله ذلك اليوم - حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، وفي رواية يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

٣ — تذكر بعض الروايات أنه من أهل البيت كما في الرواية السابقة وكما في رواية أبو داوود أيضا عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة ، وكما في رواية الإمام أحمد عن علي عن رسول الله (المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة)

٤ — ذكر الأستاذ أبو الأعلى المودودي أن الأحزاب المختلفة المتنافسة في ميدان السياسة في مبدء الإسلام حاولت جميعا أن تستغل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بظهور المهدي وتصوغها حسب مصلحتها جميعا فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن ثوبان في دلائل النبوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي وروى ابن ماجه قريبا من هذا المعنى في كتاب الفتن ، باب خروج المهدي .

وقد كانت الرايات السود شعاراً للعلويين، وأبو مسلم الخراساني هو الذي مهد لدولتهم .

والخلاصة أنه لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بظهور المهدي آخر الزمان ولكنه لم يحدد ذلك بسنة معينة فلا يجوز استنباط هذا من الروايات مهما كانت دلالة ألفاظها . وكيف يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقد رد القرآن الكريم على العرب منكراً علم الرسول بالساعة في كثير من الآيات وقرر أن علمها عند الله تبارك وتعالى . ولا خلاف بين الأمة في تفسير هذه الآيات أو تأويلها .

ولا ينبغي استخدام الأحاديث النبوية في الإخبار عن الملوك والزعماء قدحا أو مدحا حتى لا تصبح أحاديث سيد البشر مطية الأهواء والنزعات .

سامي علي البهنساوي
المحامي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف

الطرق الحكمية :

لابن قيم الجوزية

قدم هذا الكتاب وحققه الأستاذ محمد جميل أحمد أحد علماء الأزهر الشريف . وقد كتب الأستاذ السيد على صبح المدنى كلمة افتتاحية أشاد فيها بمكانة ابن قيم الجوزية ، وقال : إنه مجد من أمجادنا ، وأب كريم من آبائنا ، أولئك الذين نفاخر بهم الدنيا ، ونتحدى بهم التاريخ .

وكتابه هذا عمل جليل ينبغى أن يعنى به الدارسون والباحثون ، وأن يهتم به رواد الثقافة العالية .

أما المحقق فقد دعا فى مقدمته إلى العودة لأمجادنا الماضية ، وإلى أن نرفض بحزم وإصرار الأفكار والمبادىء والعقائد المستوردة من الخارج لأنها لا تتفق ومنهجنا فى الحياة .

وعلى الشرق أن يثق فى نفسه وفى قدرته حتى يواجه الحياة فى قوة وعزيمة وثبات ونذد بمن يرون أن الإسلام دين طقوس ودروشة ، وليس له فى سياسة الأمم وفى الإصلاح الاجتماعى شأن يذكر .

والكتاب المحقق كتاب قيم ، تناول فيه مؤلفه مسائل على جانب كبير من الأهمية ، تتصل بالقضاء ، وتضع أسسا لمن يريد أن يحكم حكما سليما على وفق الشريعة الغراء .

وهدف مؤلفه أن يثبت أن الشريعة تعرضت لكل جليل ودقيق مما يعرض للناس فى شئون حياتهم ، وأن فهم أسرار الشريعة فهما حقيقيا هو سبب التقدم وقد عاب على الذين يقتصرون على ما ورد به الشرع ، وينفرون من الأحكام المستنبطة ولو وافقت الشريعة ، وقد قال فى ذلك: « وقال ابن عقيل فى الفنون : جرى فى جواز العمل فى السلطنة بالسياسة الشرعية : أنه هو الحزم ، ولا يخلو من القول به إمام . فقال شافعى : لا سياسة إلا ما وافق الشرع ، فقال ابن عقيل : السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول، صلى الله عليه وسلم. ولا نزل به وحى.

فإن أردت بقولك « إلا ما وافق الشرع » إى لم يخالف ما نطق به الشرع : فصحيح ، وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فغالط ، وتغليط للصحابة ، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل مالا يجحده عالم بالسنة .

وهذا موضع مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، وهو مقام ضنك ، ومعترك صعب ، فرط فيه طائفة ، فعطلوا الحدود ، وضيعوا الحقوق ، وجرءوا أهل الفجور على الفساد ، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة إلى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق ، والتنفيذ له ... إلخ » .

وقد بالغ المؤلف فى الاعتماد على القرائن ، والفراسة ، وذكر من ذلك شواهد وقصصا ، وبهذا ابتدأ كتابه ، فقد ذكر فى أول الكتاب أن أحاه سأله عن الحكم بحكم بالفراسة والقرائن التى يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات ، ولا يقف مع مجرد ظواهر البينات والإقرار ، ثم قال : فهذه مسألة عظيمة النفع جليلة القدر ، إن أهملها الحاكم أو الوالى أضاع حقا كثيرا ، وأقام باطلا كثيرا ، وإن توسع فيها ، وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع فى أنواع من من الظلم والفساد .

وتحدث فى الكتاب عن أنماط من الأجوبة الحصيفة ، وعن جواز الحكم بشاهد واحد ، وعن شهادة النساء منفردات ، ومذاهب أهل المدينة فى الدعاوى وحق الحاكم فى اتخاذ الحبس ، وعن الطرق التى يحكم بها الحاكم ، وذكر منها ستة وعشرين طريقا .

ثم تكلم عن الحسبة ، وعن حكم التسعير ، وعن الغش ، والحجر الصحى ، والقرعة إلى غير ذلك من الشئون التى تعنى القضاة .

والمؤلف قوى الحجة ، ساطع البرهان ، واسع الاطلاع على مقاصد الشريعة يتمتع بقسط وافر من حرية الرأى .

ونعود إلى الأستاذ محقق الكتاب فنجده دعا فى حرارة وحماسة إلى فتح باب الاجتهاد الذى أغلقه — كما قال — التزمت العنيف ، والتعصب الأثيم ، والتقليد الأعمى .

والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد حبيبة إلى نفوسنا ، أثيرة عندنا ولكن ينبغى أن نحترس ، ونحن ندعو هذه الدعوة ، فإن قوما من دعاة التجديد يدخلون هذا الباب — باب الفتاوى والاجتهاد — دون أن يتسلحوا بالأسلحة التى يتطلبها هذا الميدان .

لقد وضع العلماء السابقون للاجتهاد شروطا ، وهى شروط لا بد منها لمن يقول فى شريعة الله برأيه ، ويخالف ماعليه الأئمة .

وكما ينبغى أن نضرب على أيدى دعاة الطب حتى لا يهلكوا الأبدان ينبغى أن نضرب على أيدى دعاة الاجتهاد حتى لا يهلكوا الأرواح .

ليفتح باب الاجتهاد ، ولكن ينبغى ألا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يلجه إلا أهله ، الذى هيأوا أنفسهم له ، وإلا شاعت الفوضى فى أحكام الدين .

وكلمة أخيرة :

الكتاب طبع قبل ذلك ، وفضيلة الطبعة الجديدة أنها اعتمدت على بعض المخطوطات التى ربما لم يطلع عليها الطابعون السابقون ، والفرق غير كبير بين هذه الصفة وبعض الطبعات السابقة .

ولكن المحقق يقول - مبررا إعادة طبع هذا الكتاب - أنه اعتمد على نسخة خطية تعتبر أقدم مرجع لهذا الكتاب ، وتمتاز بأنه لا نقص فيها بخلاف غيرها من المخطوطات وبعض النسخ - كما يقول - فيها نقص كبير ، وخطأ كثير ، وذكر أن بعض الأخطاء جسيمة .

وقد عنيت بتتبع الأخطاء التى نبه عليها فى هوامش الكتاب ، والنقص الذى استدركه . ولكنى وجدت أكثر هذه الأخطاء مما يقع مثله فى أى طبعة .

على العمارى

الإسلام والقومية العربية :

للأستاذ عبد الرحيم فودة :

هذا كتاب جديد للأستاذ فودة ، يتصل بموضوع دقيق ، أثار جدلا فى غير مصر ، ونحن هنا نكتفى بالتعريف به دون مناقشته فيما تضمنه من آراء ، ولعل الفرصة قريبا تجعلنا نضع كتابه على المشرحة لنوفيه حقه من النقد .

يرى فضيلة المؤلف أن الإسلام شعار عام ، ولكن معنى العروبة قد التحم به أتم ما يكون الالتحام ، والإسلام لا يتعارض مع القوميات ولا يصادمها لأنها فطرية وهو دين الفطرة ، أما مقومات القومية ، فهى البيئة واللغة ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة ، ثم الدين الذى يدخل فى كل عنصر من عناصرها ، ويشتبك معها بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التغافل عنها .

وعرض الأستاذ فودة بعد ذلك لمفهوم الدين ، وهو يتلخص فى أنه وضع إلهى مقرر لنظام شامل كامل كما عرض لعلاقة العلم بالدين وعلاقته بالحضارة والمجتمع — أما القومية العربية فلم يكن تكوينها من هناء لا يقوم عليه بناء ، وإنما كان من عناصر صالحة للبقاء والارتقاء ، أما القرآن وشخصية الرسول صلوات الله عليه - فهما وثيقا الصلة بالقومية العربية .

وبعد أن حدد المؤلف واجب المسلم تجاه القومية العربية وعرض نماذج من كفاح العرب فى سبيل الإسلام ، صب جام غضبه على أعداء الأمس واليوم ، أعداء الأمس فى مرحلة الإسلام الأولى ، من بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة ، وأعداء اليوم التى تربطهم الصهيونية العالمية برباط من الخسة والغدر والخيانة ، ورجا الله من أعماق نفسه ، أن يهيئ الله للأمة المحمدية من القوة ما يجعلها تخلص الإنسانية من شرور هذه الفئة الضالة ، كما خلصتها من قبل فى ساحة جزيرة العرب .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء الأزهر

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر
من الإمام الأكبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته — وبعد فإن التنظيم الجديد للأزهر الذى أمضيتموه والذى يحقق مبادئ الإسلام فى الإنسانية الفاضلة والذى يفتح لأبناء الأزهر أبواب العمل فى جميع نواحى الحياة ويحقق آمال المسلمين فى بقاع الأرض فى معهدهم العتيق ليعتبر بحق الخط الفاصل بين أزهر المعز لدين الله وبين أزهر جمال عبد الناصر .

وقد أدى الأزهر الأول رسالته بقدر ما يسرت له ظروفه فليؤد الثانى بقيادتكم — إن شاء الله — رسالته على وجه أعم يحقق مبادئ الإسلام العامة فى العالم الإسلامى وفى دراسة نواحى العلوم المختلفة ، والانتفاع بها .

فباسم الأزهر علمائه وطلابه — بل باسم ملايين المسلمين والعرب الذين سينتفعون بالأزهر الجديد ، ويتطلعون إليه — نرفع إليكم أعمق الشكر ، داعين الله أن يمد فى حياتكم حتى تروا ثمار هذا الغرس العظيم إعزازا لدين الله ، وسلاما للإنسانية ، وتقدما للعلم ، ونجاحا للاجتماع .

حياكم الله وسدد خطاكم ، وأدام لكم التوفيق .

محمود شلتوت

أجاب السيد الرئيس بالبرقية الآتية : —

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فقد تلقيت برقيتكم التى بعثتموها باسمكم وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه والتى ضمنتموها أصدق مشاعركم بمناسبة التنظيم الجديد للأزهر .

وإنى لأعرب لكم عن أخلص الشكر وأطيب تمنيات الصحة راجين أن يوفقنا الله إلى ما فيه إعلاء منارة الأزهر حتى يؤدى رسالته كاملة فى خدمة العلم والدين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإنى لأبعث إليكم وإلى الجميع بأطيب تمنيات السداد والتوفيق .

جمال عبد الناصر

شيخ الأزهر يستقبل :

سفير الجمهورية العربية المتحدة فى اليابان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / عبد الرحمن العظم سفير الجمهورية العربية المتحدة فى اليابان ، وقد دار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية .

ويستقبل مستشار سفارة السنغال :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد / أحمد دام مستشار سفارة السنغال فى القاهرة . وقد دار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية فى إفريقيا ، ثم دعا سيادته فضيلة الإمام الأكبر لزيارة السنغال ، حيث يكون لهذه الزيارة أثرها البالغ فى جمع كلمة الإفريقيين وتوحيد صفوفهم .

وقد وعده الإمام الأكبر بإجابة هذه الدعوة متى سمحت الظروف .

ووزير معارف قطر :

واستقبل سمو الأمير الشيخ قاسم ابن حمد الثانى ـ وزير معارف قطر ، يرافقه الأستاذ عبد الرحمن عطية مدير المعارف بقطر ، والشيخ عبد الله بن تركى مدير تفتيش العلوم الشرعية بها ، والشيخ كمال ناجى مدير الامتحانات ، والأستاذ رفيق شاكر مدير مكتب وزير المعارف وقد تناول الحديث العلاقات الثقافية بين الأزهر وقطر .

وأشاد الزائر بجهود مبعوثى الأزهر الذين قاموا بمهمتهم خير قيام وطلب المزيد منهم ، وقد وعده فضيلة الإمام الأكبر بتحقيق رغبته ، ثم أهدى إليه بعض مؤلفاته ليكون عهدا بينهما للعمل من أجل الإسلام والمسلمين ، والدعوة إلى الله ، وإلى الخير .

وقاضيا بالصومال :

واستقبل الشيخ نور الدين على القاضى بالصومال الذى طلب من فضيلته مساعدة الأزهر ماديا ومعنويا لإنشاء جمعية إسلامية فى الصومال تقوم على مبادئ الإسلام ، كما طلب بعض الكتب الثقافية لإنشاء مكتبة إسلامية فى مقدشو . وقد وعده فضيلته بتحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وأحد تجار عدن :

كما استقبل السيد عبد الله صالح الحضار من كبار تجار عدن ، وقد حمل لفضيلته خالص تحيات المسلمين هناك . ودار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية .

ويستقبل رهائن باكستانيا :

واستقبل السيد محمد عبد السلام إسماعيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حسين الرحالة الباكستانى الذى يطوف العالم على دراجته الهوائية فى مدة تستغرق خمس سنوات وقد وفد إلى الأزهر بعد خمسة شهور من قيامه بالرحلة حيث طاف فيها ببعض البلدان الإسلامية .

وقد طلب الزائر من فضيلته أن يعمل على إلحاقه بالأزهر لمدة ستة شهور يتعلم فيها اللغة العربية . وأن يزوده بآرائه الإصلاحية فى سبيل الإسلام والمسلمين ، لأنه بصدد تأليف كتاب عن الإسلام يتناول فيه آراء عظماء المسلمين فى العالم ، وخاصة رأى فضيلة الإمام الأكبر .

وقد أمر فضيلته بإلحاقه بالأزهر فى الحال وزوده بكلمة تشجيعية أشاد فيها بالسياحة والسائحين إذا كان الغرض من ذلك معرفة سنن الله فى الكون .

والمندوب الثقافى للمملكة العربية السعودية:

كما استقبل الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن المسند ـ وكيل مدير عام الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة السعودية والمندوب الثقافى بالقاهرة لندب الأساتذة .

وقد حمل الزائر إلى فضيلته رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة والكليات والمعاهد وتتضمن الرسالة شكر الإمام الأكبر على جهوده فى سبيل الإسلام والمسلمين ، وعلى إيفاد المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية .

وفد الاتحاد القومى فى بنى مزار :

واستقبل السيد / عبد العظيم أبو الليل عضو مجلس الأمة على رأس وفد من الاتحاد القومى فى بنى مزار يطلب العمل على ضم معهد بنى مزار الدينى للأزهر .

وقد وعدهم فضيلته ببحث الموضوع والعمل على تحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وفد من علماء باكستان :

كذلك استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمد عبد الحامد القادرى ـ رئيس جمعية علماء باكستان .

والشيخ أحمد نورانى الصديقى ـ سكرتير عام جمعية العلماء بباكستان .

والشيخ محمد عمر إلاهى ـ عضو جمعية العلماء بباكستان .

وقد رحب بهم الأستاذ الأكبر وسر لأنهم يتحدثون باللغة العربية وأوصاهم بأن يعملوا على تعميم اللغة العربية بباكستان فهى لغة القرآن ومن الأفضل تفهم القرآن باللغة العربية التى نزل بها ، ثم قال فضيلته : إن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزهر يرحب بكم ، فهو فى خدمة المسلمين جميعا أينما كانوا . ولقد شرحتم صدورنا اليوم بهذه الزيارة المباركة .

ونرجو أن يجمع الله بلادنا على كلمة التوحيد ، ويربط قلوبنا على الإيمان ، وأن يزيل ما بيننا من حواجز ، حتى يتم الاتصال الوثيق بين المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها

فقال السيد رئيس الجمعية : إننا سنعمل جاهدين على أن ننفذ ما أوصيتم به ، ونحن حريصون على الاقتداء بكم والسير على نهجكم الحكيم .

ولقد خاطبنا حكومة باكستان رسميا فى أن تكون اللغة الرسمية لباكستان هى اللغة العربية ، ودعمنا طلبنا بكافة البراهين والدلائل التى توصون بها .

وقد طلب الوفد من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين إلى باكستان .

كما دعا فضيلته لزيارة باكستان حيث يتشوق المسلمون هناك لرؤيته .

وقد وعدهم فضيلته بتحقيق رغبتهم فى إيفاد المبعوثين فى أقرب فرصة ، ووعدهم بتلبية دعوتهم لزيارة باكستان متى سمحت الظروف بذلك .

ثم أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته .

شكر الأزهر للسيد الرئيس :

قصد قصر الجمهورية وفد كبير على رأسه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر لشكر السيد الرئيس جمال عبد الناصر على إصداره قانون تنظيم الأزهر الجديد .

وتكون الوفد من السادة أصحاب الفضيلة شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية ومدير ومفتشى الوعظ والإرشاد ، ومدير التفتيش ، ومراقبى العلوم الشرعية والعربية واللغات الأجنبية والعلوم ورعاية الشباب .

بعثة الأزهر فى مؤتمر الرباط :

سافر كل من الدكتور محمد عبد الله ماضى - المدير العام للمعاهد الدينية ، والأستاذ عبد الفتاح صقر مراقب الآداب لحضور المؤتمر الثقافى للجامعة العربية المنعقد بالرباط فى المدة من ٣ - ١٠ يوليو سنة ١٩٦١ . وموضوع المؤتمر « الكتاب المدرسى » .

وقد زار الدكتور محمد عبد الله ماضى المركز الثقافى بلندن أثناء عودته .

God in every prayer. the repress of soul throug fasting for a month in every year, the annual giving of alms out of profound cordial faith, and the meating in the holy mosque and the sacred places, the matter which necessitates the bearing of hardships and sufferings, all these forms of adoration are to make a room for others in the human heart and to efficiently prepare him to co-operate with them. This intended co-operation may afterwards reach fraternity.

The limitation of financial and commercial dealings and of the familial relations stated in Islam are not but on indirect urge to remain within the cercle of equity or to mount to the circle of charity : that is the ultimate qualitative property of man-Islam did not in any of its principles evaluate neither the quantity for its own sake nor Man for his superfacial appearance nor life for its laster and pleasures. That is to say it did not attach any importance in its estimation to what is measured in depth width and length, but it always estimates and aims at the quality. Accordingly it stimultes Muslims to know how to judge it (quality) and to regard it in their human ilfe.

Islam is proletic sourse of the human civilisation. Thanks to Islam, Muslims have considerably porticipated in the bulding of this civilisation. In this connection it may be said that Muslims have contributed the most splendid share of the human civilisation. They only ceased to share in it when they abondoned the Islamic values and contented themselves of their being attributed to the Islamic nation. This abominable attitued ensue that they were no longer the Muslims who beneficially demonstrated Islam through teachings

When our present Islamic renaissance adopts for objective the evaluation of quality not quantity and the estimation of principles not individuals; when they refrain from the abandoment of the Islamic principles and ceased to be contented of their being atlributed to Islam; they would resume their effective contribuation to the human civilisation and submit the most eminent form of it as well.

offering to the needy, but it is also the highest form of refinement. It is the giving for no return. It is the pollte refusal or excuse in the case of incapability to give. It is the human treatment in both co-existance and separation, It is manifested in the refined conversation as clarifies the following verses : "A kind word with forgiveness is better than charity fallowed by injury. And Allah is self-sufficient, Forbearing" (Surah Al-Baqarah : The cow. verse 263.)

"Divorce may be (Pronounced) twice, then keep (them) in good fellowship or let (them) go with kindness" (Surah Al-Baqarah : The Cow. verse, 229).

"And serve Allah, and associate naught with Him, and be good to the parents" (Surah. Al-Nisa. The women. verse 36).

And God said "And thy Lord has decreed that yhu serve none but Him, and do good to parents. If either or both of them reach old age with thee, say not "Fie" to them, nor chide them, and speak to them a generous word. And lower to them the wing of humility out of mercy, and say : My Lord, have mercy on them, as they brought me up (when was) little (Surah Al-Israa: The Israelites, verses32 and 24).

Owing to the high rank of equity and charity they are enjoined in the imperative mood in the Koran in God's saying : "Surely Allah enjoins justice and the doing of good (to others) (Surah Al-Nahl : The Bee, verse 90).

When the individual and social equity are establihsed and when equality becomes a common feature in both individual and social conduct this would mean the realisation of one of the two radical properties of humanity. When charity is manifested in the above stated sense that would finally means the achievement of the other radical proprety. Both individual and society would be human in the most proper and original sense of the word.

What has been emplied in the Islamic call other than equity and charity is but ways and means aiming at the realisation of this two paramount precepts or at least to pave the way to enable man both individually and socially to establish them. The different forms of adoration such as prayers, fasting, alms-giving and pilgrimage are seemingly intended to urge Man to perceive his nature and his status is life and to acknowledge the right of his associate to existance so as to share with him the means of estabilty. The several repetitions of prayers in everyday life, the presentation before

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

directed either to love or to grudge and hatred and human will may enable him either to supress his passion or to endulge in it. In this aspection man is conceived - since nature is composed of three psychological faculties - to be either a pious or impious.

From the above mentioned sayings of the prophet and verses of the Koran we find that Islam is a source of the human civilisation so much as it is a wise guidance of man at the same time.

The contribution of Islam in this aspect is its enjoinment for the construction and the continuation of the human civilisation. Its precepts, for this reason, do not aim at mobilizing individuals neither for invation nor for agression, but it aims at the qualitative qualifications of Man that is humanity. The very accurate representatives of these qualifications in Man are both equity and carity.

Equity in fact is the equilibration in the case of individuals between what is craved for by the individual and what must be done by him; and in the case of society is the balancing between the individual's rights and dutys. In so doing Islam has substituted equality for deprivation in the cercle of individuals, and equilibration for selfishness in the cercle of society. Hence there is no place in Islam for the social classses and for their conflitct since there is no reason for either. There exist only the common right of life for all. Equity is practised in saying as well as in doing. It can also be applied between two persons sharing the same goals as well as between other two with conflicting purposes as these are all enjoy the common properties of humanity. In this respect God said : "Give full measure. And be not of those who diminish. And weight with a true balance. And wrong not men of their dues, and act not corruptly in the earth, making mischief " (Surah Al-Shuora: the poets, vers 181 — 183).

And when you speak, be just, though it be (against) a relative. And fulfil Allah's covenant. This He enjoins on you that you may be mindful" (Surah Al-An'am : The cattle. verse 153).

And God said : " O you who believe, be upright for Allah, bearers of witness with justice; and let not hatred of people incite you not to act equitably. Bejust that is nearer to observance of duty. And keep your duty to Allah. Shurely Allah is is aware of what you do " (Surah Al-Maidah : The Food. verse, 8).

Charity in its turn ranks above equity because it is not only the

the strength of his muscles as it is ascribed to the strenght of his heart gained through its faith, the strength of his mind acquired by knowledge, and the strength of his will achieved by following the straight Conduct.

In this conjuncture God's saying :— "If there are twenty patient men among yot they shall vanguis two hundred; and if there are a hundred, they shall rout a thousand disbelievers, for they are devoid of understanding".

This verse of Koran may clarify the meant power-Patience, which was to be a sign of this power and by means of which the lesser number qualified by it would have the uper hand all the more number deprived from this attribute, is a psychological power not a physical one.

We shall also find the estimation of quality is clear in the prohht's saying : "There will come a time when nations will invite each other to assail you and devour you as do the eaters of a delicious dish". "This will be because of our little number then O God's prophet ?" said the hearers of the prophet. "No, you will be numerous then but you will be as weak and helpless as the foam of the torrant." Answered the prophet. Afterwards we find in the holy Koran His glorious saying : 'O people we have created you from a male and a female and divided you into nations and tribes in order that you might get to know one another. The most nobleset of you in Allah's sight is the most pious".

These two verses state that the human nature is the same in every nation, in every place and in every time and that there is no differentiation in nature between a man and another. The distinction that could exist between an individual and another or between a group of individuals and another is not due to this nature but to what can be achieved within the circle of this human nature. Every individual human nature has the psychological faculties manifested in : Conception affection and will. The difference of an individual nature from another is not attributed to the increasement or the decreasement of these faculties but to the benefit of them in guidance. The piety that is made cause of differentiation in His glorious saying :— "The noblest of you in Allah.s sight is the most pious" is the wise directing of the psychological faculties to conceive God only, to extend fraternity and love among peoples and to perform good deeds in the benefit of both individual and humanity. The human conception in its origin may be directed to the belief on the denial of the one god, the human affection may also be

In this connection, the values produced by a human being differ from that which are produced by another, be they in philosophy, poetry, drawing, phatographing, sculpture, acting, music or law. The fundamental difference or distinction is not then due to the quantity of the production but to its quality.

It may be said too that the philosophy which is directed to racialism and that prefer certain races of human beings to others and the philosophy that adopts bestiality and mocks of the human values such philosophies are not fit for being a sound base for a human civilisation or rather such philosophies do not contribute substantially in this civilisation. In this respect they are surpassed by another philosophy that calls in its guidance for evaluating the human faculties wherever they are found either among individuals or among peoples.

The poetry which glorifies a nation, an individual or a group of individuals solely for their own sake not for the human values and faculties that are represented in this nation, this individual or these group of individuals, is valueless poetry that has a trifle share in building the human civilisation. Yet it may be a tool in its weakness and destruction. The different kinds of art which stimulate man and make him value his bestial side or confer his estimation on the sectarianism is an art inconsistant with the measures of civilisation and consequently has nothing to do with its evalution and duration. The law which is not based on the individual freedom, the equity among the members of society and the maintenance of the wise human behavior - these are human values - is destined not to go beyond the circle of its legislator and is void of fitness in the general human guidance. Hence it is lacking in the human form of civilisation.

***

If we leave these component aspects of life and consider Islam - as a source of guidance for man - we shall find it evaluates the quality more than it does with the quantity We shall find that its suitability in guidance is not confined to a particular tribe, people or race, but it pertains to the human being wherever he exists, and to people no matter how they are different in colour, place and time.

We shall find that the evaluation of quality in Islam represented in the saying of the prophet peace upon him : "The strong believer is better and more beloved to God than the weak one". The meant believers strength is not chiefly due

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

HUMAN CIVILISATION IS MEASURED

By

THE QUALITY NOT BY THE QUANTITY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Dircetor General of Islamic Culture Administration

In fact not all human actions whether they are intellectual, conceptional, artistic, or actions pertaing to behavior participate in establishing the huma civilisation, but the establishing action of this civilisation is that which emanates from Man representing a human faculty which distinguishes the human being from other creatures through its bearing on its human nture. This action is the true contributor in increasing the outcome of the human civilisation.

That it because the fine intellectual action, the accurate conception, the eminent form of art, and the behavior in its wisdom and its straightforwardness are the radical basis of the human civilisation and the effective factors in its development and progress. This is so because in the above mentioned actions, the human effort is thoroughly represented and, the human will is clearly manifested. In these actions Man seems to have his own effectiveness because he, in these actions, seases to be affected and becomes effective. effective through his thought, effective through his art and effective through his conduct in guidance and expression altogether.

Guidance and expression then have certain fitness that go beyond the circle in which the thinker, the artist or the author of the human behavior, exists and originates.

In this respecf it may be said that human civilisation is a series of hauman values conposed by man by vertue of his inventiveness or reached by him through his human nature.

These values have the fitness and consideration beyond the field of the society and invironment where the inventor or the participant of these values exists.

The more the human thought, conception, art, or conduct is comprehensive in regarding the facts and in its guidance the more it contributes to the human civilisation and to its development and progress.

Al-Azhar will bridge the gap between the traditional systems of secular and religious education in the Muslim World. It will open the doors of practical life wide before its graduates to search for greater and new knowledge to help bringin about true happiness for mankind. The new reformatory system will help Al-Azhar to maintain its mission in graduating legislators, jurists, philosophers, scientists, and leaders of religion and Arabic language who understand God's Book and the Tradition of His Prophet.

Your visit to Al-Azhar may, therefore, be regarded as a great event that will be commemorated in the life of this university which is considered the oldest existing university serving humanity.

This University, while welcoming you, regards this meeting as a tool for strengthening the ties between the Muslims of the U.S.A. and Canada and the people of the U.A.R. The one who deserves most of the credit for providing us with this opportunity of meeting you here is our President Gamal Abdel Nasser who has been fathering Al-Azhar as well as the Islamic movement here and abroad. May God materialise his hopes, which are ours, for the sake of Islam and humanity in general.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

The Greeting Speech of The Rector of Al-Azhar

Sheikh Muhmoud Shaltout at the Muslim Immigrants Conference in Cairo

In the Name of the Compassionate, Merciful God.

Thanks to God, the Lord of the Universe, and peace upon the Prophet Muhammad and his deciples who followed the enlightenment revealed to him.

Sons and brothers. Peace be upon you and God's Mercy and His blessing.

Al-Azhar, which has, for ten centuries, been maintaining the unique position of searching in God's Book for the articles of Islamic Law as well as of seeking insight into this physica world, welcomes and greets you today. When this great Institution extends both hands, it considers you a part of its extended family. The common goal in Islam is the thing which counts and not the geographical distance which may separate the Muslim communities. Islam, therefore, looks at you, the Muslims in the United States and Canada, with the same eyes it looks at your brethers in Europe, Asia, Africa, and Australia. All are followers of the common faith : the oneness of God, the belief in the message of Mhuhammad, peace upon him, and the belief in the Judgement Day. This faith is the center around which the Muslims gather. It is the extended cord from heaven to earth to lead the Muslims unified to the path of happiness.

This cord is God's only religion, "The only religion in the sight of God is Islam." For God does not accept any other religion but Islam. "He who adepts a religion different from Islam is not accepted and will be among the losers in the Hereafter."

Islam, which strengthens the ties among Its followers to the degree that they become one integral unit, makes all of us feel the pains and misery of our brothers in Palestine, Algeria, Oman, and Bahrein. It makes us feel the pains of every freedom fighter anywhere.

Brothers and sons :

Al-Azhar, in all its capacities and in its modern era, welcomes you. The modern reformatory system of

"And the parable of those who spend their wealth to seek Allah's pleasure and for the strengthening of their souls is as the parable of a garden on elevated ground, upon which heavy rain falls, so it brings forth its fruit twofold; but if heavy rain falls not on it, light rain (suffices) And Allah is Seer of what you do" (Surah Al-Baqarh. The caw, verse 265).

This the value of offering for the sake of God's call and this is the truthful promise to those who give their money for this cause. This value and promise are unique repayment that are not attached to any prescription other than offering. Prayer in spite of its importance and thouh it is the second pillar of faith is not accepted if it does not motivate the muslim to pay the assigned shore for the poor in his money. Fasting and pilgrimage were not accorded such care as is the case in offering for the sake of God's call.

From the previously mentioned facts we can state that Islam does not evaluate any of its principles if it does not plant in the muslim's heart the emotion of kindness that urge a muslim to offer his money for the sake of God's call. This is what I believe in and what is ment by the glorious Koran.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

This is a style which considers the offering in God's way or for the sake of God's call on the same level as faith itself. If we turn over the pages of Koran we shall find that the feeding of the poor is a radical condition to enable man to acquire his happiness. In this connection Koran says : But he attempts not the uphill road. And what will make thee comprehend what the uphill road is ? (It is) to free a slave, or to feed in a day of hunger, And orphan nearly related, or the poor man lying in the dust. Then he is of those who believe and exhort one another to patience, and exhort one another to mercy. These are the people of the right hand" (Surah, Al-Balad : The City, verses 11 — 17).

And "Hast thou seen him who belies religion ? That is the one who is rough to the orphan, And urges not the feeding of the needy. So woe to the praying ones, Who are unmindful of their prayer ! Who do (good) to be seen. And refain from acts of kindness ! (Surah Al-Maun, Acts of kindness).

Related with this God informed us that the criminals would confess in their answer in the day of judgement when they would be asked as the Koran reads : What has brought you into hell ?

They would confess that their neglection in paying the poor's rights is among the cause of their torment saying in their answer as related in Koran : They will say : We were not of those who prayed; Nor did we feed the poor, and we indulged in vain talk with vain talkers, And we called the day of Judgment a lie; (Surah Al-Moddether : The one wrapping Himself up, verses, 43 — 46).

This is some styles that state the value of offering in God's way and for frightening from misery.

As for the urging of this offering Koran says : Who is it that will offer to Allah a goodly gift, so He multiplies it to him manifold ? (Surah Al-Baqarah, The Cow, versa 245).

"The parable of those who spend their wealth in the way of Allah is as the parable of a grain growing seven ears, in every ear a hundred grains, And Allah multiplies (further) for whom He pleases. And Allah is Ample-giving, knowing Those who spend their wealth in the way of Allah, then follow not up what they have spent with reproach or injury, their reward is with their Lord, and they shall have no fear nor shall they grieve". (Surah Al-Baqarh. The Caw. veres 261 and 262).

extravagance and luxury. Koran spares no effort to purify the Islamic group from these vicious attributes in order that it may prepare the souls for their duty towards both God and creatures, no matter what they give in this respect. Koran has original styles in asking for offering and in warning against misery that it fills the muslem's heart with sacrifice and that maks him certain that this offering is the right path to an indignant life through which both individual and group are guaranteed the happiness in this world and in the next world as well.

Of these expressive style the first, we are to meet every now and these throug our readings in Koran, is that God does not mention faith except accompanied with affering money in His way, and feeding the poor. The chapter of Surah Al-Baqra : The Cow clarifies the qualities of the pious who are most benefited of the Koran and its guidance stating that among these qualities : Who believe in the Unseen and keep up prayer and spend out of what We have given them".

In exposing the radical goods demanded by God from His creatures Koran says : It is not righteousness that you turn your face towards the East and the West, but righteous is the one who believes in Allah, and the Last Day, and the angels and the Book and the prophets, and gives away wealth out of love for Him to the near of Kin and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free and keeps up prayer and pays he poor-rate" (Surah Al-Baqarah, The Cow, verse, 177).

The chapter of th Spoil mentions offering among the ingrediants of faith saying : Those who keep up prayer and spend out of what We have given them. These are the believers in truth. For them are with their Lord exalted grades and protection and honourable sustenance' (Surah Al-Anfal : Volantary Gifts verses, 3 and 4).

The surahs of Women and Chambers mentioned faith accompanied only by the giving for the sake of God's call saying : And what (harm) would it do them if they believe in Allah and the Last Day and spend of that which Allah has given them? (Surah Al-Nisa. The Women, verse 39)

And "The believers are those only who believe in Allah and His Messenger, then they doubt not, and struggle hard with their wealth and their lives in the way of Allah. Such are the truthful ones" (Surah Al-Hograt : The Apartments, verse 15).

O my people, who will help me against Allah, if I drive them away? will you not then mind ?

Mohammed, guided by His Lord to the same answer, said : And drive not away those who call upon their Lord, morning and evening, desiring only His pleasure. Neither art thou accountable for then in ought, nor are they accountable for thee in ought, that than shouldst drive them away and thus be of the wrong-doers." (Surah Al-Anaam, The Cattle, verse 52).

Related to the matter of those luxursous people God has said : "And we never sent a worner to a town but those who led easy lives in it said : "We are disbelievers in that with which you are sent. And they say : "We have more wealth and children, and we can not be punished. Say : "Surely my Lord amplifies and straitens provision for whom He pleases, but most men know not. And it is not your wealth, nor your children, that bring you near to us in rank; but whoever believes and does good, for such is a duble reward for what they do, and they are secure in the highest places And those who strine in opposing Our messages, they will be brought to the chostisement. Say. "Surely my Lord amplifies provision for whom He pleases of His servants and straitens (it) for him. And whatsoever you spend, He increases it in reward, and He is the Best of Providers." (Surah Saba : verses : 34—39)

Explaining the harmful doom of the luxurious people in this world God has said : "And how many a town which was iniquitious did we demolish, and we raised up after it another people ! So when they felt Our might, Lo ! they began to flee from it. Flee not and return to the easy lives which you led, and to your dwellings, that you may be questioned. They said : "O woe to us ! Surely we were unjust. And this cry of theirs ceased not till we made them cut off, extinct." (Surah the prophets, verses 11—15).

And relating to their bad fate in the hereafter God said : And those on the lift hand; how (wretched) are those on the left hand ! In hot wind and boiling water, And shadoux of black somke. Neither coal nor refreshing. Surely they lived before that in ease." (Surah Al-Waqiah : The Event, verses, 41—45).

An Enjoinment for offerin money in God's way.

Through these previously mentioned ways Koran has fought misery,

The Ruler' right :

Islam has made it right to the ruler to take forcely the assigned share of the poor in the richs wealth. In application of this principle the first khaliph (Abo Bakr) may God be pleased with him, did not hesitate to fight those who had refused to pay Zakah (Alms giving) until they yielded to carry out God's ordinance. This matter led to stabilisation of the Islamic nation and healed its dengerous breach.

It had also made it right to the ruler to prevent the extravagants from managing the wealth of minors and their like of those who could not wisely manage their own affairs as the following verse explains : And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education. And taste the orphans until they reach the age of marraige. Then if you find in them maturity of intellect, make over to them their property, and consume it not extravagantly and hastly against their growing up. And whoever s rich, let him abstain, and whoever is poor let him consum reasonably (Surah Al-Nisa : The women, verses 5 and 6).

Luxury is a wicked source :

Islam has also stated that luxury is a wicked source which fills the hearts with hatred and rancour and do away with the secured and established life. This devilish quality leads the people who commit it to deny the truth and to denounce the religious legislators. It plants selfishness among the social classes. There is none contradictory to God's religions but the luxurious people who antagonise these religions because it either degraded them to the level of the poor and the weak or raised the laters to their level. This could be clearly seen in the first religions as well as the latest one.

The people of Noah, for example, said to their prophet, intrifling his followers, "We see thee not but a mortal like us, and we see not that any follow thee but those who are the meanst offus at first thought' (Surah Hud. verse 27).

While the luxurious people at the time of the prophet Mohammed took the same attitude towards Belal and his brotheren. The answer of Mohammed was the same as that of Noah when Noah said as it is related in Koran : And I am not going to drive away those who believe surely they will meet their Lord, but I see you a people who are ignorant. And

which Allah has given them out of His grace." (Surah Al-Nisa : The women, verse, 37).

"And those who hoard up gold and silver and spend it not in Aallah's way-announce to them a painful chastisement. On the day when it will be heated in the Fire of hells then their foreheads and their sides and their backs will be barned with it : This is what you hoard up for yourselves, so taste what you used to hoard" (Surah Baraat : The Immunity, verses, 34 and 35.

Islam has informed us that misery ensue man not to spend his money either in the performance of his duty or in the maintenance of his good and sends him to perdition as the following verse says : And spend in the way of Allah and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely Allah loves the doers of good). (Surah Al-Baqarah : The Cow, verse 195).

The prophet, peace be upon him, has said to warn against misery (Be ware of misery because it caused the perdition of your ancestors, it enjoined them desertion and debauchery and they follow its enjoinment) and (Be ware of misery because it sent your ancestors to their graves. It enjoined them to shed their blood and to profanate their sacred relations).

I could not find a more expressive term than the above mentioned expression in depicting the social denger caused by misery. There is no doubt that it is of the most detrimental flaws that lead to disintegrity in societies and do away with both the fife of nations and their development.

The Koran as well as the prophet,s saying have adopt this attribute towards extranagance as they have done with misery since it makes the nation spend its wealth uselessly. In this connection Koran says : "Surely the squanderers are the devil's brathren. And the devil is ever ungrateful to his Lord" (Surah, Al-Israa : The Israelites verse 27).

After depicting the bad results of both misery and extravagance Koran gathered them in one frame and guided us to the straight way that must be followed by the rich in order that they may preserve their lifes and be able to establish it on solid basis saying : " Make not thy hand tied (like a miggard's) to thy neck. Nor stretch it forth. To its utmost reach. So that thou become. Blameworthy and distitute" (Surah Al-Israa verse 29).

diffinite share in the rich's wealth for the poor and for those who struggle in God's way (for His call) or in the form of taxes imposed by the ruler according to the national need for reformative, and progressive projects.

The Koran has accorded great care to urge for the giving to the poor and distitutes and for the strive in the way of God. The word (way of God) is a word of the most distinguished words that have come in the Koran. This word particularly fills the heart with awe and solimnty and fills the universe with good and piety. Its meaning is but a sort of charity either in its private or its general meaning.

Islam fights misery and extravagance of the rich

Whereas the wealth belongs to God, men are all His servants and the world where they live and invest is God's wealth, whereas these all belong to God it is necessary that the wealth aught to be shared by His creatures, kept and utilised by them all. God has manifested this in His saying : "He it is who created for you all that is in the earth" (Surah, Al-Baqarah : The Cow, 29).

"And swallow not up your property among yourselves by false means" (Surah Al-Baqarah : The Cow verse 188).

"And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

Islam has renounced misery that prevent the muslim from the wise giving and spending of his money. It also rebuked extravagance that leads to spending money wrongly. In doing that Islam aims at the purification of souls from selfishness and hatred. In this concern God has said : "And whoever is saved from the greediness of his soul, these it is that ar the successful". (Suraha. Al-Tagh-bun : The Manifestation of Losses, verse 16).

"And let not those who are niggardly in spending that which Allah has granted them out of His grace, think that is good for them, Nay, it is evil for them. They shall have a coller of their niggardliness on their necks on the Resurrection day. And Allah,s is the heritage of the heavens and the earth" (Surah, Al-Imran, The Family of Amran verse 179).

"Who are niggardly and bid people to be niggardly and hide that

This sort of co-ordination has nothing to do with the restrection of the right to ownership, but it is a direction required by the national need in order to enable the nation to enjoy its real freedom in full.

This coordination is, under these mentioned consideration, a duty encompent upon the ruler together with his nation. They are to be sinful in the case of its neglection or in completion.

The ruler is protecting both national interests and independence when he adopts this co-ordination aided by his people. They are, consequently preceeding their way that would lead them to their good and happiness. The ruler in applying this co-ordination is securing peace and tranquility for his nation.

Because of the usefulness to wealth to all individuals of the people and to all societies God has sometimes attributed it to Himself and sometimes to the whole community making of its owner His agents for its preservation and investment. These agents are responsible to Him to spend this wealth sparingly and wisely. According to the teachings of His sacred books, this conception is clearly manifested in the following Koranic verses : " Believe in Allah and His messenger, and spend of that wherof He has made you heirs." (Surah Al-Hadid : Iron, verse, 7).

"And give them of the wealth of Allah which He has given you" (Surah Al-Nur : The light, verse 33). "And swallow not up your property among yourselves by false means" (Surah Al-Baqarh : The Cow, verse, 188).

And God said : "And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

In these verses God proved that both usurpation and mismangement of the wealth are realy either an agression on the nation or perplixty at its expense.

That wealth is a tool to be exploited for the interest of the entire society.

A tool which ensues the fertilisation of land, result in the rising of industry and bring about the prosperity of Commerce. Wealth is the tool that enables its owner to satisfy the need of distitutes and that builds the general and usful establishments either out of the emotions of co-operation and kindness or obedience of God's ordinances that assigned a

every Muslim to take a part in building his community by working hard at any field for the benefit of mankind. Thus the religion of Islam has imposed work on Muslims to realise the principle of the economic indpendance which enable the Muslim community to satisfy its needs by the hands of Muslims and not to depend on any kind of help from other nations.

If Muslims carry on this principle they would protect their country and safeguard their community from the interference of imperialism which spare no effort to occupy other countries under the curtain of exchange trades.

No doubt that these three means (A griculture, industry, and commerce) are the strong pillars of the national economy of the nation who wants to live on indpendent sound life. Hence we have come to this conclusion it is necessary for the nation to do whatever can be done to realise the progressive achievements in the field of agriculture, industry and commerce, that is the call of Islam which encourages Muslims to live in sound and free life. It is so easy for us to know that the breach which allows imperialism to poke its nose into our affairs is the shortage in agriculure, industry and commerce. Therefore the religion of Islam has imposed work on Muslims in the three fields mentioned above for the Muslim's prosperity and welfare.

The State - duty in protecting the economic independane :

It is the duty of the Islamic ruler to look after the interests of the Islamic group to guide his subjects and to do his best to make the whole nation enjoy their common interests.

The ruler is religiously ordered to co-ordinate this matter so that there will not be a concentration of wealth in the hands of one class of the nation. When need rises he is permitted to transfer some of the arable lands to commercial capital or to industrial companies aiming only at the common welfare of the people. In so doing he is coordinating the national interest in a way that makes the nation self-sufficient one.

In this case strangers could not find inlets to interfer in the national affairs. They would find instead that they are only permitted the right to the common exchanges existing in the Muslim community. This coordination is a wise one that benefits the nation and rescue it from the external interference, domination, and imperialism.

robbery and plunder. It is forbidden for Muslims to earn money through dealing in wines and pigs, or earning money by gambling and dancing. The religion of Islam made this clear for Muslims asking them to avoid unlawful means such as bribery, robbery and corruption, advising them to listen to the voice of the sound Conscience and to turn a deaf ear to the voice of evil.

Koran says : And swallow not up your property among yourselves by false means, nor seek to gain access thereby to the judges, so that you may swallow up a part of the property of men wrongfull while you know. (Surah Al-Baquarah : the Cow verse 188).

We can easily understand the high position of money and its great value from these verses of Koran which tell that God had punished those who dealt wrongly in money and earned it through unlawful means.

Koran says : So for the iniquity of the Jews, We forbade them the good things which had been made lawful for them, and for their hindering many (people) from Allah's way. And for their taking usury - though indeed they were forbidden it - and their devouring the property of people falsely. And we have prepared for the disbelievers from among them a painful chastisement. (Surah Al-Nisa : The Women. verse 190-161)

Economic Indpendance in Islam :

When the religion of Islam has ordered Muslims to earn wealth through agriculture, industry and Commerce, it aimed at satisfying the material needs of the Muslim community which is in great need for both agriculture to get food for its individuals,and industry to smooth the human being's affairs related to his clothes, his house and his transportation from place to another. By virtue of industry man has been able to have strong machines for digging canals, making roads and to adopt ways that play a great role in the progressive achievments of the nation.

At the same level of importance the Muslim conunity needs to get in touch with the other people to exchange food and various articles. So the Muslim scholars have decided that Muslim should learn whatever art or trade which can be needed in this world. They mentioned some trades and arts to be an example of these things such as agriclture, and sewing clothes etc. It is the duty of

against evil-that is the best. This is of the messages of Allah that they may be mindful. (Surah Al-A'raf, the Elevated places. verse 26).

It was said to her : "Enter the palace. But when she saw it she deemed it to be a great expanse of water, and prepared herself to meat the difficulty. He said : "Surely it is a palace made smooth with glass She said : My Lord, surely I have wronged myself, and I submit with Salomon to Allah, the Lord of the worlds. (Surah Al-Naml verse 44).

Koran has advised Muslims to earn money through the three means mentioned above (Trade. Agriculture, and Industry), calling the earning of wealth seeking of Allah's grace" Hence wealth has this great value Islam has asked Muslims to go on with their work for seeking wealth except on the occasion of the Firday prayer, But when the Friday prayer is performed Muslims should go to their work and disperse abroad in the land seek Allah,s grace.

Koran says : "O y you who believe, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of Allah and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abread in the land and seek of Allah's grace, and remember Allah much, that you may be successful. And when they see merchandise or sport, they break away to it. and leavd the standing. Say : "What is with Allah is better than sport and merchandise. And Allah is the Best of Providers. (Surh Al-Jumu'ah, the congregation. verses 9—11).

He it is who made the earth subservivent to you, so go about in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising (after death). (surah Al-Mulk : the kingdom. verse 15).

Koran demands Muslims to take great care of money advising them to spend it reasonably and warns them not to be either extravagant or miser. Koran says : "And they who, when they spend are neither extravagant parsimonious, and the just mean is ever between these." (Surah Al-Furqan : the Discpimination. verse 67).

And make not they hand to be shackled to they neck, nor stretch it forth to the utmost (limit) of its stretching forth, lest thou sit down blamed, stripped off. (Surah Al-Esraa The Isrealites. verse 29).

While Koran has ordered Muslims to do their best to earn money by lawful means, it has warned them not to gain a penny through Usury,

It is clear now that Koran has considered wealth as the strong prop of the happy life and made equal to ones children. Islam is a practical religion which arranges its injunctions on factual basis, answering at the same time the demands of soul and that of the body. Islam has guided us to the right path for man's spiritual happiness as well as for the material life which enable the individual to enjoy the lawful delights of his life. Islam has enjoined the individual to work hard, doing his best to earn money by lawful and righteous means through commerce, and commercial co-operation exchange.

Means of earning wealth

Islam has ordered Muslims to earn money through commerce, so the journeys of Arbs for trading have been mentioned in koran. They made journeys north word to Syria and southword to yemen, the former of which was undertaken in summer and the latter in winter.

Koran says: For the taming (ie civilising) of Qureysh. For their taming (we cause) the caravans to set forth in winter and summer. So let them worship the Lord of this House. Who hath fed them against hunger. And hath made them safe from fear.) (Surah Queysh). Islam has ordered Muslims also to earn wealth through agriculture showing them how to prepare the land for cultivation. Koran says: "Then let man look at his food. How we pour down abundant water. Then cleave the earth, cleaving (it) asuder. Then cause the grain to grow therein. And grapes and clover. And the olive and the palm. And thick gardens. And fruits and herbage. A provision for you and your cattle. (Surah Abosa. verses 24-32).

Furthermore Islam has ordered Muslims to earn wealth through industry that Islam has considered as the strongest support for building up a powerful civilisation. In Koran you come accross meny verses about different kinds of industries such as the industry iron, of cloth, and tha, of mansions and houses building.

Koran says: "Certainly we sent our messengers with clear arguments. aud sent down with them the Book and the measure, that men may conduct themselves with equity. And we sent down iron, wherein is great violence and advantages to ment and that Allah may know who helps Him and His messangers, unseen, Surely Allah is strong, Mighty. (Surah Al-Hdid Iroe.verse 25).

O children of Adam, we have indeed sent down to you clothing to cover your shame, and (clothing) for beauty; and clothing that guards

mother is the sixth, after (payment of) a bequest he may have bequeathed or a debt. Your parents and your children, you know not which of them is the nearer to you in benefit. This is an ordinance from Allah. Allah is surely ever knowing, wise.

And yours is half of what your wives leave if they have no child; but if they have a child, your share is a fourth of what they leave after (payment of) any bequest they may have bequeathed or a debt; and there is the fourth of what you leave if you have no child, but if you have a child, there is eight of what you leave after (payment of) a bequest you may have bequeathed or a debt.

And if a man or a woman, having no children, leaves property to be inherited and he (or she) has a brother or a sister, then for each of them is the sixth, but if they are more than that, they shall be shares in the third after (payment of) bequest that may have been bequeathed or a debt not injuring (others). This is an ordinance from Allah, and Allah is knowing, Forbearing.

These are Allah's limits. And whoever obeys Allah and His messenger, He will admit him to Gardens wherein flow rivers, to abide in them. And this is the great achievement. And whoever disobeys Allah and His messenger and goes beyond His limits, He will make him enter fire to abide in it, and for him is an abasing chastisement". (Surah 1, V 11 – 14).

In this article we are going to explain many things about money: the value of money in Islam, how to earn it, how to invest it, how to spend it in the right ways, and why it is unlawful to be extravagant or miser.

The value of money in Islam

actually any one who studies islam would come to a conclusion that Islam is the religion of life. So there is no wonder that wealth has a great value and high position in the Islamic system. Wealth undoubteadly is the foundation of the happy life. It is the strongest support to achieve scientific progress, to build cities, and to enable every body to live in good health enjoying a delightful life. Thus Koran has appreciated the value of wealth and described it as an adornment of the life of this world.

Koran says: wealth and children are an adornment of the life of this world; but the ever-abiding; the good works, are better with they Lord in reword and better in hope, (Surah 18, Vers 46).

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

MONEY AND THE ECONOMIC INDPENDANCE IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The Islamic laws have arranged the financial affairs every of aspect of life and edeavoured to provide guidance and a proper solution to any financial problem. Islam has imposed Zakah (Alms giving) to solve the problom of poverty among the Muslim Community. Thus it is the duty of rich to offer a part of their wealth to the poor with the objective of building up a strong Community far from being weak or poor.

If the rich continue giving Zakah to the poor they would purify the poor's hearts and extinguish their hatred and ill feelings towards the rich. Hence love and friendship certainly would be engendered between them, and all of them would exchange good feelings and cause mercy and co-operation to prevail among them all.

The Islamic law has dealt with to solve the problem of personal property after the death of an individual. The right of Inheritance as an islamic principle proceeds to divide wealth among relatives in order to strengthen the ties between the members of a family and for the generations to come, thereby sons can share the fruits of their father's efforts.

The Islamic law has set up the principle of inheritance on the basis of justice and sound reason, and God Himself has arranged the shares of heritage between heirs in the holy Koran.

Koran says : "Allah enjoins you concerning your childrern : for the male is the equal of the portion of two females; but if there be more than two females, two third of what the deceased leaves is theirs; and if there be one, for her is the half, and for his parents, for each of them is the sixth of what he leaves, if he has no child and (only) his two parents inherit him, for his mother is the third; but if has brothers, for his

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

have any cause for complaint, because their university have turned into an international one which combines both old and new, the past and the future, the religious and the temporal.

It is now the duty of Azharites to strive hard, to work with all their might, to do their utmost to put this new law into effective operation out and to affirm that they have the ability to take their part in the revolution. In my openion the Azharites are worthy of this reformation. They thank God for the realization of their hope and their full homage for the leader who issued the law and gave his best attention to that old university.

As a matter of fact, the successful outcome of this reformation is concentrated in Azharite's hands, because the government has issued the law and depended on them to lay the programme, to write the books and to carry both the law and the excutive regulations out according to the dictation of both heart and conscience.

If the Azharites carry the new law out according to old plans, it will be similar to the constitution of the old regime in that it had been quoted from up-to date rules and the best constitutions of great nations, but it was useless as a Koran inside an infidle's house or the light in a blind man's room. The Qur'an said in this respect : "Verily, never will God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls) ". (Surah of the Thunder, Section. 2. Ver. 11).

Last but not the least, the reorganisation of Al-Azhar university is a great step towards the realisation of the dream which we and the other faithful people hoped to come true. This dream is to study the explanaitions of the Qur'an, the prophetic traditions, the Arabic language and the Islamic law on both religious and civic foundations. Consequently, Al-Azhar will maintain its old heritage and will share in modern progress, differences between its students and their counterpart in other institutions will be obliterated. Its culture will be united and Al-Azhar will occupy its worthy place in the field of modern civilization and the leadership of the world.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

students in Al-Azhar university, have natural gifts of their own which are endowed on them by God, and that they look forward to a bright future. Because those students will perform their duties in the future for the benefit of the nation according to the teachings of Islam, they will have the right to be taught academic subjects in the interests of their life career. This cannot be realized unless they let aside their old thoughts, take part in modern progress, change their minds and thoughts to accompany the march of progress and carry out the instructions of the religion for their future personal happiness. Consequently, President Nasser has issued a law on the re-organisation of Al-Azhar, to be published in a series starting next month. The law has created a university of the previous mosque, made religion a mean of worldly achievements, used sciences as means of guidance and learned men as leaders. The law also set up a "Scientific commitee for Islamic researches" which will liberate minds and urge them to abandon blind imitation purse the prophetic traditions of lies Promote islamic law as dictated by God and the teachings of his Messenger and to preach Islam all over the world as efficiently and attractively as possible.

The new law gave Al-Azhar university the opportunity to graduate not only religious men, but also physicians with pious hearts, engineers of good character, makers and workers performing their duty honestly, and employers who work according to the dictation of conscience. The new law is also aimed at creating a good society: the dream of Azharite reformers from Sheikh Mohamad Abdoh till Sheikh Mahmoud Shaltout. Reformers who came before the present Rector, passed their life calling for the reformation of Al-Azhar, but failed to secure any official support.

God has willed that the reform to be effected by President Nasser and Sheikh Mahmoud Shaltout who are men of principle and strong faith. The history of Islam will record this reformation on its pages in bright words especially because it will be of great effect in the future of Arabism. Consequently, the Rectorship of Sheikh Shaltout for Al-Azhar will be very clear in its history. This is because his Rectorship constitutes an interval between the troubled times of the past, and present time in which the Azharites were accorded their full rights and a prosperous future assured for them.

By the re-organisation of Al-Azhar, the reformers have realized their hope and their dreams have come true. Azharites will no longer

This will provide a source of inspiration and guidance for the above three revolutions.

The term "Revolution" has no contradiction with the religion, neither is it against its spirit. As a matter of fact, Islam in itself is a revolution, a revolution against evil and corruption, and a war against tyrany and aggression. Because these abominable sins are still committed by the people, war against them and the revolution must continue. The revolutions needs only to be kindled by us to find the light which guides it on the right way.

The Good reformer and the Best leader who appeared by the will of God the almighty, is the only one who has the ability to kill Evil and replace it by good, to reconstruct what had been destroyed in the course of time, to raise the veil which covered the word of God to be very clear in all sights and to remove any doubts about the message of our Prophet Mohamed "Peace be upon Him". The leader can do this by flaming the candle of the religion and considering it a part of the five years reform project.

The Constitution of the United Arab Republic declares Islam as the official religion of the nation. The significance of this cannot be realized except if the religion has a great effect on education, legislation and conduct. As a matter of fact, Al-Azhar as the oldest university all over the world - by the grace of God - is the best institute that has the ability to preach the right message of Islam and to unite the great Islamic nations. This will be realized, if Al-Azhar is given the opportunity to perform its message as planned by the revolution in response to the wishes of the National Union at its general conference of last year.

While we aspired at this revolution in our dream, our president Nasser was preparing for it to come true. He had the openion of the reformers before him; it said that the world can be reformed only throuh the religion, and that the religion can be revived only by the re-organization of Al-Azhar university, and that Al-Azhar will bring about the progress of the east if it is developed to fit modern times. The importance of Al-Azhar is derived from its culture which has its origin in the source of revelation and the natural law. when this culture joins modern thought, they will interact with each other, and the result will be the cause of : the revival of God's religion, the efficiency of its legislaion and the perpetual remembrance of God.

President Nasser as other reformers before him, is of the openion that the forty five thousand Arab

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

FORTH REVOLUTION

COMES TRUE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Since the year 1952, the United Arab Republic has passed through three revolutions : Frist : the political revolution which liberated the country, brought about the withdrawal of British occupants and affirmed its independence on the bases of Unity, neutrality and peace. Second : the social revolution designed to establish a democratic system for the people and to build the new society on love, equality and brotherhood. Third : the economic revolution aimed at introducing socialism as a system of life in the country, and the establishment of the people's wealth on foundations of justice, fraternity and co-operation.

These three revolutions constitute the people's full active and creative power, unleashed by a wise leadership having the best interests of the people at heart, which distroyed the corrupt regimes of the past and constructed a new system on solid foundations and ploughed the land for the best fruit.

But the revolutionary constructional powers will not alone cope with the establishment of the good society which is worthy of the modern and progressive man. Indeed, the revolution is able to turn the iron very soft, to cultivate rocks, to harness the Nile, to extend knowledge, to spread prosperity and abundance, to facilitate the life of both the industrial worker and the land labourer and to provide the army with formidable means of power. But inspite of all that, the revolution cannot plant piety in the heart of the ill souls, neither can it bring dead conscience back to life : As a proof, we notice that within nine years we have become an independent nation which says to be heard, asks to be answered, strives hard to succeed and plants to ripe. All those results are realized through a democratic and just Government and the moderate socialist system which urge one to help all and all to help one, we still find among us the theif, the bribed, the hypocrite, the dishonest' the distructive, the careless, the liar and the forgerers. Consquently, we find ourselves in need of a fourth revolution : The religious revolution